محاضرات
فى علم اللغة العام
مع دراسة تطبيقية فى
علم اللغة المقارن

إعداد
د . عمر صابر عبد الجليل

جامعة القاهرة
كلية الآداب
٢٠٠٠ ـ ٢٠٠١

تقديم :

تهدف هذه المذكرة الوجيزة إلى تعريف الطالب ماهية اللغة الإنسانية، وباختلاف مفاهيم المصطلحات المتصلة باللغة قديمًا وحديثًا. كما تهدف إلى تعريف الطالب بعلم اللغة الحديث، وبمجالاته ومناهجه، وبأهم الأسرات اللغوية.

وفي إطار أهمية المنهج المقارن في الدرس اللغوي العربي تعني هذه المذكرة بتوضيح ذلك ببحث لغوي مقارن يبين دور علم اللغة المقارن وأهميته في الدرس اللغوي العربي.

تشتمل هذه المذكرة على سبعة فصول يتناول الفصل الأول منها ماهية اللغة، ويوضح العناصر الأساسية في تعريف ابن جنى للغة، وهي تبدو في إدراكه لطبيعة اللغة ووظيفتها، والطابع الاجتماعي لها، وعلاقتها بالفكر. والفصل الثاني اهتم بعلاقة علم اللغة الحديث بالدرس اللغوي العربي، فتعرض للمفاهيم العربية لمصطلحات : اللغة، وفقه اللغة، وعلم اللغة، كما أوضح الفروق بين فقه اللغة وعلم اللغة. والفصل الثالث اعتنى بتوضيح مجالات علم اللغة ومناهجه. والفصل الرابع أوضح الصلة بين علم اللغة وبعض العلوم الأخرى مثل : علم الاجتماع، وعلم الانثروبولوجيا، وعلم النفس. وفي الفصل الخامس إشارة موجزة إلى مستويات التحليل اللغوي،. أما الفصل السابع فيتناول دراسة مقارنة (التصغير في أسماء الأعلام العربية).

والحق أن المكتبة العربية تزخر بالعديد من الدراسات الجادة في الموضوعات السابقة، وقد آثرنا أن ننتخب منها أفضلها لتكون عونًا للطالب على فهم طبيعة اللغة والاتجاهات الحديثة في درسها.

وعلى الله قصد السبيل.

الفصل الأول :(١) اللغـــة

ماهيتها :

تعتبر اللغة مظهرا مهما مـن مظـاهر المجتمـع البشـرى منـذ نشـوئه، وهى التى تميز الانسان عن الكائنـات الأخـرى، فـالكلام يمـيز الانسـان عـن الحيوان ، ويميز الأمم فيما بينها . غير أن كلمـة لغـة صـارت مسـتعملة فـى الصحف والمجلات غير العلمية وعلى ألسنة الناس على نطاق واسع للاشارة إلى عدد كبير من وسائل الاتصال المختلفـة . فنحـن نسـمع لغـة النمـل ولغـة النحـل ولغـة الطيـور ولغـة الحيـوان ولغـة الأسـماك ولغـة الاشـارة ولغـة الكومبيوتر وحتى لغة العيون التى يتغنى بها الشـعراء فهل كـل هـذه اللغـات لغات حقيقية؟ هل تختلف لغة البشر عن لغـات الاتصـال الأخـرى المذكـورة؟ وان كان هناك اختلاف فما طبيعته؟ وبكلمات أخرى هل لغة الانسان ظاهرة خاصة بالانسان أم تشاركه فيها بعض الكائنـات الحيـة الأخـرى؟ وإذا كـانت خاصة بالإنسان فهل هـى ظـاهرة طبيعيـة فطريـة أم تعليميـة مكتسـبة؟ وهـل الانسان هو الوحيـد القـادر علـى اكتسـاب أو تعلـم اللغـة أم يمكـن أن تتعلمهـا بعض الحيوانات الراقية مثلا؟.

هـذه الأسـئلة وغيرهـا شـغلت بـال كثـير مـن المفكريـن مـن فلاســفة وعلماء نفس وعلماء لغة ورجـال ديـن وعلمـاء اجتمـاع وغـيرهم منـذ مئـات السنين[١] .

للإجابة عن هذه التساؤلات حـاول كثـير مـن البـاحثين تعريـف اللغـة فكانت تعاريفهم تصدر إما من وجهة نظر معينة كـأن يكـون المعـرف مهتمـا بمظهـر معيـن مـن مظـاهر اللغـة كمظهـر الاتصــال أو التبليـغ أو بــالمظهر

الاجتماعى أو بالمظهر الشكلى الظاهرى ، فأنت معظم تعاريفهم اما قاصرة لاتستغرق الجوانب المختلفة للغة ، أو أنها تنطبق على وسائل الاتصال الاخرى التى تتعامل بها بعض المخلوقات الأخرى. ولذلك فقد أخذ العلماء يتجنبون هذه الطريقة فى محاولتهم النفاذ الى جوهر اللغة.

ولعل أفضل المحاولات للوصول الى ذلك هى ماقام به العالم الامريكى تشارلز هوكت (Charles Hocket) خلال عشر سنوات من البحث والدراسة. فقد عكف هذا العالم على محاولة التوصل الى الخصائص أو الصفات التى تميز اللغة الانسانية وقد توصل الى حصر ست عشرة صفة مميزة وأضاف علماء آخرون لها عددا آخر. ولكننا سنحصر بحثنا هنا فى أهم تلك الصفات فقط. وسنعمل فى أثناء ذكرها على تجنب التسميات العلمية الدقيقة لأنها لن تؤدى المعنى المطلوب منها عند محاولة ايجاد مرادفاتها باللغة العربية ولذلك سنحاول شرح كل منها شرحا يقربها الى الأذهان. هذا من ناحية أما من الناحية الأخرى فاننا سنشير عند ذكر كل من هذه الخصائص فيما اذا كانت بالفعل علاقة فارقة بالنسبة للغة الانسان أم أن التجارب الحديثة قد اثبتت انها احدى الظواهر المتوفرة فى وسائل الاتصال التى تستخدمها مخلوقات أخرى وذلك لنعمل فى النهاية على حصر ماهو خاص منها فعلا بلغة الانسان فقط.

وسنبدأ ببحث أكثر هذه الصفات وضوحا للانسان العادى الا وهى أن الانسان يستخدم الجهاز الصوتى للحديث باللغة والجهاز السمعى للاستماع اليها. وهذه صفة لاتستدعى الشرح ولكنها تستحق التعليق عليها. فهل يقتصر الانسان على هذين الجهازين وعلى حاسة السمع فقط كوسائل للاتصال اللغوى؟ هذا سؤال. أما السؤال الآخر فهو: هل هذه الصفة صفة مميزة للغة

الانسان أم يشاركه فيها وفى استعمال الحواس الاخرى بعض المخلوقات الأخرى؟

أما جواب السؤال الأول فهو ان الانسان يستعمل وسائل اخرى للتعبير عما يريد قوله واكثر هذه الوسائل وضوحا هى الاشارات (Gestures) التى تعتمد على حاسة البصر كحركة الجسم بأجمعه أو حركة اليدين أو القدمين او تعبيرات الوجه ومكوناته المختلفة وخاصة العينين. وقد جعل لبعض هذه الاشارات نظام خاص يعوض تعويضا كاملا عن النظام اللغوى الصوتى كما هو حاصل فى لغة الاشارة التى يستعملها الصم البكم فى الولايات المتحدة ولغة الاشارة التى يستخدمها بعض الرهبان الممنوعين من الكلام بموجب مذهبهم الدينى ناهيك عن لغة الاعلام (الرايات) التى يستعلمها الكشافة وغيرهم ولغة الاشارات الضوئية التى تستعمل بين المراكب.

كما يستعمل الانسان حاسة اللمس لتكوين نظام لغوى كامل وذلك فى الحالات التى يكون فيها أحد الافراد محروما من نعمة البصر أو من نعم البصر والسمع والنطق جميعا كما كان الحال مع هيلين كيلر التى لابد أن الجميع قد سمعوا بها.

ومن الناحية الأخرى فان كثيرا من الحيوانات البرية والبحرية والطيور، بالاضافة الى استخدامها للحواس الأخرى كاللمس والشم والبصر والذوق للاتصال فيما بينها، تستخدم أيضا الجهازين الصوتى والسمعى اللذين يعتمد عليهما معظم البشر فىالأتصال والتعبير. ولكن السؤال الذى يطرح نفسه هنا هو: هل هناك فرق بين استعمال الانسان للتصويت وسيلة للتعبير

اللغوى وبين استخدام باقى المخلوقات لـه؟ ولكـى نـستطيع الاجابـة عـن هـذا السـؤال نـرى مـن الضـرورى أن نمـيز بيـن اسـتعمالين مختلفيـن للتصويت كوسيلة لغوية. فهنالك صوت يطلقه الانسان كرد فعل مباشر لمؤثر ما كأن نطلق الصيحة "آه" أو" اخ" التى تدل دلالة مباشرة على الالم والتى تتشابه الى حد كبير فى المجتمعات اللغوية المختلفة . فالصيحة هذه اشارة مباشرة بسيطة لأن العلاقة بينها وبين لاتدل عليه وهو الالم علاقة مباشرة واضحة كل الوضوح . اما عندما تتحدث الى صديقك أو طبيبك فتشكو له من الم فى راسك مثلا فان كلمة ألم لاتدل دلالة مباشرة على ماتشعر به، بل هى رمز صوتى اصطلح عليه المجتمع العربىللدلالة على هذا النوع من الشعور. والرموز التى تدل على نفس المعنى فى لغات المجتمعات الاخرى مختلفة تماما من الناحية الصوتية، كما أن فىاللغة العربية نفسها مرادفات كثيرة لهذه الكلمة لا تتفق معها من ناحية الصوت بأى شكل من الاشكال، بالاضافة الى هذا فان كلمة الم تتألف من ثلاثة أصوات مفردة أو على الأصح من خمسة أصوات اذا احتسبنا الاصوات التى نعبر عنها بالحركات باللغة العربية كالفتحة فى هذه الحالة. وكل من هذه الاصوات المفردة لامعنىله البته بحد ذاته، ولكننا نركب من الاصوات المفردة التى يستخدمها مجتمع لغوىمعين كلمات اصطلح ذلك المجتمع على دلالاتها.

والسؤال الآن هو : لأى نوع من الاصوات تنتمى اصوات الحيوانات والمخلوقات الاخرى ؟ هل تنتمى لفصيلة الاشارة البسيطة المباشرة أم لفصيلة الرمز الصوتى المركب؟.

لقد كان معظم العلماء يعتقدون حتى وقت قريب ان تصويت الحيوانات من النوع البسيط المباشر ولكن الدراسات الحديثة دحضت هذا

الاعتقاد. فقد وجد أن بعض لغات الحيوان والطيور تتألف من أصوات مفردة يزيد عدد بعضها عن تلك التى تستعملها بعض المجتمعات البشرية، فالمجتمعات البشرية المختلفة تستخدم مابين أحد عشر وسبعا وستين صوتا مفردا. ففى اللغة الانجليزية مثلا مايقرب من ٤٥ صوتا وفى اللغة الايطالية ٢٧ صوتا وفى اللغة العربية حوالى ٤٠ صوتا مفردا. أما لغات الحيوانات والطيور فان فى لغة الطيور المختلفة مابين ١٢ و ٢٥ صوتا وفى لغة الحيوانات الثديية مابين ٧ و ٣٦ وفى لغة الدلفين مابين ٧و ١٩ وفى لغة القرود المختلفة مابين ١٠ و ٣٧ صوتا مفردا، فالفرق اذا فى عدد الاصوات المفردة بين الانسان والحيوان ليس شاسعا، بل ان فى لغات بعض الحيوانات عددا من تلك الاصوات المفردة يفوق ماهو متوفر فى لغات بعض المجتمعات البشرية كما هو واضح فى الاحصاءات المذكورة سابقا.

ولكن هذا الاكتشاف ليس هاما بحد ذاته ، بل الاهم هو كيفية دلالة تلك الاصوات على المعانى، فهل هى دلالات مباشرة أم هى أشبه بالاصوات المفردة عند الانسان التى ليس لها دلالة مباشرة؟ ثم هل يمكن للحيوان أن يركب من تلك الاصوات رموزا تدل دلالة غير مباشرة على المعنى المقصود؟

والجواب عن هذين السؤالين هو أن أصوات الحيوان تدل فى معظم الحالات على دلالات مباشرة بسيطة معظمها تتعلق بالمشاعر أو العواطف من خوف والم وسرور وتودد وما الى ذلك، مع أن بعضها يدل ايضا - كما هو الحال فى لغة البشر - على المحيط أو البيئة ومايتعلق منها بالحياة والمعيشة كالدلالة على اقتراب خطر أو فى الغذاء وما الى ذلك . إلا أنه تبين أيضا أن عددا من الحيوانات والطيور والحشرات تستطيع أن تركب من هذه

الاصوات المفردة أو منها ومن وسائل الاشارة الأخرى أو من وسائل الاتصال الأخرى غير الصوتية وحدها مايمكن أن نسميها مفردات أو جملا للتعبير عن معنى مركب لاتستطيع الاصوات المنفردة أن تعبر عنه، وقد أثبت ذلك الاستاذ بطرس مارلر (Peter Marler) المتخصص بدراسة سلوك الحيوان بجامعة روكفلر – فيما يتعلق بالطيور. وبين الفرق في الدلالة بين ماسماه بالصيحات المنفردة وبين الغناء المركب المؤلف من صيحات مختلفة. كما لاحظ علماء آخرون أن أحد أنواع القرود يعبر عن التهديد بصوت معين مقرون بحركات جسمانية أخرى كهز الرأس ورفع الحاجبين واسدال الجفنين وفتح الفم بدون اظهار الاسنان. وبما أننا سنبحث هذه النقطة ثانية فسنقتصر هنا على القول إن استعمال التصويت أو الحواس الأخرى ليس صفة خاصة باللغة البشرية بل تشاركه فيها مخلوقات أخرى.

أما الصفة الثانية التي يعتقد أنها خاصة بلغة البشر فهي ماأشرنا اليها سابقا باسم الاصطلاحية أو التواضعية والمقصود بها هو ماذكرناه قبل قليل من أن اصوات المفردات لاتدل على معانيها أي أنه ليست هنالك صلة مباشرة بين كلمة رجل مثلا والمخلوق الذي تدل عليه الكلمة، وأن الكلمات التي تدل على نفس المخلوق في اللغات المختلفة يختلف بعضها عن بعض قليلا أو كثيرا بحسب العلاقات الأسرية بين اللغات.

وعلى الرغم من أن في كل لغة عددا محدودا من الكلمات التي يوحي صوتها بمعناها، ومن أن الشعراء بشكل خاص يستفيدون من هذه المظاهر فيحاولون أن يجعلوا اصوات المفردات والعبارات اصداء للمعاني التي تعبر عنها الا أن من المسلم به بين علماء اللغة أن لا علاقة بين الصوت والمعنى في الاغلبية العظمى من مفردات أية لغة من لغات الأرض.

أما فى عالم الحيوان فان الملاحظ عموما بأن هنالك علاقة وثيقةبين الصوت او الاشارة التى يستخدمها الحيوان والرسالة التى يريد بثها . ومع ذلك فقد لوحظ أن هنالك بعض الاصوات أو الاشارات الحيوانية التى لاعلاقة لها بالرسالة المقصود ايصالها.فهنالك بعض الطيور المائية التى تتعرض للتهديد من جانب طيور مثلها وفىمثل هذه الحالة يتخذ الطير المهدد وضع الاستعداد للقتال فيرفع جناحيه كما يرفع رأسه فيستقيم عنقه بينما يكون منقاره متجها الى اسفل فيقابله الطير الاخر بوضع مشابه وربما يبدا القتال فعلا أو ينسحب المعتدى. ولكن الطير المهدد ربما عبر عن استعداده للقتال بطريقة أخرى تماما ، وذلك بأن يبدأ بنزع بعض الاعشاب القريبة منه وكأنه سيستعملها ليبنى عشا له. وعلى الرغم من أن هذه الحركة لاتدل على الاستعداد للقتال فان الغريم عادة مايفهم الرسالة وينسحب طالبا النجاة .

خلاصة القول اذا أن هذه الصفة الثانية التى تميز لغة البشر رغم قلة توفرها فى لغات الحيوانات. لاتبدو صفة مميزة للغة الانسان دون غيره من المخلوقات.

أما الصفة الثالثة فهى أن مفردات لغة الانسان تستطيع أن تشير الى أشياء محسوسة فى عالم الواقع كما يمكنها أن تشير الى الافعال التى يؤديها الانسان أو غيره من المخلوقات، وبامكانها ايضا ان تعبر عن الافكار الذهنية المجردة. بالاضافة الى ذلك فان باستطاعة الانسان أن يعمم الاسم مثلا على جميع الاشياء المتشابهة فى الجوهر المختلفة فى التفاصيل - فكلمة صندوق مثلا تشمل جميع أنواع الصناديق سواء كانت كبيرة أم صغيرة، مكعبة الشكل أم مخروطية، مصنوعة من الخشب أو الورق أو المعدن الخ وهذا ينطبق على الافعال أيضا. فهل هذه صفة متوفرة فى لغة الحيوان؟ ان صعوبة

المقارنـة هنـا تكمـن فـى عـدم امكاننـا تفسير مـاتقصده الحيوانـات بأصـواتهـا المختلفة ، فهل يعنـى الصـوت المعيـن الـذى يطلقـه القـرد مثـلا عندمـا يـرى ثعبانا، هل يعنى " ثعبان " أو " خطر" أو " احذر الثعبان" أو أنه مجرد صيحة منبهة لخطر معين؟ هذا مالم يهتد العلمـاء المختصـون الـى تفسيره بعد مع أنهم استطاعوا أن يميزوا بين صيحات مختلفة كل منها تنذر بخطر يختلف عن الآخر. ولهذا فمن الصعب علينا أن نؤكد أو ننفى توفـر هذه الصفـة فـى لغة الحيوان. ثم هنالك صفـة رابعـة وهـى ان اللغـة البشـرية المسـتخدمة فـى مجتمـع معيـن يتوارثهـا الخلـف عـن السـلف وانـه حتـى لـو كـان الاسـتعداد لاكتساب اللغة أمرا بيولوجيا فطريا الا أنه لابد للطفل من مجتمع يعيش فيه ليكتسب اللغة فعلا، فاذا عاش منفردا فلا لغة له علـى الاطـلاق. أمـا بالنسبة للحيوانات فان الأمر يختلف من نوع الى آخر وحتى من فصيلـة الـى أخـرى داخل النوع الواحد. وقد دلت التجارب العديدة التـى أجريـت علـى الحيوانـات والطيور ان بعض لغاتها وراثية كليا بينما بعضها الآخر جـزء منـه مـوروث والآخر مكتسب بينما النوع الثـالث لغتـه كلهـا مكتسبة كمـا فـى غنـاء القـبرة مثلا.

ان الفـرق غيـر واضـح تمامـا بالنسـبة لهـذه الصفـة بيـن الانسـان والحيوان، خاصة أن البحث جار على قدم وساق فى الوقت الحاضر لمعرفة نوع الاستعداد الفطرى أو القدرة الفطرية التى تخلق مع الطفل الوليد. ولكن يمكن القول بوجه عام أن الوراثة تلعب دورا اكبر بالنسبة للغة الحيوان منها فى لغة البشر.

امـا الخاصيـة أو الصفـة الخامسـة فقد سـبقت الاشـارة اليهـا وهـى ماتسمى بالازدواجية ومعناها ان الاصوات المفردة فى لغـة الانسـان لامعنـى

لها بحد ذاتها، كحروف الصاد والياء والفاء مثلا الا أنها عندما تركب بشكل معين فتتولد منها كلمة صيف مثلا يصبح لها معنى وان كان هذا المعنى اصطلاحيا لا طبيعيا. فهل هذه الصفة خاصة بلغة الانسان؟

لقد أثبت العلماء المختصون أنها ليست كذلك، لأنها موجودة فى أغانى بعض الطيور التى تتألف عادة من أصوات مفردة لامعنى لها بحد ذاتها ، ولكنها عندما تتصل معا بنماذج مختلفة يصبح بامكانها تأدية رسائل مختلفة أيضا.

وهنلك صفة سادسة تبدو أهم من سابقاتها وهى أن باستطاعة لغة البشر أن تشير الى أشياء واحداث بعيدة عن المتكلم زمانا ومكانا. فيمكن الاشارة الى اشياء غير موجودة فى المحيط القريب وغير منظورة أو ملموسة أو مسموعة أو محسوسة ويمكن أن تبعد آلاف بل ملايين الاميال عن مكان المتكلم. كما أن اللغة يمكن أن تشير عن طريق الافعال الى الزمن الماضى أو المستقبل غير المنظور. فهل بامكان لغة الحيوان أن تؤدى هذه الوظيفة؟ من الصعب الاجابة عن هذا السؤال بشكل محدد الا فى حالة النحل. فعندما تكتشف احدى النحلات مصدرا للرحيق فانها تعود الى الخلية وتقوم برقصات تختلف باختلاف بعد ذلك المصدر واتجاهه ويتمكن رفاقها من معرفة الاتجاه والمسافة التى يمكن أن تمتد الى عشرات الاميال ونوع الزهرة التى سيبحثون عنها، ومن ثم يتجه سرب النحل الى المكان المحدد ليجد مطلبه فعلا ، فهنا أيضا ، على الرغم من أن الرسالة التى تبعثها النحلة مبسطة ومحددة، الا أنها تتمتع بهذه الصفة التى نتحدث عنها ، وكذلك فلا يمكننا القول أن هذه الصفة خاصة بلغة البشر فحسب .

سنكتفى هنا بذكر صفة أخيرة أثارها تشومسكى فى نظرياتـه اللغويـة ربما كانت أهم هذه الصفات جميعـا، وقـد ورد ذكرهـا مـرارا فـى الصفحـات السابقة الا وهى مقدرة لغة البشر على الخلـق أو الابتكـار . والمقصـود بهـذه الصفـة بايجـاز شـديد هـو أنـه بمقـدور الانسـان لا أن يركـب مـن الاصـوات المفردة مئات الالوف من المفردات فحسب، بل ان يركب من مفـردات اللغـة المختلفة عددا لايحصى من الجمل واشباهها مما لم يسمع بـه مـن قبـل وذلـك حسب الموقف والظـروف التـى تتطلـب الكـلام. كمـا أن باسـتطاعته أن يفهـم عددا لا حصر له من تلك الجمل واشباهها عندما يسمعها . وهو لايفعّـل ذلـك اعتباطـا بـل يلـتزم بقواعد صوتيـة وصرفيـة ونحويـة ومعنويـة (نسـبة الـى المعنى) معقدة للغاية تصبح جاهزة لديه، خلافـا لمـا هـو متوقـع ، فـى فـترة زمنية قصيرة للغاية لاتتعدى السنتين أو الثلاث فى مطلـع طفولتـه وتعـد مـن حيث القصر معجزة فعليه اذا قورنت بما يبذله الفرد مـن الجهـد والوقـت فـى محاولة تعلم لغة أجنبية.

لقد دلـت التجـارب التـى أجريـت علـى الطيـور وعلـى النحـل وعلـى الدلفيـن بوجـه خـاص بـأن الـتراكيب لا يسـتطيع أى مـن هـذه المخلوقـات تكوينها، كل بوسيلة الاتصـال الخاصـة بـه، تراكيب محددة. وقد أمكن التوصـل الى اكتشاف هذه التراكيب اللغوية وتحديد معانيهـا . ولـم يتمكـن العلمـاء مـن التثبت فيما اذا كان لدى اى من هذه المخلوقات القـدرة علـى تكويـن تراكيـب أخرى جديدة تتناسب مع ظروف تختلف عن تلك التى تتحرك تلك المخلوقات فى اطارها. ولعل تجربة واحدة من تلك التجارب توضح مانقول .

لقد قضـى العالم الالمانى كارل فون فريش عمره كلـه فىدارسـة لغـة النحل فأحصى كل حركة من حركات تلك الحشرة، وأجـرى مئـات التجـارب

على النحل الذى كان يحتفظ به حتى تمكن من وصف تلك اللغة وصفا تفصيليا مثيرا للغاية أشرنا الى بعضه فى الصفحات السابقة. لقد تبين لذلك العالم بأن مملكة النحل مملكة فى غاية التنظيم وان افراد تلك المملكة يتفاهمون بوسيلة خاصة للاتصال فى كل مايتعلق بحياتهم ومعاشهم بشكل دقيق واضح كل الوضوح حتى ايقن أن للنحل لغة لاتختلف بشئ عن لغة الانسان سوى انها تستخدم أكثر من حاسة واحدة لايصال الرسائل المطلوب ارسالها. وقد وصفها وصفا دقيقا جدا يمكن للمهتمين بالموضوع الاطلاع عليه بالتفصيل فيما ألف من الكتب.

لقد تبين لفون فريش مثلا أن النحلة تستطيع أن تدل زميلاتها على مكان الرحيق الذى يمكن أن يبعد ثلاثة عشر كيلو مترا عن الخلية، وبحساب طول النحلة الى طول الانسان العادى مثلا نستطيع القول أن تلك المسافة تعادل حوالى الف كيلو متر بالنسبة للانسان. كما أنه اكتشف أن لكل مسافة رقصة خاصة تؤديها النحلة وأنها تأخذ فى اعتبارها أثناء طيرانها ورقصها اتجاه المصدر وكذلك أثر قوى الريح على طيران النحلة الى ذلك المصدر. كما اكتشف أن النحلة تستطيع أن تدل على مصدر الرحيق حتى ولو كانت تؤدى رقصتها داخل الخلية، أى فى الظلام الدامس، وفى اتجاه عمودى لا أفقى . لقد كانت تلك الاكتشافات مذهلة حقا ومثيرة للعميق من التفكير والتأمل ، كما أكدت أن للنحل لغة تكاد تكون طبيعية حقيقية شبيهة جدا بلغة الانسان وان اختلفت فى الوسيلة.

الا أن احدى التجارب خيبت الآمال الى حد كبير. وقد كانت التجربة بسيطة بحد ذاتها ولكن نتائجها كانت بالغة الأهمية. لقد أقام فون فريش احدى خلايا النحل على قاعدة من الاسمنت يقوم عليها برج للاسلكى. ثم أخذ عشر

نحلات من تلك الخلية وصعد بها مسافة خمسين مترا داخل ذلك البرج الى أن أوصلها الى مصدر للغذاء مزود بمحلول السكر وتركها هناك. وبعد أن اكتشفت النحلات مصدر الرزق سارعت بالعودة الى أسفل البرج حيث الخلية وأخذت تقوم برقصات معينة لمدة أربع ساعات كاملة الا أن سرب النحل أخذ يطير فى جميع الاتجاهات حول البرج بشكل افقى ولم تصعد نحلة واحدة الى أعلاه مرة واحدة، ولذلك لم يستطع النحل اكتشاف مصدر الرزق. وقد استنتج فون فريش من ذلك أن لغة النحل لم يكن فيها مايدل على مفهومى" فوق" و" تحت " أو" أعلى" و" أسفل" وهما المفهومان الجديدان اللذان حاول فون فريش أن يعرف فيما اذا كان بامكان النحل أن يتكيف معهما ويدخلهما فى لغته ، وبناء على ذلك فانه لايمكن اعتبار لغة النحل لغة حقيقية يمكن أن تعين على تكوين تراكيب جديدة غير معروفة سابقا كما هو الحال فى لغة الانسان.

لقد أجريت تجارب أخرى على الدلفينات استنتج منها فى أول الامر أن لدى هذا الحيوان القدرة على الخلق أو الابتكار اللغوى، ولكن الحقيقة تكشفت بعد ذلك وتبين عدم وجود تلك القدرة.

الا أن التجارب التى تجرى على الدلفينات ذات المستوى العالى من الذكاء تقوم بها السلطات العسكرية الامريكية بسرية تامة نظرا لأهميتها فى الحروب البحرية ولايعرف العلماء خارج المؤسسة العسكرية ماذا يجرى هناك بالضبط ولكن المعتقد أن العلماء هناك يقومون بتعليم الدلفينات على القيام بمهام معينة تستخدم القدرة اللغوية الخاصة بها.

ونخلص من كل ماسبق الى القول أنه ليس لدى أى من المخلوقات الاخرى غير البشرية لغة حقيقية تتوفر فيها جميع المواصفات التى تتوفر فى

لغة الانسان ، فبعضها تتوفر فيه بعض تلك المواصفات والبعض الاخر تتوفر فيه مواصفات أخرى، الا أنها جميعا تبدو مقصورة على اطارات معينة لاتتعداها ، وليس فى أى منها تلك المقومات التى تساعدها على خلق التراكيب التى تتطلبها المواقف الجديدة.

فاللغة الحقيقية اذا ظاهرة خاصة بالانسان. الا أن مادلت عليه الدراسات اللغوية الحديثة هو أن قواعد اللغة من صوتية وصرفية ونحوية ودلالية معقدة الى حد كبير جدا، كما أن توافرها فى ذهن الفرد يعطيه قدرة غير محدودة على أن يكون من عناصرها المختلفة المحدودة عددا لايحصى من التراكيب تكاد تكون جميعها جديدة لم ينطق بها أحد من قبل ، هذا اذا استثنينا الاقتباس من مصادرمعروفة كالكتب الدينية والاشعار وما اليها ، واذا استثنينا تلك التعابير المقننة التى تستعمل فى مناسبات اجتماعية معروفة.

العناصر الأساسية فى تعريف ابن جنى للغة:

من التعريفات الدقيقة للغة تعريف العالم اللغوى العربى أبى عثمان ابن جنى (ت ٣٩١هـ) الذى عرفها بقوله : " حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "(الخصائص ١/٣٣) .

نلحظ فى هذا التعريف عناصر أربعة أسياسية مميزة للغة ، وهى على النحو التالى:

١- طبيعة اللغة :

اللغة أولا وقبل كل شئ نظام من الرموز الصوتية ، وتكمن قيمة أى رمز فى الاتفاق عليه بين الأطراف التى تتعامل به ، وقيمة الرمز اللغوى تقوم على علاقة بين متحدث أو كاتب هو المؤثر وبين مخاطب أو قارئ هو

المتلقى. واللغة وسيلة التعامل ونقل الفكر بين المؤثر والمتلقى. وصدور هذه الرموز الصوتية اللغوية لأداء معان محددة متميزة يعينها المتحدث ويفهمها المتلقى – معناه اتفاق الطرفين على استخدام هذه الرموز للتعبير عن الدلالات المقصودة. وبهذا يكون هناك ارتباط غير مباشر بين الجهاز العصبى للمتكلم والجهاز العصبى للمخاطب وما اللغة إلا وسيلة الربط بينهما وأداة للتعبير. فكل موقف كلامى يشترط وجود متحدث ومتلق . وتتم عملية الكلام بأن يصدر بأن يصدر الجهاز العصبى عند المتحدث أوامره الى الجهاز النطقى عنده، فتصدر اللغة وتمضى على شكل موجات صوتية فى الهواء فيتلقاها المتلقى بجهازه السمعى ، ثم تنتقل بعد ذلك الى جهازه العصبى فتترجم هذه الرموز الصوتية اللغوية الى معانيها المرتبطة بها. واللغة وسيلة التعامل الاجتماعى الأولى فى المجتمع الانسانى ، أما وسائل الاتصال الأخرى مثل الاشارات الصوتية أو أعلام الكشافة فليست الا محاولة بديلة للنظام اللغوى، وهى تقوم أساسا على النظام اللغوى ولذا ليس لها بدونه وجود.

اللغة والكتابة :

الرموز اللغوية Linguistic Symbols رموز صوتية، ومعنى هذا أن طبيعة اللغة تتخذ فى المقام الأول صورة صوتية منطوقة مسموعة . فالكتابة فى أحسن أحوالها محاولة للتعبير عن اللغة فى واقعها الصوتى، وهذه المحاولة دقيقة أحيانا وغير دقيقة فى أكثر الأحيان. والكتابة محاولة لنقل الظاهرة الصوتية السمعية الى ظاهرة كتابية مرئية، فاللغة تسمع بالأذن والكتابة ترى بالعين. الكتابة محاولة لترجمة الظاهرة الصوتية السمعية الى ظاهرة كتابية مرئية، والكتابة محاولة لنقل اللغة من بعدها الزمنى الى البعد

المكانى، فالظواهر الصوتية تتابع فى الزمن والحروف المكتوبة تتابع فى المكان. واذا كانت اللغة فى المقام الأول ظاهرة صوتية فمن الطبيعى أن يقوم البحث اللغوى بدراسة اللغة فى صورتها الصوتية .

وعلينا أن نميز دائما بين الطبيعة الصوتية للغة وكيفية تدوين هذه اللغة، فالخط العربى شئ واللغة العربية شئ آخر. الخط العربى ذو امكانيات معينة يحاول بها التعبير عن الواقع الصوتى. ويدون الخط العربى الأصوات الصامتة مثل الباء والسين والصاد.. الخ والحركات الطويلة وهى: الضمة الطويلة والفتحة الطويلة والكسرة الطويلة بحروف الكتابة العربية . الخط يتعامل بالحروف. وعلم اللغة يتعامل بالأصوات . يحاول الخط العربى بشكل ما تدوين أصوات اللغة العربية الا أن الحركات القصيرة وهى الضمة والفتحة والكسرة ليست لها حروف فى الخط العربى . ولذا فكتابتها أمر اختيارى . ولكن الحركات القصيرة – شأنها شان الحركات الطويلة والصوامت – عناصر أساسية فى تكوين النظام اللغوى للعربية وكل اللغات. يؤدى تغيير الحركات الى تغيير المعنى فالفرق بين" ضـرب" المبنى للمعلوم "وضرب " المبنى للمجهول فرق فى الحركات أدى الى تحول فى الصيغة وتغير فى المعنى.

وثمة فرق أساسى بين مجموع الحروف ومجموع الأصوات فى أنماط كثيرة من الكلمات العربية فالفعل الماضى : كتبوا ، سافروا ... الخ ينتهى بألف ليس لها أية دلالة صوتية . وعلى العكس من هذه الظاهرة نجد الحروف التىتكتب بها كلمات كثيرة أقل عددا من الأصوات المكونة لها، وبعض الحركات الطويلة لاتكتب فى بعض الكلمات، مثل: هذا ، هذه ...الخ. وثمة فرق آخربين الحروف والأصوات، ويتضح هذا الفرق بأن نلاحظ أن

حرف الواو فى الخلط العربى يرمز ا لى ظاهرتين صوتيتين مختلفتين فى اللغة العربية ، فالواوترمز فى تدوين الكلمات: ورد ، ولد ، الى صوت صامت في العربية ، بينما ترمز الواو نفسها فى تدوين الكلمات خلود ، سرور ، شهود ، الى حركة طويلة فى اللغة العربية . وكذلك حرف الياء فى الخط العربى، فهو يرمز تارة الى صوت صامت فى الكلمات: يكتب ، يلعب، وتارة أخرى الى حركة طويلة فى الكلمات : فى ، لى . ولهذا كله لايجوز فى بحث اللغة العربية – أو أية لغة أخرى – أن نتعامل بالحروف المكتوبة، بل علينا أن ندرس الأصوات اللغوية المكونة لهذه اللغة، محاولين فى كل حالة أن نتبين الواقع الصوتى للغة مراعين مدى الاختلاف بين اللغة باعتبارها ظاهرة صوتية وكيفية تدوينها بالحروف.

٣- وظيفة اللغة :

ان الوظيفة الأساسية للغة هى التعبير أو الاتصال أو التوصيل . ويوافق اللغوى الفرنسى أندريه مارتينيه Andre Martinet ابن جنى فى ذلك بقوله: " ان الوظيفة الأساسية لهذه الآلة التى هى لغة هى الاتصال" ومأكثر الذين ذهبوا مذهب مارتينيه ، فشددوا على أن " الوظيفة الأساسية للغة ، هى أنها وسيلة من الاتصال، أو التوصيل، أو النقل ،أو التعبير ، عن طريق الأصوات الكلامية . وأن ماتوصله اللغة أو تنقله أو تعبر عنه ، هو الأفكار والمعانى والانفعالات والرغبات و ... الخ، أو" الفكر " بوجه عام". وهذه الوظيفة تبدو واضحة فى مظهر اللغة الراقى ،كما فى لغة المعلم ، عندما يشرح دروسه لطلابه، وكما فى لغة المحامى عندما يقدم مرافعته ، أو كما فى لغة الأديب والفيلسوف والعالم...الخ. ولعل من أسباب تطور اللغة

عبر الزمن، حاجتها للتكيف، وبأكثر الطرق توفيرا، مع حاجات الاتصال ، التى تتطلبها الجماعة اللغوية المتكلمة بها.

لكن وظيفة " الاتصال " أو " التوصيل " للأفكار والمشاعر وغيرها، ليست الوظيفة الوحيدة للغة، فالكلام الموجه الى الحيوان، والى الجماد أحيانا، لا يكون وسيلة" للتواصل" أو " التوصيل" . ومن الأمثلة التى تبدو فيها ، وظيفة" التوصيل " غير أساسية، مايلى:

أ – المناجاة والقراءة الانفرادية بصوت عال.

ب – استعمال اللغة فى السلوك الجماعى كالصلاة والدعاء وغيرهما.

ج – استعمال اللغة فى المخاطبات الاجتماعية، التى لاتستهدف غاية ، مثل لغة التحيات ولغة التأدب، والكلام على الطقس ... الخ.

د – استعمال اللغة أحيانا ، لاخفاء أفكار المتكلم ، على مايتضح فى لغة السياسة واللصوص وغيرهم.

وللغة، بالاضافة الى وظيفة " الاتصال" و " التوصيل" وظائف أخرى أهمها، أنها :

ب– مساعد آلى للفكر. فاللغة طريق تسهل الفكر، أو هى كما يقول سابير Sapir :" طريق ممهد أو أخدود كالأخاديد التى تراها على سطح أسطوانة، تمهد وتحدد السبيل للابرة لتمر فيه لتردد الصوت ". وان كانت اللغة تسهل الفكر وتساعد على نموه، فان الفكر نفسه يعود فيؤثر فى نمو اللغة وتطورها." فالتفاعل بين اللغة والفكر أمر واقع. فولادة فكرة مايسبقها عادة نوع من التعبير اللغوى الواضح أو غير الواضح،ولكن هذه الفكرة المولودة جديدا، لايصبح لهاكيان ذاتى، مالم تتلبس رمزا لغويا" . ولقد أكد

أكثر الباحثين أننا " نفكر بجمل" وأن " اللغة وعاء الفكر" كما أنه " لاوجود للفكر دون اللغة". وعلم المنطق الذى يعتبر علم " قوانين الفكر"، قد اتخذ اسمه عند الأوربيين لفظة Logic أو logique مشتقا من لفظة logos اليونانية التى تعنى الكلمة أو اللغة، كما أن العرب اشتقوا كلمة " المنطق" من النطق" اشارة الى مابين " اللفظ" و " الفكر " من صلات .

ونتيجة لهذه الوظيفة، تصبح اللغة سجل تاريخ الشعب ، ترتقى برقية وتنحط بانحطاطه، ونحن نستطيع أن نستبين من دراسة اللغة، الكثير من الآداب والعادات وضروب التفكير، وأنواع المشاعر، التى تسود مجتمعا ما.

لكن العلاقة بين اللغة والفكر، ليست " ايجابية" دائما ، اذ أن اللغة قد تعوق الفكر أحيانا ، بفرضها سبلا محدودة للتعبير . وكم من مرة نود التعبير عن بعض الأفكار والمشاعر، فتخوننا اللغة، ولانجد الكلمات المناسبة لغرضنا.

ج- أحد مقومات الوطن والوطنية، وذلك نظرا لما تخلف من شراكة فى الفكر والاحساس بين المتكلمين بها، فتكون ، بالتالى، مدعاة للوحدة الوطنية، ورابطا قويا يجمع الشعب الناطق بلغة واحدة .واللغات المختلفة فى الأمة الواحدة ، أو الوطن الواحد ، مدعاة الى التفكك والانهيار.

ونظرا لطول ملازمة اللغة لنا، تصبح كأنها وطننا الروحى ، أو كما يقول أنيس فريحة:" جزء من كياننا البسيكولوجى الروحى" واللغة ، بارتباطها بالفكر ، تصبح معينا للتراث وقطعة من تاريخ الأمة، وتصبح كل كلمة فيها مستودع ذكرى.

وتبدو أهمية وظيفة اللغة فى الوطنية، فى الصراع الذى ينشب بين الدول، فالدول المستعمرة تفرض لغاتها على الدول المحتلة. وأبرز الأمثلة على ذلك، فرض الايطالية فى ليبيا، والفرنسية فى تونس أثناء الاستعمار .لكن الدول المحتلة تحتفظ، عادة ، بلغتها أثناء استعمارها، وقد احتفظ البولنديون بلغتهم القومية عندما كانت بلادهم مقسمة على ثلاث امبراطوريات فى القرن الثامن عشر. ولعل من أهم ماتطالب به الشعوب فى ثورتها ضد المستعمر، استعمال لغاتها فى الأمور الرسمية، وفى التعليم، والشعوب تعتز بلغتها ،وقد حدثنا التاريخ كيف أن الأمويين نقلوا الدواوين الى العربية ، وكيف سعت الدولة الالمانية فى أواخر القرن التاسع عشر، ا لى تطهير لغتها من الألفاظ الفرنسية الدخيلة، وكيف حاولت تركيا كذلك، ابعاد الألفاظ العربية عن لغتها.

د- وسيلة للترابط الدولى والقومى. فجامعة الدول العربية هى فى وجه من وجوهها، لابل فى أهم وجه من وجوهها، جامعة اللغة العربية .ووجود اتحاد الدول الناطقة بالفرنسية Franco phone، خير دليل على وظيفة اللغة هذه ، كما أن الكومنولث لم يوجد الا نتيجة اللغة الانكليزية المشتركة بين أعضائه . ويذكر المؤرخون، أن من أسباب دخول الولايات المتحدة الأمريكية ، الحرب العالمية الاولى بجانب الحلفاء، الروابط اللغوية بينها وبين انكلتره.

هـ - وسيلة للترابط الاجتماعى: فاللغة نشاط اجتماعى ، قديقصد بها احيانا الحصول على العون والمساعدة، واقامة الود والالفة بين المواطنين ، ولهذا السبب ينظر أحيانا الى الصمت فى الاجتماعات على أنه ، مظهر عدائى أوأنه مظهر اختلاف فى وجهات النظر . وتظهر هذه الوظيفة اللغوية،

بشكل واضح، فى لغة التحيات والتخاطب والسؤال عن الصحة والأحوال ، ولغة التأدب ،والكلام على الطقس.

و – وسيلة للتنفيس عن الاحساسات وبخاصة العنيفة منها، فالانسان، عندما يخلو الى نفسه، وينشد الأشعار الحزينة، باكيا من فقدهم من الأحباب، يستعمل اللغة قصد التفريج والتنفيس عن آلامه وأحزانه ، دون أن يبغى نقل احساسات أو أفكار معينة. " وتبدو الأشكال العليا للوظيفة التنفيسية فى التعبير الجمالى. فكل الفن الأدبى تنفيس، طالما حركته الدوافع الجمالية كالشعر والقصة والمقالات والدراما. وتوصيل الأفكار العلمية، غالبا مايتخذ وظيفة جمالية ، وذلك حين يعنى الرياضى مثلا، لا بالتطبيق العملى للرياضيات ، بل بجمال التفكير المنظم نفسه، ساعيا الى مشاركة الآخرين فى المتعة بهذا.

و – وسيلة للتسلية أحيانا : فكثيرا مايتلاعب الكبار والصغار بأصواتهم ، قصد التلذذ والانتشاء والسرور. ومأأعضاء النطق ، أحيانا، الا آلات موسيقية يجب تشغيلها ، أو " آلة يجب الانسان أن يلعب بها، وهى تحرك النفوس ، كالموسيقى عند أقوام ، والخمور عند آخرين " . ومن هذا المنطلق ، نرى أن الحكم على المرأة بالثرثرة فيه أحيانا بعض التجنى، " فالمرأة مخلوق طبيعى، وتشعر أن هذه الهبة العظيمة – اللغة – للثرثرة والكلام فى غير المواقف الرسمية. اللغة عندها شئ مستحب، والثرثرة بهجة ومتعة. وفى هذا كثير من الصحة".

وخلاصة القول فى وظائف اللغة فى المجتمع، أنه ، الى جانب الوظيفة الأساسية للغة التى هى التواصل بين أفراد المجتمع، هناك وظائف

أخرى لها، قد تقل عن الوظيفة الأساسية من حيث الأهمية، لكننا لانستطيع نكران وجودها. وهذه الوظائف المتعددة للغة، تجعلها من أهم الظواهر أو "المؤسسات " الاجتماعية.

يقول كمال الحاج: " لكن اللغة أكثر من واسطة، انها غاية شرط أن نفهمها فهما ديناميا. هى ليست أجزاء تتركب فيما بينها بصورة اصطلاحية. هذا فهم موميائى لها، وتحديد جامد لحياتها. اللغة أصوات فى حروف، وحروف فى كلمات، وكلمات فى جمل، وجمل فى نحو، ونحو فى بيان. والبيان وحدة لاتتجزأ. هو الانسان رمة فى أفكاره ومشاعره ، والانسان كائن مجتمعى، واللغة تعكس هذا الانسان. عليها اذا أن تعكس حياة أمته فى مظهريها النفسى والمادى.(٤)

٣- الطابع الاجتماعى :

نلحظ فى كلمة " قوم " فى عبارة ابن جنى ادراكه للطابع الاجتماعى للغة. فلا تنشأ لغة دون جماعة بشرية فالجماعة البشرية هى الوعاء الطبيعى لنشوء اللغة فقد عرف المجتمع الانسانى منذ نشوئه اللغة. وكانت بالنسبة له من أهم مظاهر أنشطته الاجتماعيةوعلى هذا فوجود اللغة يشترط وجود مجتمع وهنا يتضح الطابع الاجتماعى للغة ، فليس هناك نظام لغوى يمكن أن يوجد منفصلا عن جماعة انسانية تستخدمه وتتعامل به. فاللغة ليست هدفا فى ذاتها وانما هى وسيلة للتواصل بين أفراد الجامعة الانسانية.

ومن القوانين اللغوية التى تتصف بشئ من الصدق والعموم كأن يقال:" ان اللغة لاتنشأ الا فى مجتمع " و" ان اللغة لاتستعمل الا فى مجتمع "

و" ان الكلام يختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية في المجتمع الواحد في العصر الواحد.[٥]

٤- علاقة الفكر باللغة :

يتضح لنا في تعريف ابن جنى السابق العلاقة الوثيقة بين اللغة والفكر . ولكن هل يمكننا أن نقول ان اللغة وسيلة للتعبير عن الفكر؟ وهل اللغة والفكر شئ واحد؟ أم أن اللغة هى التى تحدد مسار الفكر وترسم له حدوده؟.

ليس هنالك جواب قاطع على أى من هذه الاسئلة حتى يومنا هذا . وقد اتخذ الباحثون المختلفون مواقف مختلفة، وأحيانا متعارضة ، من هذا الموضوع. فعلماء النفس من اتباع المدرسة السلوكية مثل جون واتسون John Watson كانوا لايميزون بين اللغة والكلام بل يعتبرون اللغة هى الكلام (المنطوق فعلا) وقد اعتبروا التفكير نوعا من الكلام الداخلى المنطوق على مستوى الحنجرة فقط ، كما ا، سكينر Skinner المشار اليه سابقا كأحد رواد علم اللغة النفسى كان يعتبر التفكير نوعا من السلوك البشرى، كالسلوك اللغوى تماما ولذلك فقد قال بعدم جواز التمييز بينهما على أنهما شيئان مختلفان .

هذه احدى وجهات النظر التى لم تثبت طويلا للنقد والتجريب. فقد تبين بالتجربة العلمية أن شل حركة جميع أعضاء النطق بوساطة مخدر مثلا قد أثر فى النطق فأوقفه كلية ولكنه لم يترك أى أثر على القدرة على التفكير. هذا من الناحية الجسمانية. أما من الناحية اللغوية فقد أثبت دوسوسير وتشومسكى وغيرهما، أن اللغة نظام تجريدى يشارك فيه أبناء المجتمع

الواحد، أما الكلام الفعلى فهو واحد فقط من مظاهر القدرة اللغوية الكاملة، وربما كانت هنالك مظاهر لاتقل أهمية عن الكلام كالفكر مثلا الذى يستفيد حتما فائدة كبيرة جدا من ذلك النظام الذى يتمثل فى اللغة.

أما وجهة النظر المعارضة فتتمثل فى نظريات هردر Herder وهمبولت Humboldt وغيرهما فى أوروبا، وسابير Sapir فى أمريكا التى تقول بأن للغة تاثيرا كبيرا على الطريقة التى يفكر بها أفراد المجتمع الذين يتكلمون تلك اللغة والتى تختلف عن طريقة تفكير افراد مجتمع آخر يتكلمون لغة أخرى. ولكن هؤلاء جميعا لم يوضحوا بشكل صريح آراءهم فى نوع العلاقة بين اللغة والفكر. أما صاحب النظرية الواضحة بالنسبة لهذه العلاقة فهو بنيامين وورف Benjamin Lee Whorf الامريكى ، تلميذ سابير، الذى طلع من دراسته للغات الهنود الحمر فى امريكا ومقارنتها باللغات الاوروبية الحديثة، بالنظرية او الفرضية المعروفة باسمه Whorf Hypothesis والتى تقول ان البنية اللغوية أو التركيب اللغوى هو الذى يحدد الفكر ويسيطر عليه سيطرة كاملة، ولذلك فان معرفة البشر بهذا العالم وتجاربهم فيه ونظرتهم اليه ومواقفهم منه تختلف باختلاف اللغات التى يتكلمونها. أى أن العالم كما يراه البعض يختلف عن العالم كما يراه البعض الاخر، اذا كان كل من المجموعتين أو المجتمعين يتكلم لغة مختلفة . وقد أعطى صاحب النظرية أمثلة كثيرة من بنية الافعال بشكل خاص فى احدى لغات الهنود الحمر المسماة Hopi وقارنها ببنية الفعل فى اللغة الانكليزية واستنتج من ذلك أن نظرة كل من المجتمعين الى الزمن مثلا تختلف اختلافا جذريا عن المجتمع الآخر. ولعل أوضح مثل أعطاه وورف تأييدا لاثر اللغة على الفكر هو ماأتى به من واقع عمله كمسؤول فى احدى شركات التأمين

أثناء بحثه عن أسباب الحرائق. فقد لاحظ أن العمال كانوا يعاملون براميل النفط الخالية بدون مبالاة بينما كانوا حريصين جدا فى تعاملهمن مع البراميل المليئة بالنفط . وبذلك كان هؤلاء العمال يتجاهلون الواقع المؤلم وهو أن بعض تلك البراميل كانت مليئة بالفعل، ولكنها لم تكن مليئة بالنفط، بل بالابخرة والغازات الى يخلفها النفط عند تفريغه منها. وفى رأى وورف أن الذنب فى هذه الحالة يقع على كلمة خالية أى على اللغة التى أثرت فى طريقة تفكير العمال فجعلتهم يتصرفون بذلك الشكل. وهذه النظرية فى النهاية تعنى أنه لاوجود للفكر بدون اللغة، وهى بهذا تتفق مع النظرية السابقة.

ولكن هذه النظرية، أو هذا الشكل المتطرف من النظرية، لم يثبت كذلك أمام النقد والتجربة. فمن الواضح ان هنالك فكرا بدون لغة بدليل توفر الانتاج الفنى من رسم ونحت وتصويروموسيقى دون حاجة للغة. كما أن بعض العلوم الفعلية كالرياضيات والمنطق الرمزى مثلا تقوم حاليا على رموز لاكبير علاقة لها باللغة التى تستعملها. ولكن حتى هذه الامور اذا اردنا الكلام عنها فانا نحتاج الى اللغة التى لاغنى لنا عنها فى مثل هذه الاحوال. ان ذلك النتاج الفنى والذهنى من عمل افراد معدودين جدا ذوى مواهب خارقة فى ناحية من النواحى، الا أنه بالنسبة للأغلبية العظمى من الناس، فليس باستطاعتهم التفكير، بمعنى التأمل، فى حدود أبعد مما تسمح به قدرتهم اللغوية. وعلى الرغم من ان من الواضح أن للغة تأثيرا على طريقة تفكير الفرد الذى يتكلم لغة معينة، الا أن العلاقة بينهما ليست واضحة كأن يتكون الفكر أولا ثم تتبعه اللغة المعبرة عنه أو بالعكس. ويبدو أن من الاسلم القول بأن اللغة والفكر يعتمد كل منهما على الآخر الى حد كبير فنحن

لانستطيع أن نفكر أبعد من قدرتنا اللغوية، كما أن لانستطيع مأن ننطق بمــالا نستطيع التفكير فيه.[٦]

******

الفصل الثانى

علم اللغة والدرس اللغوى العربى

المفاهيم العربية لمصطلحات : اللغة ، وفقه اللغة وعلم اللغة:

ترد فى كتابات المؤلفين العرب المشتغلين بالمفردات العربية جمعا وتأليفا عدة مصلحات أقدمها مصطلح " اللغة" ويقصد بكلمة "لغة" مجموع المفردات ومعرفة دلالتها واصبح " اللغوى" هو الباحث فى المفردات جمعا وتصنيفا وتأليفا.

فالأصمعى لغوى لأنه جمع ألفاظ البدو وسجلها فى رسائل لغوية مصنفة فى موضوعات دلالية. والخليل بن أحمد لغوى، لأنه أول من حاول حصر الألفاظ العربية وتسجيلها فى معجمه المسمى بمعجم العين. وابن دريد لغوى أيضا لأنه ألف معجمه " جمهرة اللغة" .والأزهرى لغوى لأنه ألف معجمه " تهذيب اللغة" . وظل استخدام كلمة "اللغة" بمعنى بحث المفردات وتصنيفها فى معاجم وكتب موضوعية سائدا فى الدوائر العلمية عدة قرون.

وبجانب مصطلح " اللغة" هناك مصطلحان اضطربت ازاءهما آراء اللغويين العرب الى حد كبير فى تحديد مدلوليهما، وهما مصطلح " فقه اللغة"، ومصطلح " علم اللغة". وفى السطور التالية نعرض لهما عرضا مفصلا لنصل الى تحديد واضح لمفهوم كل منهما.

" فقه اللغة " وعلم اللغة من الناحية اللغوية:

بالنظر فى سائر المعاجم العربية يتضح لنا أن لفظة " فقه " تعنى " العلم " ، وفقه اللغة عندها هو " علم اللغة" ففى لسان العرب نجد فى مادة

"فقه" الفقه : العلم بالشئ والفهم له ، وغلب علم علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم ... والفقه فى الأصل: الفهم ، يقال : أوتى فلان فقها فى الدين أى فهما فيه . وجاء فى المعجم الوسيط ، فى المادة نفسها :" الفقه : الفهم والفطنة والعلم . وغلب فى علم الشريعة وفى علم أصول الدين " .

٢- " فقه اللغة " و " علم اللغة" من ناحية الاصطلاح ، فى الكتب العربية:

اذا كان " فقه اللغة" هو " علم اللغة " بعينه من الناحية اللغوية، فهل هو كذلك من الناحية الاصطلاحية؟ اى هل " فقه اللغة" المرادف للكلمة الفرنسية: Philologie وللكلمة الانكليزية: Philology هو بالتحديد " علم اللغة " ، أو " اللسانية" ، أو" الألسنية" ، المرادف للفظة الفرنسية Linguistique ، وللفظة الانكليزية Linguistic؟.

يظهر أن القدماء من علماء العربية ، لم يكونوا يفرقون بين هذين المفهومين ، ودليلنا على ماتذهب اليه ثلاثة أمور : أولها أن كتاب ابن فارس " الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها" - وهو أول كتاب وصل الينا يحمل فى عنوانه مصطلح " فقه اللغة" - لم يعلل لنا سبب تسمية الكتاب ، وقد عنونه بـ " الصاحبى" نسبة الى الصاحب بن عباد الذى أهداه اليه . وثانيهما أن كتاب الثعالبى:" فقه اللغة وسر العربية" - وهو الكتاب الثانى الذى وصلنا حاملا فى عنوانه مصطلح " فقه اللغة"- انما تسمى بهذا الاسم وفقا لاختيار الأمير الذى أهداه اليه، لا وفق خطة للبحث اتفق عليها علماء عصره ، كما أن القسم الأول من كتابه، وهو المعنون ب " فقه اللغة" ليس الا معجما لألفاظ عربية ، اختارها الثعالبى، ورتبها حسب المعنى الذى تشترك

فيه، وفق نسق خاص من الترتيب تـراءى لـه. وثالثها أن كتـاب ابـن جنـى " الخصائص" – وهو أقرب الكتب القديمة الى كتـب " فقـه اللغـة" التـى نعرفهـا اليوم، قد ضن عليه صاحبه باسم " فقه اللغة" ، فعنونه بـ "الخصائص" مشـيرا الى " الخصائص " أو " القوانين" التى تنتظم العربية.

هذا الاتجاه نحو التسوية بين" فقه اللغة " و " علم اللغة " ظل مسـتمرا عند بعض الباحثين المحدثين. يقول على عبدالواحد وافـى:" أمـا بحـوث علـم اللغـة نفسـه فقد درس المؤلفـون من العـرب بعضهـا تحـت أسـماء مختلفـة، أشهرها " فقه اللغة" . وهذه التسمية هى خير مايوضع لهذه البحوث، فان فقـه الشـئ هـو كـل مـايتصل بفلسـفته وفهمـه والوقـوف علـى مايسير عليـه مـن قوانين... وقد كنا نود أن نسمى كتابنا هذا (أى كتابه : علم اللغة) باسم فقـه اللغة لولا أن هذا الاسم قد خصص مدلوله فـى الاسـتعمال المـألوف، فـأصبح لايفهم منه، إلا البحوث المتعلقـة بفقـه اللغـة العربيـة وحدهـا". ويقـول الشـيخ صبحى الصـالح :" م العسير تحديد الفروق الدقيقة بين علم اللغـة وفقه اللغـة، لأن جل مباحثهما متداخل لدى طائفة من العلماء فى الشرق والغرب ، قديمـا وحديثـا... واذا التمسـنا التفرقـة بيـن هذيـن الضربين مـن ضـروب الدراسـة اللغوية، من خلال التسميتين المختلفتين اللتين تطلقان عليهما، وجدناهـا تافهـة لا وزن لها... وانه ليحلو لنا أن نقترح على الباحثين المعاصرين ألا يستبدلوا بهذه التسمية القديمة شيئا، وأن يعمموها على جميع البحوث اللغوية، لأن كـل علم لشئ فهو فقه ، فما أجدر هذه الدراسات جميعا أن تسمى فقها ".

لكـن ان كـان علـى عبدالواحـد وافـى، وصبحـى الصـالح وغيرهمـا، يسوون بين المصطلحيـن: " فقـه اللغـة" و " علـم اللغـة" ، فـان ثمـة بـاحثين ، آخرين محدثين ميزوا بينهما، ومنهم كمال بشر الذى يذهب الـى أن مصطلـح

"فقه اللغة" كان يعنى فى القديم نوعين رئيسين من الأبحاث اللغوية، يشمل أولهما البحث فى المعجمات وما اليها، بالاضافة الى مشكلات المفردات من حيث معانيها وأصالتها وسماتها، وترادفها ونحتها واشتقاقها (غير الصرفى) وصورها المجازية والحقيقية ، ويتضمن الثانى الدراسات العامة التى تعد مقدمة للعلوم أو ممهدة لها ، كالكلام على اللهجات، ووظيفة اللغة، وأصلها، ومصادرها ، وفكرة القياس ، والتعليل . ثم يقول : " أما فى الحديث. فلم يزل " فقه اللغة" يعنى البحث فى هذه القضايا وأضرابها، غير أن بعض الدارسين يخلطون بينه وبين علم اللغة بالمفهوم الجديد، فيطلقونهما فى مناقشاتهم كما لو كانا مترادفين، وهو خلط واضح ، ففقه اللغة بمفهومه القديم أو الحديث لايعدو أن يكون حلقة من حلقات الدرس فى علم اللغة، وبهذا يمكن الاستغناء عنه والاكتفاء بهذا المصطلح العام " علم اللغة" الذى يجرى تطبيقه الآن على أى نوع من أنواع الدرس اللغوى" . وكذلك يخلص عبده الراجحى من فصله الأول " فقه اللغة وعلم اللغة" من كتابه : " فقه اللغة فى الكتب العربية"، الى القول :" وغنى عن البيان الآن أن هناك فرقا واضحا بين موضوعى العلمين ومنهجيهما فى درس اللغة، وهذا التفريق ينبغى أن يكون واضحا عند بحث المنهج اللغوى عند العرب".(٧)

ويذكر الدكتور محمود فهمى حجازى أن علم اللغة يختلف عن علم الفيلولوجى Philologie (فقه اللغة) بالمعنى المتعارف عليه فى جامعات أوربا وأمريكا وأكثر جامعات العالم، فالدراسة الفيلولوجية تهتم باعداد النص القديم أو النقش اعدادا علميا للنشر على نحو ييسر للباحث استخدامه، وعلى هذا فمقابلة النصوص للخروج منها بالنص الأقدم والأقرب الى مادونه المؤلف عمل فيلولوجى واعداد النقوش للنشر العلمى للاستفادة منها لمعرفة

مضمونها التاريخى أو الدينى أو الحضارى، أو لدراسة حطها أو لبحث لغتها موضوعات تدخل فى علم الفيلولوجى ، لايقتصر علم الفيلولوجى على التحقيق العلمى للنصوص ، فهو يتناول أيضا وضع الشروح الميسرة لفهم النص ، كما أن الدراسات التى تنظر الى النص نظرة خارجية ببيان فكرة النص ومصادره وكيفية العرض فيه. كل هذا يدخل مفى اطار العمل الفيلولوجى. وواضح من هذا أن العمل الفيلولوجى عمل أساسى يستفيد منه البحث فى التاريخ والأدب، ويستفيد منه البحث فى اللغة كذلك ،/ ولكن العمل الفيلولوجى يختلف عن دراسات علم اللغة، كلاهما له أهمية ، ولكن هدفيهما مختلفان فتحقيق ديوان من الدواوين المخطوطة عمل فيلولوجى جليل يفيد البحث فى أكثر من فرع من فروع المعرفة، ولكنه عمل يخرج عن مجال علم اللغة. والتحقيق العلمى لنصوص معناه ببساطة تقديم النص للقارئ والباحث الحديث على الصورة التى أراد بها مؤلفه، أو أقرب مايكون الى هذه الصورة. أما الدراسة اللغوية للديوان فتعنى دراسة نص هذا الديوان فى ظواهره الصوتية والصرفية والنحويةوالدلالية ،أى دراسة هذا النص فى القطاعات الأربعةالتى حدد بها الباحثون المحدثون علم اللغة.

ويضيف الدكتور محمود فهمى حجازى أن مصطلح " فقه اللغة" .... نراه عنوانا لكتابين مهمين فى التراث العربى ، هما :كتاب " الصاحبى فى فقه اللغة " لأحمد بن فارس ، ا لقرن الرابع الهجرى، وكتاب " فقه اللغة وسر العربية للثعالبى(ولد ثعالب فى منتصف القرن الرابع للهجرة وتوفى قبل منتصف القرن الخامس للهجرة) يرى أنه اذا نظرنا فى مضمون هذين الكتابين محاولين تحديد مايعنيه المؤلفان بمصطلح " فقه اللغة" ، وجدناه يهتم بطائفة لابأس بها من الألفاظ يرتبها وفق الموضوعات ،وكأنه يريد تقديمها

لمن يريد تعلم عدد من الألفاظ التى أعجب بها اللغويون فى القرنين الرابع والخامس للهجرة. ويرى أن مضامين مثل هذه الكتب يمثل بالتحديد القطاع الرابع من علم اللغة الحديث، وهذا القطاع خاص بالألفاظ ودلالتها وبتصنيفها المعجمى . غير أن علم اللغة الحديث يدرس هذا القطاع بمعايير جديدة ويتوسل بمناهج مستحدثة فى العرض والبحث .

وهكذا نرى أن ثمة اتجاهين عند علمائنا المحدثين الذين كتبوا فى فقه اللغة: اتجاه استند الى الناحية اللغوية، والى المنهج العربى القديم، فسوى بين المصطلحين /" فقه اللغة " و " علم اللغة " ، واتجاه تأثر بالدراسات اللغوية الحديثة التى طورها علماء اللغة الأوربيون والأمريكيون ، ففرق بينهما.

٣- الفوارق بين " فقه اللغة " و " علم اللغة ":

بعد هذه الجولة فى بعض الكتب اللغوية التى تطرقت الى مفهومى" علم اللغة" و" فقه اللغة"، نشير الى أن الحركة اللغوية التى تطورت تطورا سريعا فى السنوات الأخيرة، تميل الى التمييز بينهما على أساس:

١- أن منهجية " فقه اللغة " تختلف عن منهجية " علم اللغة " ، بحيث أن الأولى تدرس اللغة كوسيلة لدراسة الحضارة أو الأدب من خلال اللغة، بينما تدرس الثانية اللغة لذاتها، يقول أحدهم: " ان التفريق بين الاصطلاحين :" فقه اللغة" و " علم اللغة " ، واجب للتفريق بين دراسة اللغة باعتبارها وسيلة ، وبين دراستها باعتبارها غاية فى ذاتها". ويؤكد دى سوسير De Saussure " أن موضوع علم اللغة الصحيح والوحيد هو اللغة فى ذاتها ومن أجل ذاتها ".

٢- أن ميدان " فقه اللغة " أوسع وأشمل ، اذ ان الغاية النهائية منه دارسة الحضارة والأدب، والبحث عن الحياة العقلية من جميع وجوهها، لذلك اهتم فقهاء اللغة بتقسيم اللغات وبمقارنتها بعضها مع بعض ، وباعادة صياغة النصوص القديمة لشرحها فى سبيل التعرف على ماتتضمنه من مضامين حضارية بمختلف وجوهها، " فقه اللغة هو الأرض الواسعة بين " علم اللغة " من ناحية وبين الدراسات الأدبية والانسانية من ناحية أخرى". أما علم اللغة فيركز على التحليل لتركيب اللغة ووصفها كميدانه الأساسى، وعندما يوسع علماء اللغة ميدان موضوعهم فيعالجون المعنى فانهم يقتربون من مجال فقه اللغة".

٣- ان اصطلاح " فقه اللغة" سبق، من الناحية الزمانية ، اصطلاح " علم اللغة"، الذى جاء " لتوضيح التركيز اللغوى دون غيرها كاساس للفرق بين الاثنين وذلك واضح فى وصف اللغة غالبا بأنه مقارن ، أما علم اللغة فهو تركيبى Structural أو شكلى Formelle (أى يعنى بالشكل فقط ولا يعنى بما حول اللغة أو مايتصل بالشكل اللغوى).

٤- ان " علم اللغة " اتصف منذ نشاته بكونه " علما " Science، حسب المفهوم الدقيق لهذا المصطلح، وقد شدد معظم علماء اللغة على هذه الناحية، لكن لم يحاول أحد أن يصف " فقه اللغة " بكونه علما.

٥- أن عمل فقهاء اللغة عمل تاريخى مقارن فى أغلبه Historique Comparative أما عمل علماء اللغة فوصفى تقريرى Descriptive .

هذه الفوارق بين" فقه اللغة" و" علم اللغة" ، أصبحت المعاجم اللغوية الحديثة تثبتها ،وقد جاء فى أحدها :" أن " علم اللغة" و " فقه اللغة" غير مترادفين، والعلوم التى يتضمناها مختلفة أشد الاختلاف. وهذا التمييز(بين فقه اللغة وعلم اللغة) حديث ، لأن علم اللغة لم ينتشر الا فى أواخر القرن التاسع عشر. وفقه اللغة علم تاريخى غايته معرفة الحضارات الماضية بوساطة الوثائق المكتوبة التى تركتها، والتى تساعدنا على فهم تلك الحضارات وتفسيرها.(٩)

******

الفصل الثالث

علم اللغة : مجالاته ومناهجه

وعلم اللغة هو العلم الذى يتخذ " اللغة" موضوعا لـه . قال فيردينان دى سوسير(١٨٥٧-١٩١٣) رائد علم اللغة الحديث معرفا هذا العلم فى " محاضرات فى علم اللغة العام" إن " موضوع علم اللغة الوحيد والصحيح هو اللغة معتبرة فى ذاتها ومن أجل ذاتها ".

واللغة التى يدرسها علم اللغة ليست الفرنسية، أو ا لانجليزية، أو العربية، ليست لغة معينةمن اللغات ، انما هى " ا للغة " التى تظهر وتتحقق فى أشكال لغات كثيرة ولهجات متعددة ، وصور مختلفة من صور الكلام الانسانى . فمع أن اللغة العربية تختلف عن الانجليزية، وهذه الأخيرة تفترق عن الفرنسية الا أن ثمة أصولا وخصائص جوهرية تجمع مابين هذه اللغات، وتجمع مابينها ومابين سائر اللغات وصور الكلام الانسانى، وهو أن كلا منها " لغة" ، أن كلا منها نظام اجتماعى معين تتكلمه جماعة معينة بعد ان تتلقاه عن المجتمع . فموضوع علم اللغة اذن ليس " لغة" معينة من اللغات بل " اللغة من حيث هى وظيفة انسانية عامة ، والتى تبدو فى أشكال نظم انسانية اجتماعية تسمى اللغات كالروسية والايطالية والعربية، أو " اللهجات " أو "اى اسم آخر من الاسماء. هذه الصور المتنوعة المتعددة واحدة فى جوهرها، وتمثل وظيفة انسانية.

هذه هى " اللغة" التى هى موضوع " علم اللغة ". أما معنى قول دى سوسير أن علم اللغة " فى ذاتها " ، فهو أنه يدرسها من حيث هى لغة ، يدرسها كما هى، يدرسها كما تظهر، فليس للباحث فيها أن يغير من طبيعتها، كما أنه ليس للباحث فى موضوع أى علم من العلوم أن يغير من طبيعته،

فليس له ان يقتصر فى بحثه على جوانب من اللغة مستحسنا اياها ، وينحى جوانب أخرى استهجانا لها ، أو استخفافا بها ، أو لغرض فى نفسه، أو لأى سبب آخر من الأسباب.

أما أن علم اللغة يدرس اللغة " من أجل ذاتها" فمعناه أنه يدرسها لغرض الدراسة نفسها، يدرسها دراسة موضوعية تستهدف الكشف عن حقيقتها.انه لايدرسها هادفا الى ترقيتها ، أو الى تصحيح جوانب منها أو تعديل آخر، ان عمله قاصر على أن يصفها ويحللها بطريقة موضوعية .(انظر : محمودالسعران ، علم اللغة ، ص ٤٩-٥١).

هذا يعنى أن علم اللغة فى أبسط تعريفاته هو دراسة اللغة على نحو علمى، ويعنى هذا أن الدراسة اللغوية موضوعية، وليست انطباعية ذاتية، ويعنى الوصفى العلمى للغة ايضا أنه يسير على طريقة منهجية تقوم على أسس موضوعية، بالاضافة الى ملاحظات يمكن التحقق منا واثباتها،وكل ذلك فى اطار نظرية عامة ملائمة للحقائق والمعلومات التى يحصل عليها الباحث .(١٠)

ولتحقق أن يكون علم اللغة علما يلزم أن يتصف البحث فى اللغة بخصائص العلوم وأهمها:

١- الشمول اى المعالجة الشاملة لكل المادة المجموعة ويقصد بذلك تناول كل جزئيات المادة موضوع البحث ولا يقصد بالجزئيات هنا أعيان الأشياء وذواتها بل العلاقات المشتركة أو الظواهر العامة الموجودة فى كل منها . ومن هنا فان علم اللغة لايختص بدراسة لغة بعينها ، وانما بالقواعد العامة التى تصلح للتطبيق على كل اللغات .

٢- الموضوعية ويقصد بذلك أن الباحث فى أى فرع من فروع العلم لابد وأن يتجرد عن أحاسيسه الشخصية ومعتقداته الخاصة ، ومن ثم يكون تفكيره مرتبطا بسلوك الظواهر الخاضعة للملاحظة بحيث تصبح طبيعة موضوع الدراسة هى الفيصل فى الحكم على هذه الظواهر ، ولاتثبت موضوعية الملاحظة أو المشاهدة الا اذا تكررت بحيث يتمكن كل الباحثين من تصحيحها فى كل زمان ومكان.

٣- التماسك، ويقصد به عدم التعارض بين عناصر الموضوع بصفة عامة ، بحيث لايتعارض مبدأ سابق مع مبدأ لاحق .

٤- الاقتصاد ، أى كلما كانت التعبيرات المستخدمة فى وصف تركيب معين قليلة وواضحة كلما كان هذا أفضل من الاستطراد. وبمعنى آخر أنه لو كانت كل المفردات متساوية فى الحكم فانه يعبر عنها جميعا بعبارة (قاعدة) واحدة .

٥-الاستقلال، وهو من المظاهر المهمة لعلمية علم اللغة ، ويقصد بذلك استقلال علم اللغة عن التاثيرات الفلسفية والأدبية، تلك التأثيرات التى هيمنت على الدراسة اللغوية الأوربية لعدة قرون بفعل الثقافة اليونانيةمنذ القرن الخامس قبل الميلاد. ولذا فان علم اللغة عندما يحاول أن يتخذ لنفسه منهجا مستقلا انما كان يبحث لنفسه عن بداية جديدة وموضوعية فىالنظر الى اللغة ودراستها دون أحكام مسبقة، أو افكار تقليدية، ودون أن يعتنق بالضرورة آراء الفلاسفة أو علماء النفس أو نقاد الأدب أو من يمثل آراء أى علوم أخرى. ولكن هذا لايعنى انه لاتوجد - أو ينبغى ألا توجد - صلة بين علم اللغة والعلوم الأخرى التى تعنى باللغة ، اذ الحقيقة

انه يوجد آلان تقارب واضح بين علماء اللغة وعلماء علوم أخرى مثل علماء علم النفس وغيرهم.[11]

أولا: مجالات علم اللغة الحديث :

يدرس علم اللغة الحديث بنية اللغة من الجوانب التالية :

١- الاصوات Phonetics, Phonology

٢- بناء الكلمة Morphology

٣- بناء الجملة Syntax

٤- الدلالة Semantics

وهذا التقسيم ينطلق من الوحدات الصغيرة فى اللغة الى الوحدات الأكبر، فاللغة الواحدة تتكون من عدد محدود من الوحدات الصوتية يتراوح عددها فى أكثر اللغات بين الثلاثين والأربعين . بهذا العدد المحدود من الوحدات الصوتية يمكن أن تتألف ملايين الكلمات وذلك عن طريق الانساق المختلفة لهذه الوحدات الصوتية فى المواقع المختلفة، فالكلمات (كتب) ، (بكت)، (تكب) ، (بنك)،(تبك)، (كبت) ممكنة من الناحيةالنظرية ، تتكون من نفس الوحدات الصوتية ولكنها تختلف فى ترتيب هذه الوحدات داخل الكلمة، وبعض هذه الكلمات موجود فعلا فى واقع العربية والبعض الآخر غير موجود فى الواقع ، مع أنه ممكن من الناحية النظرية.وهكذا نجد العدد المحدود من الوحدات الصوتية فى أية لغة يمكن أن يكون ملايين الكلمات، ولكن كل لغة من اللغات تختار من هذه الكلمات الممكنة - نظريا - عدة آلاف فقط.

وهذه الكلمات تنتظم وفق مجموعة من الضوابط الصرفية مثل الأبنية والسوابق واللواحق فتكون لكل مجموعة سماتها البنيوية ومحتواها الدلالى

فوزن فاعل يعد فى العربية أحد الأبنية الصرفية وهو يعبر عمن قام بالشئ.. والسوابق مثل الميم فى العربية تؤدى عدة وظائف ، منها مثلا أنها تكون اسم للفاعل من غير الثلاثى مثل:مكرم واسم المفعول منه مكرم وغير هذا وذلك من الصيغ. واللواحق فى العربية كثيرة، منها مثلا اللواحق الخاصة بالجمع السالم، سواء أكان جمع مذكر سالما ينتهى (ون) فى الرفع و (ين) فى النصب والجر ، أو جمع مؤنث سالما ينتهى (ات) فى الرفع (ات) فى النصب والجر . وهكذا نجد أن عددا محدودا من الاصوات كون مجموعة كبيرة من الانساق بتغيير المواقع التى تتخذها كل وحدة صوتية داخل المجموعة ، ثم تأتى الأبنية والسوابق واللواحق لتعطى هذه الأصوات امكانية تكوين ملايين الكلمات .

ولكن بنية اللغة لاتكتفى بمجرد وجود هذه الكلمات فالفرق الأساسى بين (ضرب موسى عيسى)، و(ضرب عيسى موسى) لايرجع الى اختلاف الكلمات بل فى اختلاف ترتيب الكلمات داخل نفس النمط من أنماط الجملة . وصيغة الماضى (قرأ) تجاوز هذا المعنى اذا ماكانت فى الجملة:(ان قرأت هذا الكتاب وجدته سهلا) فالمعنى هنا لايصدق علىالماضى بحال من الأحوال بل يتناول أمرين لم يحدثا ، ومع هذا فالفعلان ماضيان ومعنى هذا أن مجرد بيان أن الصيغة للماضى لايكفى للتعرف على المعنى ولابد فى هذا السياق من دراسة الانماط المختلفة التى تتخذها الجملة فى كل لغة من اللغات. وهكذا تتيح الانماط المختلفة لبناء الجملة أن تعبر اللغة بآلاف الكلمات الموجودة فيها – فعلا – عن ملايين المعانى التى تكاد تصل إلى اللامحدود.

ان الوحدات الصوتية تكون الكلمات والكلمات تكون الجمل ، والجمل ينبغى لها أن تحمل دلالات، ولذا يتناول البحث الدلالى كل مايحدد معنى الكلمات والعبارات، وتعد المعاجم نتيجة تطبيقية للبحث الدلالى.

ترتيب هذه المجالات: الاصوات ، بناء الكلمة بناء الجملة، والدلالة ، على هذا النحو متفق عليه عند كثير من اللغويين المحدثين والمعاصرين. وهو ترتيب مخالف لما كان عند سيبويه وجمهور النحاة العرب، فقد انطلقوا من قضية الجملة والاعراب الى قضية الأبنية ا لصرفية الى قضية الأصوات، أى من الوحدات الأكبر الى الوحدات الأصغر. وقد ظهرت فى السنوات الاخيرة اتجاهات عند بعض اللغويين الأمريكيين والأوربيين تنطلق فى التحليل اللغوى من الوحدات الكبيرى الى الوحدات الأصغر، ولذا فهى تبدأ بتحليل الجملة وتنتهى بالتحليل الصوتى.

ثانيا : مناهج علم اللغة الحديث:

عرف علم اللغة الحديث منذ نشاته فى القرن التاسع عشر الى اليوم عدة مناهج، هى على الترتيب :

١- علم اللغة المقارن Comparative Linguistics

٢- علم اللغة الوصفى Descriptive Liaguistics

٣- علم اللغة التاريخى Historical Linguistics

٤- علم اللغة التقابلى Contrastive Linguistics

١- علم اللغة المقارن :

يتناول علم اللغة المقارن مجموعة لغات تنتمى الى أسرة لغوية واحدة بالدراسة المقارنة. وعلم اللغة المقارن أقدم مناهج علم اللغة الحديث،

وبه بدأ للبحث اللغوىعصر ازدهاره فى القرن التاسع عشر. ويعتمد البحث المقارن على وجود تصنيف واضح للغات الى أسرات لغوية، ولم تكن للقرابة بين اللغات معروفة على نحوعلمى دقيق الى أن اكتشفت اللغة السنسكريتية فى الهند. لقد قورنت السنسكريتية باليونانية واللاتينية، وثبت من هذه المقارنة توجود قرابة لغوية بين هذه اللغات وأنها ترجع الىأصل قديم بائد. وتقدم البحث شيئا فشيئا فقورنت اللغات الأوربية المختلفة واللغات الايرانية واللغات الهندية، وثبت بهذه المقارنات أن كثيرا من هذه اللغات تحمل أوجه شبه فى البنية والمعجم، وبذلك اتضحت معالم أسرة لغوية كبيرة تضم لغات كثيرة فى الهند وايران واوربا. وأطلق الباحثون على هذه الأسرة اسم أسرة اللغات الهندية الأوربية ، ويسميها الباحثون الالمان - وحدهم- أسرة اللغات الهندية الجرمانية. وقام الباحثون فى اللغات السامية أيضا بتطبيق المنهج المقارن كما تطور فى مجال اللغات الهندية الاوربية. وبذلك ظهر علم اللغات السامية المقارن الذى يبحث مجموعة اللغات العربية والعبرية والآرامية والاكادية والعربية الجنوبية والحبشية. وقد ازدهر البحث المقارن فى اللغات السامية فى فترة كانت الكشوف الأثرية قد أظهرت لغات قديمة مكتوبة على النقوش، وهى اللغات الأكادية فىالعراق والعربية الجنوبية فى اليمن والفينيقية فى ساحل الشام. واضيف الى اللغات السامية فى القرن العشرين اللغة الاجريتية التى اكتشفت فى ساحل الشام بالقرب من مدينة راس شمرا سنة ١٩٢٦. ان البحث المقارن يتناول اسرة لغوية كاملة أو فرعا من أفرع هذه الأسرة اللغوية ، ولذا يعد علم اللغات الهندية الأوربية المقارن فرعا مستقلا من أفرع البحث اللغوى، وكذلك يعد علم اللغات السامية المقارن فرعا آخر من أفرع البحث اللغوى.

يتناول علم اللغة المقارن المجالات المذكورة لعلم اللغةفيبحث من الناحيةالصوتية الأصوات الموجودة فى هذه اللغات المنتمية الى أسرة لغوية واحدة محاولا التوصل الى قواعد مطردة تفسر التغيرات الصوتية التى طرأت على مدى الزمن فانقسمت اللغة الواحدة الى لهجات ولغات كثيرة انقسمت بدورها الى لغات أخرى. وقد اتضح فى اطار البحث الصوتى المقارن أن مجموعة من الاصوات مستمرة دون تغير يذكر فى كل لغات الاسرة الواحدة، فكل اللغات السامية مثلا بها صوت الراء دون تغير يذكر فى كل لغات الأسرة الواحدة، فكل اللغات السامية مثلا بها صوت الراء دون تغير ، وعلى العكس من هذا فهناك أصوات خضعت لتغيرات بعيدة المدى منها مثلا صوت الضاد الذى اختفى بمضى الوقت من كل اللغات السامية باستثناء اللغة العربية. وعلى ذلك فالبحث فى أصوات الحلق فىاللغات السامية أو فى أصوات الاطباق فى اللغت السامية أو فى الاصوات الشفوية فى اللغات السامية يعد من قضايا علم الاصوات المقارن فى اللغات السامية وذلك لأن هذه البحوث فى مجال الاصوات وتعد بمنهج مقارن .

أما من ناحية بناء الكلمة فيتناول علم اللغة المقارن كل مايتعلق بالاوزان والسوابق واللواحق ووظائفها المختلفة ، وعلى هذا فدراسة الضمائر فى اللغات السامية تعد من دراسات علم الصرف المقارن، لأنها فى مجال بنية الكلمة وتتم بمنهج مقارن وهذه حال البحوث فى أبنية الأفعال فى اللغات السامية، أو: اسم الفاعل فى اللغات الساميةأو المصدر فى اللغات السامية، فكل هذه البحوث تدخل فى علم الصرف المقارن للغات السامية.

ويعد البحث المقارن فى بناء الجملة مجالا ثالثا من مجالات البحث فى علم اللغة المقارن . ان دراسة الجملة الخبرية فعلية كانت أو اسمية فى

اللغات السامية يعد موضوعا اساسيا من موضوعات البحث وكل القضايا المتعلقة ببناء الجملة فى اللغات السامية تدخل أيضا فى هذا الاطار. من هذه الموضوعات : الاستفهام فىاللغات السامية، الاستثناء فى اللغات السامية، المطابقة بين الفعل والفاعل فى اللغات السامية، المطابقة بين العدد والمعدود فى اللغات السامية.

ويتناول علم الدلالة المقارن فى اللغات السامية كل مايتعلق بتاريخ الكلمات وتأصيلها. فهناك عدد من الكلمات السامية المشتركة نجدها فى كل اللغات السامية تارة بنفس المعنى وأخرى بمعنى مقارب ، وبحث هذه الكلمات مما يدخل فى علم الدلالة المقارن . وهناك كلمات كثيرة فى اللغات السامية تكونت من مواد مشتركة، وبحث هذه الكلمات الجديدة، والتغير الدلالى الذى طرأ عليها يدخل كذلك فى علم الدلالة المقارن، وأهم جانب تطبيقى لعلم الدلالة المقارن هو تأصيل المواد اللغوية فى المعاجم ، وتأصيل المواد المعجمية العربية بردها الى أصولها السامية ان وجدت يعد من الاضافات المهمة التى نجدها - مثلا - فى المعجم الكبير الذى يصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وهذه التأصيلات تقوم على علم الدلالة المقارن للغات السامية.

٢- علم اللغة الوصفى :

يتناول علم اللغة الوصفى بالدراسة العلمية لغة واحدة أو لهجة واحدة فى زمن بعينه أو مكان بعينه. ومعنى هذا أن علم اللغة الوصفى يبحث المستوى اللغوى الواحد . لقد ظل علماء اللغة فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين يبحثون اللغات بالمنهج المقارن ، وكان البحث المقارن هو

الشكل الوحيد المتصور للبحث اللغوى. ولكن الباحث السويسرى دى سوسير أثبت بدراسته فى نظرية اللغة امكان بحث اللغة الواحدة بالتعرف على بنيتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية. وهذا البحث يرتبط عنده بمستوى لغوى بعينه فى زمن واحد، ومعنى هذا أن البحث الوصفى لايجوز له أن يحفظ المراحل الزمنية أو يخلط المستويات المختلفة. لقد بدأ الباحثون بعد دى سوسير فى تطوير مناهج البحث فى البنية اللغوية، وزاد اهتمام الباحثين بالمنهج الوصفى فى الخمسين عاما الماضية، وتكونت فى هذا الاطار عدة مدارس تختلف فى تقنيات الوصف اللغوى، ولكنها تنطلق من الأساسيات التى تكونت عند دى سوسير وعند من جاءوا بعده . لقد اصبح علم اللغة الوصفى سائدا عند أكثر المشتغلين ببحث اللغة فى العالم ، حتى ان البعض يتحدث عن علم اللغة الحديث ويعنى علم اللغة الوصفى، وكأنه هو المنهج الحديث الوحيد فى علم اللغة.

ان كل البحوث التى تتناول مستوى واحدا من مستويات اللغة بالدراسة الشاملة أو الجزئية لأحد جوانبه تعد من موضوعات علم اللغة الوصفى . فدراسة البنية الصوتية العربية الفصحى فى القرن الثانى للهجرة، ودراسة البنية الصوتية للعربية المعاصرة، ودراسة المقاطع فى لهجة عمان ، تعد من الدراسات الصوتية الوصفية.أما علم الصرف الوصفى فيبحث موضوعات مثل: ابنية الأفعال فى لهجة القاهرة،أبنية الاسماء فى العربية الفصحى المعاصرة، المشتقات فى القرآن الكريم ، المصدر فى الشعر الجاهلى. وهذه أمثلة لدراسات تتناول بناء الكلمة فى مستوى لغوى بعينه من مستويات اللغة. وتدخل قضايا تحليل بناء الجملة ايضا فى علم اللغة الوصفى ، ومن أمثلة بناء الجملة بالمنهج الوصفى: الجملة العربية فى الشعر

الجاهلى، الجملة الخبرية فى القرآن الكريم ، الجملة الطنبية فى الأصمعيات ، الجملة الشرطية عند الهذليين، جملة الاستفهام فى النثر العربى الحديث وفى الجانب المعجمى – أيضا – مجالات كبيرة لتطبيق المنهج الوصفى . وهناك معاجم أعدت لمستوى لغوى بعينه مثل معجم الفاظ القرآن الكريم . وتعد الآن فى اطار خطة الرسائل الجامعية فى كلية الآداب جامعة القاهرة معاجم يختص كل منها بشاعر بعينه أو بكاتب بعينه من كتاب العربية، وهى جهود تهدف الى تسجيل الواقع المعجمى فى هذه النصوص . وهكذا فان مجالات البحث الوصفى كثيرة ، وأية دراسة صوتية أو صرفية أو نحوية أو دلالية لأحد مستويات العربية قديما أو حديثا تعد دراسة وصفية.(١٢)

ولأهمية علم اللغة الوصفى نركز فى الصفحات التالية على توضيح منهجه الأساسى فى اللغة، وهو المنهج الاستقرائى الوصفى، وذلك بالقاء الضوء على نشاته ، وأهم رواده، ومنهجيته، وعلاقته بالنحو العربى :

١- نشـــــأته :

لعل أهم مناهج البحث فى اللغة ، المنهج المعيارى التقليدى، والمنهج الوصفى الاستقرائى . واذا كان المنهج الاول قد ساد الدراسات اللغوية القديمة، وبخاصة فى اللغة العربية، منذ نشاته فى اليونان على أيام أرسطو ، حتى أواخر القرن الماضى ، فان الثانى يعتبر المنهج الأكثر أهمية وموضوعية، والأكثر جذبا للانتباه والدراسة فى العصر الحديث. أما تسميته بالمنهج الوصفى التقريرى الاستقرائى، فقد جاءت رده فعل على المنهج التاريخ التعليلى المعيارى القديم، الذى كان مسيطرا على الدراسات اللغوية العربية والأوربية.

نشأ المنهج الوصفى عند الغربيين فى أوائل هذا القرن ، وأخذ ينمو ويتطور تطورا سريعا فى السنوات الأخيرة ، فكثرت البحوث فيه، وتشعبت الدراسات التطبيقية بشأنه . وعندما اطلع الدارسون عندنا على هذا المنهج، بدأوا يكتبون فيه محاولين تطبيقه على دراسة اللغة العربية. كل ذلك أدى الى اعادة النظر فى المعطيات اللغوية ، وبخاصة المفاهيم الأساسية العائدة للدراسة اللغوية (مفهوم الكلمة والجملة والصرف والتركيب ...الخ'.

٢- رواده :

لعل أهم رواد هذا المنهج، فردينان دى سوسير Ferdinand de Saussure وادوارد سابير Edward Sapir وليونرد بلومفيلد Leonard Bloomfield ونيقولاى تروبتسكوى Nkiolai. S. Troubetskoy ورومان جاكبسون Roman Jakobson وأندريه مارتينيه Andre Martinet ونوام تشومسكى Noam Chomsky وسنتكلم بايجاز على الرواد الثلاثة الأوائل.

أ - فردينان دى سوسير:

يعتبر دى سوسير Ferdinand de Saussure (١٨٥٧ - ١٩١٣) مؤسس علم اللغة الحديث .ولد فى سويسرا ، وتخصص فى اللغة السنسكريتية (الهندية القديمة) ، ونال درجة الدكتوراه فيها درس فى معهد الدروس العليا فى باريس مدة عشر سنوات ، ومادة النحو المقارن، مشاركا فى الجمعية اللغوية الفرنسية La Societe linguistique francaise . ثم انتقل الى جنيف ، فحاضر فى " النحو المقارن" ثم فى " علم اللغة العام ". بعد وفاته ، فى السنة ١٩١٣ ، قام طلابه ، بجمع محاضراته ، فنشروها

كتابا سموه " محاضرات فى علم اللغة العام " Cours de linguistique generale، فكان أول عمل مهم بدأ يحدد الأسس التى صدر عنها علم اللغة الحديث.

من أهم نظريات دى سوسير:

١- اللغة مادة البحث الألسنى: أكد سوسير أن الهدف الوحيد للدراسة اللغوية هو دراسة اللغة، كواقع قائم بذاته، ولذاته ،وأنه يمكن أن تجرى هذه الدراسة من عدة جوانب (الوظيفة ، شروط وجودها ، نظامها ، محتوياتها..الخ).

٢- التفريق بين الدراسة التاريخية والدراسة الوصفية : رأى دى سوسير أن الاتجاه التاريخى الذى كان يسود أبحاث لغويى عصره ، اتجاه غير علمى ، لأنه يخلط بين البعد التاريخى للغة، وبين تنظيمها ، وعنده ، أن اللغة ، فى كل لحظة، واقع قائم بذاته ، من ناحية، وتطور تاريخى من جهة أخرى. وعليه لابد من التمييز بين نمطين للدراسة اللغوية: الدراسة .التاريخية Diachronique، وتدرس الظواهر اللغوية فى تطورها عبر الأعصر، والدراسة التعاصرية أو التزامنية Synchronique، وتدرس الظواهر اللغوية فى زمن معين .وعلى الدراسة الثانية " التعاصرية" أطلقت تسمية الدراسة الوصفية، التى وجدها اللغويون المحدثون المنهج الصالح لدراسة اللغة على أساس علمى.

٣- اللغة والكلام : يميز دى سوسير بين اصطلاحين:" اللغة " La langue و " الكلام " La parole . فـ " اللغة " عنده ، هى ذلك التنظيم الكامن عند أناس يتكلمون لغة واحدة ، انها " كنز" وضعته ممارسة

الكلام،عند هؤلاء الأفراد ، فهى تتخذ شكل معجم تتوزع نسخه المتعادلة بين الأفراد. أما " الكلام " فهو تحقيق اللغة عند فرد ما، فهو مرتبط باللغة، لكنه يختلف عنها، فى أنه ليس " واقعة اجتماعية " ، بل " واقعة فردية"، تصدر عن " وعى" فرد ، وتتصف بالاختيار الحر ، أما اللغة وان كانت خارج نفوذ الفرد فانها تطبعه بطابعها . وبما أن " الكلام " فردى ، قائم على عنصر الاختيار ، ولايمكن التنبؤ به، فاننا لانستطيع دراسته دراسة علمية، بعكس " اللغة" التى هى " واقعة اجتماعية " تتصف بكونها " عامة".

٤- اللغة نظام من الاشارات المفارقة: يعرف دى سوسير اللغة بأنها نظام من الاشارات المفارقة Signes distincts و " الاشارة " عنده تتكون من اجتماع الدال le signifiant، أى الصورة السمعية للكلمة، بالمدلول Le signifie أى الشئ المعين ، أو مجموعة الأفكار المقترنة بالدال. وهى - أى الاشارة - لاتصل " الشئ" ب " اللفظ " ، كما كان يتوهم علماء عصره، بل " الصورة السمعية " (اللفظ) ، بـ" التصور " ، أى التمثيل الثقافى الذى يضفيه الانسان على " الشئ" أو " الفكرة " .ومفهوم " الاشارة" شئ يمكن تحديده وتعيينه ، فهى صالحة ، بالتالى، لوضع منهج علمى وصفى . وهى تتسع عنده لتشمل كل مايمكن تمييزه كالجمل والعبارات والكلمات والمورفيمات Les morphemes.

ب - ادوار سابير:

يمثل ادوار سابير Edward Sapir (١٨٤٨- ١٩٣٩) جيل رواد المدرسة الوصفية فى الجامعات الاميريكية ، تلقى سابير علومه فى جامعة كولومبيا بنيويورك، حيث تخصص باللغة الألمانية. حاز على الدكتوراه فى

الأنتروبولجيا فى السنة ١٩٠٩. اهتم بالدراسات الهندو - أوروبية. له كتاب واحد هو " اللغة" Language ، ومقالات وأبحاث عدة منشورة فى المجلات والدوريات الأمريكية .

فرق سابير ، كدى سوسير، بين الدراسة التاريخية التقليدية، والدراسةالتعاصرية أو الوصفية . ولعل أهم ماأضافه الى علم اللغة الحديث ، ماأسماه بالشكل اللغوى la Forme Linguistique، أو " التركيبات الشكلية " للغة ، فرأى أن المنهج العلمى يجب أن يركز على دراسة هذه " التركيبات"، أى دراسة أنماطها فى الصوت والكلمة والجملة، لأن التركيب اللغوى هو أهم خصائص اللغة ، لكن ذلك، لايعنى درس" الاشكال اللغوية" مستقلة عما تؤديه من وظيفة فى ايضاح المعنى .وعليه يجب أن تشمل الدراسة اللغوية ركنين أساسيين : أولهما " التصورات " الأساسية التى تؤديها اللغة فى عملية الاتصال بين الناس ،وثانيهما " الطرائق الشكلية " المرتبطة بهذه التصورات، والتى يعبر بوساطتها عن المعانى.

١-يسوغ سابير تركيزه فى دراسة اللغة ، على هذه الاشكال اللغوية، أو النماذج الفونولوجية، بملاحظات منها :

٢-استمرار هذه " النماذج" أو " الأشكال " فى حالة تغير محتواها الصوتى.

٣-امكانية وجود لغتين أو لهجتين متقاربتين ، متعادلتين فى هذه الأشكال اللغوية ، ومختلفتين فى الأصوات اللغوية.

٤-امكانية وجود لغتين محتويتين على الأصوات اللغويةنفسها ،دون أن تخضعا لنماذج فونولوجية مماثلة.

هذه الملاحظات ، أدت به الى التأكيد ، أكثر من مرة، أن المنهج العلمي يرفض دراسة اللغة فى ضوء تصورات سابقة، أو على ضوء "أنماط" من لغات أخرى وعنده ، يجب على هذا المنهج أن ينطلق من واقع اللغة نفسها ، لأن لكل لغةأقسامها الخاصة وتراكيبها المتميزة ، فيركز على دراسة العناصر الأساسية المكونة للشكل اللغوى.

ج – ليونرد بلومفيلد :

تخصص بلومفميلد Lenoard Bloomfield (١٨٧٧-١٩٤٩) فى اللغة الالمانية بجامعة هارفرد فى الولايات المتحدة الاميريكية ، ونال الدكتوراه فى هذاالمجال . أصدر فى السنة ١٩١٤ كتابه " مدخل الى دراسة اللغة" Introduction to the study of language، ثم راجعه ، وعدل فيه،وأصدره مجددا فى السنة ١٩٣٣، بعنوان : اللغة Language. وقد لقى هذا الكتاب انتشارا واسعا، فاعتبر المرجع الأساسى لدراسة اللغة آنذاك . شارك بلومفيلد فى تأسيس الجمعية الألسنية الأميركية Linguiostic Society of America وتأثر بالمذهب السلوكى الواطسونى Behaviorisme، الذى يفسر السلوك الانسانى على ضوء الثنائية: مثير، استجابة.

بدأ بلومفيلد كتابه بتحديد " دراسة اللغة" فنقذ المنهج التاريخى، لأنه استدلالى معيارى، داعيا الى المنهج الوصفى الاستقرائى. وعنده أن اللغة استجابة كلامية لمثيرات المحيط ، فهى صورة من السلوك " الجسمانى" وهو يشرح ذلك برواية قصة، توضح ظروف الكلام التى يعيدها الى ثلاثة:

أ – أحداث عملية تسبق عملية التكلم.

ب – عملية التكلم .

ج – أحداث عملية تلى عملية التكلم.

ثـم يفـرق بيـن نظريتيـن لتفسـير الكـلام : الأولـى عقليـة mentalistique ترجع السلوك الانسانى الى الروح ، أو العقل ، أو الارادة، أى ، الى عوامل غير فيزيائية ملموسة ، وهذه العوامل لاتخضع للوصف العلمى والثانية مادية Materialistique أو آلية mechanistique تعيد التصرفات الانسانية الى مثيرات البيئة ، وهذه النظرية صالحة لدراسة السلوك الانسانى بنظره ، لأن الانسان، عادة يستجيب للحوافز نفسها ، وعلى النمط نفسه ، لذلك نستطيع التنبؤ بسلوكه، اذا عرفنا الحالة التى هو فيها. فاللغة، عنده ، استجابة كلامية لمثيرات المحيط، فهى ، اذا ، سلوك يرجع الى عوامل فيزيائية. وعليه ، فهى تخضع للملاحظة والتنبؤ والتفسير . ومن هذا المنطلق درس بلومفيلد فونيمات اللغة وأنماطها ، وتراكيبها الصوتية، وأشكالها النحوية وأنواع تغيراتها .

وقد عمد ، بلومفيلد، فى دراسة الكلام ، الى تقسيمه الى مؤلفاته، وذلك بتقسيم الجملة الى كلماتها (مؤلفاتها المباشرة) ثم تقسيم كل كلمة الى المورفيمات (المؤلفات النهائية).

٣– منهجيتـــه:

كان من رواد علم اللغة الحديث، أو الدراسة الوصفية، ينطلقون فى دراساتهم ، من الملاحظات إلى الفرضيات ، على النحو التالى:

١– ملاحظة الأحداث والمعطيات اللغوية.

٢– صياغة بعض التعليمات للأحداث المتشابهة.

٣–صياغة افتراضات تفسر هذه الأحداث على ضوء التعليمات السابقة.

٤-التأكد من ملاءمة هذه الافتراضات للواقع اللغوى.

٥-بناء نظرية قائمة على هذه الافتراضات .

٦-اعتماد النظرية السابقة لوصف قضايا اللغة وتفسيرها.

أما الخصائص التى اتسم بها المنهج الوصفى ، فأهمها مايلى:

١-اعتماد معايير واحدة فى تحليل التنظيم اللغوى.

٢- اعتماد القواعد الأكثر وضوحا وتبسيطا فى تبيان عناصر اللغة ووصفها وتفسيرها.

٣- شمول المستويات اللغوية (الصوتية ، والصرفية ، والتركيبية، والدلالية) كافة ، واستنفاد القضايا اللغوية بالبحث.

٤- اعتماد الموضوعية للتحقق من الافتراضات اللغوية . لذلك لايتبنى المنهج الوصفى هذه الافتراضات ، الا بعد اخضاعها للتجربة والتدقيق.

٥-تناول اللغة على أنها موضوع من موضوعات الوصف، كالتشريح، لا مجموعة من القواعد كالقانون. فالباحث فى تشريح الجسم الانسانى لا يقول: يجب أن يكون العضو الفلانى بهذا الموضع . أو يجب أن يكون العضو الفلانى بهذا الحجم أو الوزن أو الصورة، انما يشرح شرحا وصفيا موضوعيا مايقع تحت نظره ، وهكذا على الباحث فى اللغة أن يذكر خصائصها دون أن يدعى أن هذا القول جائز ، وذاك لايجوز، لأن همه وصف الحقائق لا فرض القواعد.

٦- اختيار مرحلة بعينها لوصفها وصفا استقرائيا، واتخاذ النواحى المشتركة بين المفردات الداخلة فى هذا الاستقراء ، وتسميتها قواعد فالقاعدة، فى الدراسة الوصفية، ليست معيارا، وانما هى جهة اشتراك بين حالات الاستعمال الفعلية.

٤- المنهج الوصفى والنحو العربى:

اذا أمعنا النظر فى تاريخ دراسة اللغة العربية، على ضوء الدراسة الوصفية التىأوضحنا نشاتها ومنهجها وخصائصها آنفا، وجدنا أن بداءة الدراسة عند نحاتنا القدماء، كانت محاولة جدية لانشاء منهج وصفى لدراسة اللغة، يقوم على جمعها وروايتها، ثم ملاحظة المادة المجموعة ، واستقرائها للخروج، بعد ذلك بنتائج لها طبيعة الوصف اللغوى السليم. ويتمثل المنهج الوصفى لدى الدارسين العرب الأوائل فيما يلى:

١- إن طبيعة الدراسة تقتضى فى البدء ،المنهج الوصفى وذلك بجمع اللغة ثم استقراء القواعد منها.

٢- إنهم حددوا البيئة التى يصح أخذ اللغة عنها، فحصروها فى مناطق البادية، معتبرين أن لغة الحواضر وأطراف الجزيرة لاتمثل اللغة العربية تمثيلا صحيحا لتعرضها لمؤثرات أجنبية.

٣-إنهم درسوا اللغة باعتبارها لغة " منطوقة" ، لا لغة " مكتوبة ".

٤-إن الصفة الغالبة على تصنيفهم كانت تقريرية ، فى الغالب، وهذا ما نشاهده اجمالا فى أعمالهم المبكرة،وبخاصة فىكتاب سيبويه، وكلمة الكسائى فى ذلك مشهورة ، حين سئل فى مجلس يونس، عن قولهم:" لأضربن أيهم يقوم " ، لم يقال: لأضربن أيهم . فقال :" أى هكذا خلقت " و " هكذا خلقت " هى جوهر المنهج الوصفى.

٥- إن دراستهم للغة شملت مستويات اللغة كافة: الصوتية ، والصرفية، والنحوية والدلالية ،وهذا مايدعو اليه المنهج الحديث.

هذه حقيقة أولية أسجلها ، وهى أن المنهج اللغوى عند العرب ابتدأ وصفيا على العموم. والسؤال الذى يتبادر الى الذهن هنا هو : هل بقى منهجهم كذلك؟.

ان نظرة عجلى ، فى كتب النحويين ، وبخاصة المتأخرة منها، تظهربوضوح أن المنهج اللغوى ،الذى انتهجه النحاة العرب ، مالبث أن تحول الى منهج معيارى صارخ ، وتظهر هذه المعيارية الصارخة، فى النواحى التالية:

١- إن النحاة، بعد أن استقرأوا اللغة استقراء ناقصا، واستنبطوا بعض القواعد النحوية ، عمدوا الى فرض هذه القواعد على اللغة، بدل أن يخضعوها هى نفسها الى اللغة. فأخضعوا الصواب والخطأ، فى الاستعمال لمجموعة من القواعد فرضوها على اللغة.

وكانوا كلما دهمتهم الأمثلة التى تعارضهم، لجأوا الى تأويلها أووصفها بأنها شاذة أو نادرة أو أن صاحبها قد أخطأ. وهكذا كانوا يذكرون القاعدة ثم يتبعونها بأمثلة خارجة عليها متناولين اياها بالتأويل النافر والتمحل البعيد ، كى تستقيم مع قواعدهم ، فان أعياهم التأويل والتمحل، حكموا بالقلة أو الشذوذ أو الخطأ. والغريب العجيب أن القرآن الكريم نفسه لم يسلم من تمحلات النحويين وتأويلاتهم وتخريجاتهم، مع اجماعهم على أنه أفصح كلام عربى على الاطلاق وأنه فى ذروة البلاغة.

وغنى عن البيان، أن المنهج الوصفى ، لا يتبنى الافتراضات أو القواعد، الا بعد اخضاعها للتجربة والتدقيق، وأن هم الباحث فيه، أن يشرح مايقع تحت نظره شرحا وصفيا موضوعيا ، دون أن يدعى أن هذا القول

جائز ، وذاك لايجوز ، لأن همـه وصـف اللغـة لافـرض القواعـد وعندنـا أن القول بالجائز والخطأ والصواب ، أمر ضـروري فـى التعليـم ، فلـولاه تفسـد اللغة، ولكن يجب أولا استقراء اللغة استقراء كاملا، ثم اخضاع القواعد للغة، لا العكس وذلك بغية التثبت من سلامتها.

٢- إن النحاة العرب، وإن كانوا قد شملوا بدراساتهم مستويات اللغـة كافة (الصوتية والصرفية والنحوية والدلاليـة)، قـد خلطـوا هـذه المسـتويات خلطا شديدا، كما نرى فى المؤلفات النحوية الباكرة والمتأخرةعلى حد سـواء. ومن المعروف أن المنهج الوصفى يدرس هذه المستويات كلا على حدة.

٣- إن النحو العربى، بخلاف المنهج الوصفى، اعتمد معاييرَ مختلفـة فى تحليل التنظيم اللغوى، ففى تقسيم الكلمات العربية مثـلا، نجـد أن بعضهـم اعتبر المبنى أو الشكل اساسا للتقسيم، بينما قسمها آخرون على أساس المعنى أو الوظيفة، كذلك فى تقسيمهم للفعل ، أعطوا لقب " الماضى" للفعل الذى يدل على حدث وقع فى زمن مضى ، ولقب " المضارع " للفعل الذى يضارع فى حركاتـه وسكناته الاسم . أى أن الاعتبـار الـذى وضـع بـه لقـب " المـاضى" اعتبار زمنى، وهو فى المضارع اعتبار شكلى.

٤- شمل النحاة العرب بدراساتهم مراحل متعاقبـة مـن تـاريخ اللغـة تمتد طوال ثلاثة قرون ، وفى مدة كهـذه لايمكـن أن تثبـت اللغـة مـن نـواحـى البنيـة والنطـق . وقـد رأينـا أن المنهـج الوصفـى يمـيز بيـن الدراسـتين : التعاصريـة أو التزامنيـة Synchronique ، والتعاقبيـة أو التاريخيـة diachronique.

٥- عمد النحاة العرب إلى لهجات متعددة، فخلطوا بينها محاولين ايجاد نحو عام لها جميعا. والمنهج الوصفى يدرس كل لهجة على حدة ، ثم يقعدها من ناحية الصوت والصرف والنحو والدلالة.

٦- إن المفكرين العرب افتتنوا بالمنطق الأرسطى ، اذ اعتبروه سمة الثقافة، وراحوا يطبقونه على علومهم ، وبخاصة على علم النحو، حتى أصبح كلامهم فى النحو أقرب الى الفلسفة منه الى النحو نفسه. وكمى نظهر أثر الفلسفة فى النحو، سنتناول بالبحث ثلاث نقاط : العلة، والعامل ومسألة الجوهر.

أ – العلة:إن هم المنهج الوصفى الوحيد هو تقرير الحقائق اللغوية، حسبما تدل عليها الملاحظة ، دون محاولة تفسيرها بتصورات غير لغوية. أما المنهج المعيارى، او النحو التقليدى، فيهتم أساسا بمعرفة العلة. فأمام جملة :" جاءالرجل " مثلا ، يتفق المنهجان فى أن " جاء " فعل ماض مبنى على الفتح، وأن " الرجل " فاعل " جاء" مرفوع بالضمة، لكنهما يختلفان فى الاجابة عن السؤالين: لماذا بنى الفعل؟ ولماذا رفع الفاعل؟ فبينما تقول المدرسة الوصفية ، لاتعليل لبناء الفعل ولرفع الفاعل سوى نطق العرب، تذهب المدرسة المعيارية الى تعليل البناء فى الفعل والرفع فى الفاعل، فتقول: ان الاسماء أقوى الكلمات وأرفعها قوى ومرتبة، لذلك أعربت ، اما الأفعال فأحداث تصدر عن الذوات ، فهى تأتى فى مرتبة ثانية من القوة والرفعة، لذلك بنيت، وعن علة رفع الفاعل تقول : إن الفاعل رفع كى يخالف المفعول به ، أى للتفرقة بينه وبين المفعول به ، هذا منصوب ، لذلك يجب أن يكون الفاعل مرفوعا. واذا سأل سائل: لماذا لم يكن العكس ، فنصب الفاعل ونرفع المفعول به؟ يجيب اصحاب هذه المدرسة، بأن الفاعل

فى الكلام اقل من المفعول به ، وبأن الضمة حركة ثقيلة لذلك أعطوا الحركة الثقيلة. أى الضمة– للفاعل ،والحركة الخفيفة– أى الفتحة – للمفعول به ، لأنه أكثر دورانا على اللسان ، فتكون النتيجة شيوع الفتح فى الكلام لا الضم، وهذا أسهل وأشهى.

ولعل ماقاله النحاة فى تعليل منع الكلمات غير المنصرفة من الصرف، خير مثال على فلسفة العلة التى آمنوا بها وطبقوها على النحو. اذ قال هؤلاء إن الفعل ثقيل على اللسان قلة استعماله بالنسبة الى الاسم . وكثرة استعمال الاسم سبب فى خفة النطق به . ومن أجل هذه الخفة دخله التنوين الذى هو علامتها، ولم تقبل الأفعال التنوين لثقلها، ثم تدرجوا الى القول: بان فى كل فعل ظاهرتين فرعيتين: الأولى لفظية وهى اشتقاقه من المصدر، والثانية معنوية وهى حاجة الفعل الى فاعل. فالأسماء غير المتصرفة تجتمع فيها حسب زعمهم علتان : لفظية ومعنوية ، وبهاتين العلتين تشبه الفعل فتمتنع ، مثله ، من الصرف ، فكلمة " فاطمة" مثلا تمنع من الصرف لعلتين : الأولى لفظية وهى التأنيث الذى هو فرع التذكير، والثانية معنوية ،وهى العلمية التى هى فرع التنكير.

وقد افتتن النحاة بنظرية العلة، حتى أنهم أفردوا كتبا خاصة لها، وربما كانت هذه الكتب موضوعا ذا قيمة يكتبون فيه، ويتخذون منه وسيلة امتحان واختبار ، حتى أصبحت سببا فى كثرة الآراء وتضاربها.

والحق أن بعض النحاة رفض فلسفة العلة، فلم يأخذ الا بالعلل الأوائل التى رآها، عن حق ، ضرورية للتعليم ، وهذا ماتدعو اليه المدرسة

الوصفية. لكن هؤلاء بقوا قلة ضئيلة لأن العرب كانوا مفتنين بالفلسفة والمنطق اليونانيين.

ب- العامل : إن قضية العامل خير مثال على اقحام الفلسفة والمنطق فى دراسة اللغة. فمن المعروف أن اللغة العربية معربة ، وأن أواخر معظم الكلمات فيها، تتغير تبعا لموقعها فى التركيب ، أى لوظيفتها النحوية. وللباحث أمام ظاهرة الاعراب موقفان : موقف الواصف المقرر، وموقف المتفلسف الذى يحاول أن يجد الأسباب والعلل لهذه الظاهرة . وقد اتخذ النحاة العرب الموقف الثانى فقالوا إن سبب الاعراب عامل بسبب الرفع والنصب والجزم والجر . والعوامل عندهم سماعية وكلها لفظية ، وقياسية وهى اما لفظية واما معنوية.

وتقدير العامل كان سببا من اسباب الخلاف بين النحاة، إذ إن هؤلاء لم يختلفوا فى أن المبتدأ والخبر مرفوعان مثلا ، بل اختلفوا فى عامل رفعهما ، وربما أصبحت فكرة العامل المحور الذى دار حولهالنحو، حتى أن بعضهم أطلق اسم العوامل مريدين بها النحو كله ، وأن بعضا آخر كانوا يفضلون ، على أساسها لهجة على أخرى.

والحق أن بعض النحاة، رفضوا نظرية العامل ، لكن رفضهم لم يؤثر فى مسيرة المنهج النحوى المعيارى ، لافتنان العرب، كما ذكرنا ، بالفلسفة اليونانية ، ولاشك فى أن هذه النظرية، قد أدخلت فى النحو العربى ، ما ليس منه، من صعوبات ومشاكل ، وقد كثر الداعون الى رفضها فى العصر الحديث.

ج – مقولة الجوهر : هذه المقولة هى احدى مقولات ارسطو العشر، وقد طبقها العرب على نحوهم فاعتبروا الجذر الثلاثى أصل الأفعال والأسماء غالبا ثم اختاروا وزن " فعل " ميزانا ، فقالوا إن أصل " قام " مثلا هو " قوم " وأصل " مد " ، " مدد" ، و " قاض " أصلها قاضى ... الخ، وكما أن للمفرد جوهر كذلك للجملة ، ففى قولك :" فى المدرسة معلم ." مثلا، يعتبر النحاة أن جوهر الجملة ناقص، لذلك يقدرون خبرا محذوفا تقديره " موجود" أو " مستقر" أو " كائن "... الخ . ونظرية الجوهر، أدت بالنحاة الى القول بالاعراب التقديرى، والإعراب على المحل، واعتبار ، الجملةالخبرية" أساس البحث اللغوى فى الجمل ، معتبرين الأنماط الأخرى من الجملة، أشكالا " منحرفة " من الجملة الخبرية ، مما اضطرهم الى القول بالتقدير والاضمار والتأويل والحذف وماأليها.

أما المدرسة الوصفية فتقول: إن الفعل فى العربية يأتى على أوزان مختلفة (نحو : درس ، باع ، قال ، مد ، دعا ،بكى ، زلزل ، أكرم ، استغفر...الخ) لا على وزن واحد، وأن الاعراب والبناء هما من خصائص الكلمات المفردة ، أما التركيب فلا يكون معربا ولامبنيا ،ولاداعى للاعراب التقديرى ، وأن أنماط الجملة، يجب دراستها على اساس أنها أشكال قائمة بذاتها، لا على أساس اعتبارها اشكالا " منحرفة " من الجملة الخبرية.

وفى ختام هذا الفصل، لابد من الاشارة إلى أنه بالرغم من افاضة الوصفيين فى شرح جوانب " النقص " فى النحو التقليدى ، فان هذا النحو مازال سائدا فى مراحل التعليم المختلفة، لأن النحو الوصفى لم يقدم حتى الآن نحوا شاملا يصارع ماقدمه التقليديون . وعليه نميل الى الدعوة لاعادة النظر فى النحو التقليدى الذى نعلمه لتلامذتنا اليوم،وذلك يدرس اللغة من

جديد على اساس المنهج الوصفى التقريرى، بغية تبسيط قواعدها ، دون المساس بأى شئ منها، ولايخفى مالتبسيط قواعد النحو من أثر فى تحبيب اللغة العربية للنشء العربى والاقبال بالتالى ، على دراستها وانمائها.(١٣)

٣- علم اللغة التاريخى :

يبحث علم اللغة التاريخى تطور اللغة الواحدة عبر القرون، أو بمعنى أدق التغير فى اللغة الواحدة على مدى الزمن ، وهناك باحثون يرفضون كلمة التطور فى هذا الاطار باعتبارها تحمل دلالة الارتقاء ، اىالتغير الى أفضل ، وهذا حكم تقويمى ، وهو غير ممكن فى مجال التغير اللغوى ، فليست هناك صيغة أفضل من صيغة وليس هناك صوت أفضل من صوت. ولذا يفضل أكثر الباحثين المعاصرين وصف مايحدث بأنه تغير . وثمة فرق بين أن يقال بأن اللهجات نتيجة تغير لغوى أو أنها نتيجة تطور لغوى.

لقد كانت البحوث اللغوية المقارنة ذات سمة تاريخية، ولكنها كانت تحاول أن ترتب المستويات اللغوية واللغات المختلفة المنتمية الى أسرة واحدة ترتيبا يهتم فى المقام الاول بالصيغ والمستويات المغرقة فى القدم ، والتى يمكن أن يتعرف منها الباحث على الصيغة الأصيلة أو الشكل الاقدم الذى خرجت عنه باقى الصيغ ، ولهذا فقد وصف هذا العمل بأنه تاريخى مقارن . وقد ظل بعض الباحثين يتصور أن علم اللغة التاريخى يمكن أن يكتفى بالمراحل المبكرة فى تاريخ كل لغة من اللغات ، أى أقدم المراحل المتاحة وأقربها نسبيا من اللغة الأقدم . ولكن الوضوح المنهجى فى علم اللغة يتيح وجود دراسات وصفية للمستويات اللغوية المختلفة عبر القرون، ويتيح ايضا أن تتكامل هذه الدراسات الوصفية الكثيرة لتمهد الطريق أمام البحث

التاريخى اللغوى بالمعنى الدقيق للكلمة، أى البحث فى تاريخ اللغة من أقدم نصوصها المدونة الى وقتنا هذا .

وهناك قضايا كثيرة فى مجالات الأصوات وبناء الكلمة وبناء الجملة والدلالة تدخل فى اطار علم اللغة التاريخى. فدراسة التغير الصوتى فى العربية تعد دراسة صوتية تاريخية ، ودراسة صيغ الجموع فى العربية بتتبع توزيعها ونسبة شيوعها فى المستويات اللغوية المختلفة عبر القرون موضوع من موضوعات علم الصرف التاريخى، ودراسة جملة الاستفهام فى العربية عبر القرون تعد دراسة نحوية تاريخية، وكذلك الجملة الشرطية فى العربية وجملة الاستثناء فىالعربية. وتعد دراسة التغير الدلالى ومايرتبط بها من اعداد المعاجم التاريخية من أهم مجالات علم اللغة التاريخى. والمعجم التاريخى هو ذلك المعجم الذى يعطى تاريخ كل كلمة من كلمات اللغة الواحدة ويؤرخ لها ابتداء من أقدم نص وردت به إلى آخر نص ، يتبع دلالاتها وتغيرها.ويعد معجم اكسفور التاريخى للغة الانجليزية من أهم المعاجم التاريخية للغة من اللغات . وتهدف الدراسات المعجمية الوصفية التى تعد للعربية الى أن تكون لبنات فى تكوين معجم تاريخى للغة العربية.

هناك مجالات كثيرة للبحث اللغوى التاريخى، فالتاريخ اللغوى بأبعاده الكاملة من شأنه أن يعطى صورة واضحة لتاريخ الحياة اللغوية. ولا يقتصر هذا البحث على تغير البنية اللغوية من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، بل تتناول بالضرورة مستويات الاستخدام اللغوى فى البيئات المختلفة وتغير ذلك عبر الزمن ، كما يتناول الانتشار اللغوى ودخول اللغة الى مناطق جديدة ويبحث أيضا الانحسار اللغوى عن مناطق بعينها . فالعربية مثلا كان لها على مدى عدة قرون وجود فىالاندلس وفى ايران،

وكانت لغة ثقافة فى شبه القارة الهندية، ودراسة موجات التعريب من جانب ثم انحسار مجالات استخدام العربية فى بعض هذه المناطق يعد من الدراسات اللغوية التاريخية، وعلى ذلك فالتاريخ اللغوى يتناول دراسة التغير فى البنية اللغوية وبحث التغير فى مستويات الاستخدام.

٤- علم اللغة التقابلى :

علم اللغة التقابلى أحدث فروع علم اللغة، نشا بعد الحرب العالمية الثانية. يقوم علم اللغة التقابلى على فكرة بسيطة لاشك أن الكثيرين ممن تعلموا لغات أجنبية أو علموها قد أدركوها. فالصعوبات التى تواجه متعلم لغة جديدة ترتبط فى المقام الأول بالاختلافات بين هذه اللغة الاجنبية واللغة الأم . ويطلق مصطلح " اللغة الأم " أو " اللغة الأولى " على اللغة التى نشأ عليها الفرد أى اللغة التى اكتسبها فى طفولته ، فى بيئته وفى علاقاته الاسرية والاجتماعية المحلية. وعلى عكس هذا فان مصطلح اللغة الثانية يعبر عن اللغة التى يكتسبها الانسان بعد ذلك، ويدخل فى هذا بالضرورة كل اللغات الاجنبية التى يكتسبها الانسان فى المراحل التعليمية المختلفة أو أثناء التعامل المباشر مع أبناء تلك اللغات، ولذلك يطلق على اللغات الاجنبية – فى البحوث الخاصة بتعليم اللغات – مصطلح اللغة الثانية. وفى المجال التعليمى يطلق مصطلح اللغة المنشودة على اللغة التى يراد تعلمها وذلك على عكس اللغة المصدر وهى اللغة الأم أو اللغة الأولى.

ويقدر الاختلاف بين اللغة الاولى واللغة المنشودة تكمن الصعوبات.فالاصوات التى توجد فى اللغة المنشودة ولاتوجد فى اللغة الاولى تشكل بالضرورة صعوبات ينبغى العمل على تذليلها . وموضوع علم اللغة

التقابلى هو المقابلة بين نظامين لغويين مختلفين، هما بالتحديد النظام اللغوى للغة الاولى والنظام اللغوى للغة المنشودة . وقد تجنبنا هنا استخدام كلمة المقارنة لئلا يختلط علم اللغة التقابلى وعلم اللغة المقارن. فعلم اللغة المقارن يقارن اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة ويهتم فىالمقام الاول بالاستخدام الاقدم فى هذه اللغات للوصول الى اللغة التى خرجت عنها كل هذه اللغات ، ولذا فعلم اللغة المقارن ذو هدف تاريخى يحاول به كشف جوانب من الماضى البعيد.أما علم اللغة التقابلى فلا شان له بهذه الاهتمامات التاريخية،' ودراساته ذات هدف تطبيقى فى تعليم اللغات . ولذلك فالدراسة التقابلية ممكنة بين لغتين من اسرة واحدة من أسرتين مختلفتين لابهدف التعرف على الاصل القديم ولكن يهدف التعرف على الفروق الصرفية والنحوية والمعجمية بين النظامين اللغويين فيمكن مثلا أن تتم الدراسات التقابلية بين العربية والتجريتية – لغة أريتيريا – وكلتاهما من اللغات السامية ، ومن الممكن أيضا عمل دراسة تقابلية بين العربية والاردية، وهما من أسرتين لغويتين مختلفتين.

ولايقتصر البحث اللغوى التقابلى على دراسة الفروق بين لغتين اثنتين فيمكن أيضا أن يكون بين لهجة محلية واللغة الفصيحة المنشودة، فالصعوبات الموضوعية التى تواجه أبناء تلك اللهجة فى محاولاتهم اكتساب اللغة الفصيحة تنجم فى المقام الاول عن الفرق بين هذه اللهجة وتلك اللغة. فالصعوبات التى يواجهها أبناء مصر فى تعلم الاصوات بين الاسنانية وهى الثاء والذال والظاء فى الفصحى والصعوبات التى يواجهها عدد من الفلسطينيين فى التمييز بين القاف والكاف انما ترجع الى الفروق بين اللهجة المحلية واللغة المنشودة . ولايقتصر البحث اللغوى التقابلى على مجال

الاصوات بل يتناول أيضا بناء الكلمة وبناء الجملة والدلالة فالابنية تختلف بين اللغة الام واللغة المنشودة والتراكيب التى تختلف بينهما والكلمات التى تختلف دلالتها بين المستويين يمكن التعرف عليها بالدراسة التقابلية، فيكون تذليل هذه الصعوبات بمراعاتها فى برامج تعليم اللغات . فاذا كانت اللغة الاولى تفتقد بعض الاصوات التى توجد فى اللغة الثانية وجبت العناية بالتدريب النطقى على هذه الاصوات . واذا كانت بعض الكلمات تستخدم فى اللهجة المحلية بدلالات تخالف اللغة المنشودة كان من الضرورى الاهتمام بالتدريبات التى توضح المعنى الفصيح المنشود. وهكذا يمكن أن تقدم الدراسات التقابلية اساسا لغويا موضوعيا لتذليل الصعوبات فى تعلم اللغات.[١٤]

******

الفصـــل الرابــــع

علم اللغة وصلته بالعلوم الأخرى

ليس اللغويون هم وحدهم الذين يهتمون بدراســة اللغـة، بـل يشـاركهم فى هذا الاهتمام علماء آخرون ينتمون الى تخصصات علمية مختلفـة. و مـن المعروف أن هناك ظواهر لغوية لا يستطيع عالم اللغة أن يسـهم فيهـا بشـئ، وكل مايستطيع أن يفعله ازاءها هو أن يستشير العلـوم الأخـرى المتخصصـة ويطلب منها العون. فدراسة اللغة من الناحية الصوتية - مثلا - يتوفر علـى دراستها " علم وظائف الأعضاء Physiology " الذى يقوم بدراسة أعضـاء النطق عند الانسان ويعاونه فى ذلك " علـم التشـريح Anatomy" . ويـدرس الصوت أيضا بعد خروجه من فم المتكلم وانطلاقه فى الهواء " علـم الفيزيـاء Physics" الذى يدرس الأمواج الصوتية فىالهواء فيما بين المتكلـم والسـامع ،وبيان أثر هـذه الامـواج وتحديـد الخصـائص الفيزيائيـة للصـوت . وكذلـك " هندسـة الاتصـالات " التـى تهتم بايجـاد الوسـائل المناسـبة لتحســين وتكبـير الصوت وتوصيله الى مسافات بعيدة عبر الاثير وذلـك عـن طريـق ارسـال الموجـات الصوتيـة مـع موجـات أخـرى كهرومغناطيسـية لهـا القـدرة علـى الاضمحلال والسير فى أغوار الفضاء.

هذه العلوم لايستطيع علم اللغة أن يستغنى عنهـا، بـل لابـد أن يبسط اليها يده يلتمس منها العون ، فتمده بمعطياتها وخلاصة تجاربها التى تسـاعده فى محاولة تفسير الظاهر اللغوية.

وهناك فروع أخرى من المعرفة النظرية تربطها بعلم اللغة رباط وثيق، فهناك علم الاجتماع الذى يدرس اللغة على اعتبار أنها من أهم مقومات المجتمع البشرى، وعلم النفس الذى يدرس بصفة عامة اللغة وعلاقتها بالعقل الانسان ،ثم هناك" الانثروبولوجيا Anthroplogy" الذى يدرس اللغة وعلاقتها بالثقافة.

نستطيع – على وجه الاجمال – القول بأن " علم اللغة الموسع Macrolinguistics يضم من الناحية النظرية فرعين كبيرين هما:

١- علم اللغة الاجتماعى Socioloinguistics، ويدخل تحته ايضا علم " الانثروبولجى" باعتباره علما اجتماعيا.

٢- علم اللغة النفسى Psycholinguistics.

وهذان الفرعان متداخلان تداخلا كبيرا.

أولا: علم اللغة الاجتماعى Sociolinguistics:

لاتحيا اللغة الا فى ظل مجتمع انسانى ، وهى مؤسسة تؤدى وظائف اجتماعية، فهى فى المجتمعات الحديثة وثيقة الصلة بكل اشكال السلوك الجماعى، ويتمثل هذا سواء عند استحضار تاريخ هذا المجتمع أو تجاربه الماضية أو عند الاتصال المباشر بالاحداث أو بالتجارب اليومية أو عند مباشرةالعمل وتوجيه القائمين به . ومن هنا كان علم اللغةوثيق الصلة بعلم الاجتماع، ومن ثم كان هناك داع لوجود علم يستكشف العلاقة بين اللغة والمجتمع، ويستكنه وجوه التأثير المتبادل بين الحياة الاجتماعية وظواهر اللغة المختلفة، وهو علم اللغة الاجتماع، بل ان بعض العلماء يرى أنه اذا

كانت اللغة مؤسسة اجتماعية وتؤدى أيضا وظائف اجتماعية اذن فليس هنـاك من فرق بين علم اللغة وعلم الاجتمامع أو الأنثربولوجيا الاجتماعية.

وعلم اللغة الاجتماعى من أكثر المجالات التى احرزت تقدمـا سـريعا فى الدراسات اللغوية الحديثة، وهو يهتم بدراسة اللغة فى سياقها الاجتمـاعى، ويدرس ايضا الطرق التى تتفاعل بها اللغة مع المجتمع، وايضا الطرق التـى تتغير بها البنيـة اللغويـة استجابة لوظائفهـا الاجتماعيـة المختلفـة، والتعريـف بماهية هذه الوظائف.

أمـا الموضوعـات التـى يهتـم بهـا " علـم اللغـة الاجتمـاعى، فكثـيرة متنوعة، منها:

اللهجـات Dialects المختلفـة التـى يتـوزع اليهـا المجتمـع الكبـير ، فمجتمع الدولة يضم فى داخله مجتمعات أصغر، فهناك مثلا مجتمـع المدينـة، ومجتمع القرية، ومجتمع البادية وغير ذلك. وكل مجتمع من هذه المجتمعـات يتحـدث بلهجـة تختلـف اختلافـا ضئيـلا عـن لهجـة المجتمـع الصغـير الـذى يجاوره. واذا كانت هناك وحدات قياسـية مختلفـة ولكنهـا تتحـدث لغـة واحـدة فانه يغلب فى هذه الحالة أن يكون لكـل وحـدة سياسـية لهجـة خاصـة تميزهـا عن غيرها، كما نرى فى العالم العربى فكل دولة من الدول تتميز عن سواها بلهجة خاصة تعرف بها، ومثل ذلك نجده فـى الانجليزيـة، فهـى فـى انجلـترا تختلف عنها فى الولايات الامريكية وفى اسـتراليا وفـى نيوزيلنـدة وغيرهـا، فكل قطر من هذه الاقطار يتكلم لهجة مختلفة من لهجات اللغة الانجليزية.

وقد تتباين اللهجتان تباينا كبيرا فتصبح كل منهمـا عصيـة علـى فهـم ابناء اللهجة الاخرى، فتصير لغة مستقلة تماما. وهـذا يحـدث عندمـا لايكـون

هناك وحدة سياسية أو اجتماعية أو دينية تعمل على التوحيد اللغوى وأيضا عندما تنعدم وسائل الاتصال الجماهيرى التى تلعب دورا هاما فى هذه السبيل، ومن الامثلة الواضحة على ذلك اللغات : الايطالية والفرنسية والأسبانية والبرتغالية والرومانية، فقد كانت فى الأصل لهجات مختلفة للغة اللاتينية. ومثل ذلك ايضا اللغات الهولندية، والانجليزية والالمانية، والدنمركية والنرويجية، والسويدية والأيسلندية وكانت جميعها لهجات جرمانية.

– اللهجات الفردية idiolects: فكل فرد فى المجتمع له لغته الخاصة التى تميزه عن غيره، فاضافة الى طبيعة الصوت نفسه الذى يختلف من فرد الى آخر، هناك خصائص فى لغة الفرد تشير الى طبقته الاجتماعية، وفيها أيضا ماقد ينبئ الى المهنة التى يمتهنها وربما يكون هناك لوازم فردية يعرف بها الشخص كترداده لكلمات أو عبارات معينة بصفة مستمرة، مثل قوله بعد كل جملة أو عدة جمل : سامع ، أنت فاهم ، وبعدين ايه ، خليك معايا .. الخ. وهناك أيضا سلوكيات لغوية تميز الافراد بعضهم عن بعضهم، فنجد من يلثغ فى صوت ما، ومن الناس من يفافئ، وبعضهم يسعل باستمرار أثناء الكلام، ومنهم من لايعتنى بمخارج الحروف، ونرى بعض الناس يتكلم بسرعة وبعضهم يتكلم ببطء شديد، وفيهم من يتكلم بصوت عال وفيهم من لايكاد يسمع صوته.

واللهجة الفردية – بطبيعة الحال – لاتتصف بالثبات ، فالفرد يظل طوال حياته يكتسب اللغة، ويعدل أو يبدل فيها. والنمو الثقافى، وتغير المراكز الاجتماعية، والانتقال من طبقة الى أخرى تحدث تغييرات كبيرة فى لغة الفرد سواء فى طريقة الكلام أو فى المفردات والتراكيب. يقول" لابوف William Labov" " أن شعور الناس بالنسبة للانتقال أو التحول

الاجتماعى له اثر كبير للغاية فى الاشكال اللغويةالتى يختارونها: فالناس الذين يطمحون للانتقال الى طبقة اجتماعية أعلى من طبقتهم يتخذون لغة تلك الطبقة.

– دراسة التغاير اللغوى الاجتماعى. فالاساليب اللغوية التى يستخدمها الفرد تتغير بتغير الموضوع من جهة والمشاركين فى الحديث أو المستمعين له من جهة أخرى، كما تتغير بفعل عوامل اخرى خارجة عن اللغة نفسها، بعضها اجتماعى أو نفسى أو كلاهما معا. ويهتم اللغويون – فى الوقت الحاضر – بنوع هذا التغير أو الانتقال من أسلوب الىآخر وأسباب هذا الانتقال. ويتعاون مع علماء اللغة فى هذا المجال علماء الاجتماع وعلماء النفس للتوصل الى أنواع الأساليب المختلفة التى يستعملها الفرد فى المقامات والمناسبات المختلفة.

– دراسة اللغة واثر الجنس فيها. فهناك فرق يلاحظ بين لغة الرجال ولغة النساء، فأصوات النساء أكثر حدة، وأعلى طبقة من أصوات الرجال، كما أن النساء أكثر وضوحا فىالنطق من الرجال، واكثر منهم ايضا حرصا على سلامة النطق، والنساء – بصفة عامة – يملن الى المحافظة فى استعمال اللغة. وللنساء كلمات خاصة بهن لايستعملها الرجال – عادة – مثل أسماء الألوان : الموف ، والتركواز، والبيج ، واللبنى، وغير ذلك من أسماء الالوان التى لايستعملها الرجال الا نادرا. ويكثر فى لغة النساء أيضا الصفات التى تعبر عن جيشان العاطفة.

وهذه الفروق تزداد فى المجتمعات المغلقة التى لاتسمح بالاختلاط بين الرجل والمرأة، وتقل أو تتلاشى فى المجتمعات المفتوحة التى تبيح الاختلاط بين الجنسين فى شئون الحياة المختلفة.

- دراسة الكلام المحظور اجتماعيا Taboo ، فكل مجتمع له أعرافه الاجتماعية التى تجعل أبناء هذا المجتمع يرفضون استعمال كلمات معينة، مثل الكلمات التى تدل علىالموت أو الأمراض الخبيثة أو الأشباح والجن، والكلمات التى تشير الى عورات الجسم الانسانى، وغير ذلك من الكلمات المبتذلة التى ينفر منها المجتمع.

ثانيا : علم اللغة الانثربولوجى Anthropological Linguistics:

العلاقة بين علم اللغة والانثربولوجيا علاقة تاريخية، فاذا كان علم اللغة فى أوربا تخرج على أيدى الفيلولوجيا Fhillology فان علم اللغة الأمريكى انبثق من الانثروبولجى حيث أجرى رواد علم اللغة فى امريكا مثل ' سابير Sapir " وغيره دراسات جادة على قبائل الهنود الحمر ، فى محاولة منهم لفهم اللغات البدائية، وقد وجدوا أنه فى سبيل وصف هذه اللغات لابد ان توجد طرق جديدة للتحليل اللغوى، ومن ثم ظهر علم اللغة التركيبى على يد " بلومفيلد L.Bloomfield ".

من أهم الموضوعات التى أثارت فضول علماء اللغة الانثروبولجيين موضوع العلاقة بين اللغة والثقافة. ميدان الانثروبولجيا هو " دراسة المجتمعات والثقافات الانسانية وتاريخها . وتتابع نموها وتطورها، ودراسة الثقافات البشرية وادائها لوظائفها فى كل مكان وزمان ، فالانثروبولجيا الثقافية تهتم بالثقافة فى ذاتها: ثقافة أسلافنا أبناء العصر الحجرى أو ثقافة

المجتمعات المعاصرة فـى أوربـا وأمريكـا، وجميـع الثقافـات تسـتاثر باهتمـام دارس الانثروبولجيـا لأنهـا تسـهم جميعـا فـى الكشـف عـن اسـتجابات النـاس المتمثلة فى الاشكال الثقافية للمشـكلات العامـة التـى تطرحهـا البيئـة الماديـة (الطبيعية) وعن محاولات الناس الحياة والعمل معا، .وتفـاعلات المجتمعـات الانسانية بعضها مع بعض".

ان استعمال كلمة "ثقافة" Culture كمصطلح فنى فى الانثروبولوجيـا بمعنىاسلوب الحياة بجميع مقوماتها وتفاصيلها، يبيـن بوضـوح أن اللغـة لهـا مكان بارز فىالانثروبولجيا. فاللغة ليست مجرد بطاقات أومصطلحـات تعلـق على الأشياء الموجودة سلفا فى عالم الانسان بل ان اللغة فى أى فترة زمنيـة هى انعكاس لثقافـة المجتمـع الـذى يتكلمهـا وتعبـير عـن اهتماماتـه ومجـالات نشاطه، فكل مجتمع يعيش فى عالم يختلـف قليـلا أو كثـيرا عـن العـالم الـذى يعيـش فيـه غـيره مـن المجتمعـات ، وهـذه الاختلافـات تتحقـق فىالثقافـات المختلفة، واللغات بدورها تسجل هذه الثقافات وتحافظ عليها، وان كثـيرا مـن التفاصيل المهمة عن طريقة حياة الناس تحول غالبـا الـى افعـال هـى بلاشـك كلمـات أساسـية Key-words تتبـع مختلـف الدوائـر: الديـن والاخلاقيـات والقرابة والميراث الاجتماعيى..الخ. ويهتم علم اللغة الانثربولوجى بالعلاقات القائمة بين لغـة شـعب مـن الشـعوب وبقيـة جوانـب ثقافتـه، فمـن الممكـن أن يدرس على سبيل المثال الكيفية التى ترتبط بها لغة جماعة معينة بمكانة تلـك الجماعة أو وضعهـا الاجتمـاعى، والرمـوز اللغويـة المسـتخدمة فـى الشـعائر والاحتفالات، وكيف تختلف هذه الرموز عن الكـلام اليومـى العـادى، وكيـف يعكس تغير الحصيلة اللغوية فى احدى اللغات الثقافية المتغيرة للشـعب الـذى يتكلمها، وكذلك العمليات التى تنتقل بواسطتها اللغة من جيل الى جيل، وكيـف

تساعد تلك العمليات على نقل المعتقدات والمثل العليا والتقاليد الى الأجيال التالية. فدارس اللغة باختصار يحاول أن يفهم دور اللغة فى المجتمعات البشرية، والمهمة التى اضطلعت بها فى رسم الصور العامة للحضارات الانسانية المتطورة.

وليست اللغة مرآة تنعكس على صفحتها حياة المجتمع ونشاطه فحسب، بل هى أيضا تقوم بتشكيل ثقافة المجتمع والطريقة التى يفكربها. وقد ذهب " هردر Herder" و" همبولت Humboidt" وغيرهما فى اوربا ، و"سابير Sapir" فى أمريكا الى أن اللغة هى التى تحدد نظرة المجتمع للعالم وللحياة، كما أن لها تأثيرا كبيرا على الطريقة التى يفكر بها. أفراد المجتمع الذين يتكلمون تلك اللغة والتى تختلف عن طريقة تفكير أفراد مجتمع آخر يتكلمون لغة أخرى، أى أن المجتمع لايستطيع رؤية العالم الا من خلال لغته.فالبنية اللغوية أو التركيب اللغوى له أثر واضح فى تفكير المجتمع المتحدث باللغة، فقالوا ان اللغة التى تتبع فيها الصفة الموصوف كاللغة الفرنسية واللغة العربية مثلا نشير الى مجتمع متعود على طريقة التفكير الاستنتاجى deductive، بينما تدل اللغة التى تسبق فيها الصفة الاسم الموصوف مثل اللغة الانجليزية تدل على أن المجتمع الذى يتكلم تلك اللغة يفكر بطريقة استقرائية inductive وقالوا ايضا أن اللغة الذى لايميز التركيب الصرفى والنحوى فيها بين الحدث والفاعل والاشياء، كما تفعل الانجليزية مثلا وكما هو الحال فى بعض لغات الهنود الحمر تشير الى أن المجتمع الذى يتكلم تلك اللغة يؤمن بالقدرية أى أنه يعزو كل مايحدث الىالقدر دون أن يحاول فهم الأسباب والمسببات، بل ذهب بعض هؤلاء الى القول أن المجتمع الذى لاتتوافر فى بنية الافعال فى اللغة التى يتكلمها ما

يدل على الزمن، مجتمع لايعير الزمن أى اهتمام، وان المجتمع الذى لاتتوافر فى لغته مصطلحات محددة خاصة بالعمليات المنطقية مجتمع لايستطيع أن يقوم بالتفكير المنطقى أو بالتفكير العلمى المعقد.

ويقول " سابير ": البشر لايعيشون فى العالم المادى وحده، ولا فى عالم النشاط الاجتماعى بالمفهوم العادى ، ولكنهم واقعون تحت رحمة اللغة المعينة التى اتخذوها وسيلة للتفاهم فى مجتمعهم. انه لوهم كبير أن نتخيل " ان فردا مايتكيف مع الواقع دون استخدام اللغة ، وحقيقة الأمر أن العالم الحقيقى مبنى الى حد كبير على العادات اللغوية لمجتمع معين، كما أنه ليس فى العالم لغتان تتشابهان تشابها كبيرا الى درجة اعتبارهما تمثلان نفس الواقع الاجتماعى، أن العوالم التى تعيش فيها المجتمعات المختلفة عوالم مختلفة، لامجرد عالم واحد نسميه بأسماء مختلفة".

ويعتنق " بنيامين لى وورف B. Leewhort" رأى استاذه " سابير" ، ويقوم بدراسات واسعة للغات الهنود الحمر فى امريكا، ويخرج من ذلك بنظرية تحمل اسمه Whorf hypothesis يقول " وورف": ان اللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير عن الافكار بل هى نفسها التى تشكل هذه الافكار، فنحن نقسم العالم بموجب الخطوط التى ترسمها لنا لغاتنا القومية. نحن نحلل العالم ونصنفه فى أفكار ، ونعطى لذلك اسماء ، نفعل هذا لأننا أفراد متفقون على أن ننظمه بهذه الطريقة، إنه اتفاق ينعقد خلال المجتمع اللغوى ويقعد له فى أنماط لغتنا".

ان البنية اللغوية أو التركيب اللغوى هو الذى يحدد الفكر ويسيطر عليه سيطرة كاملة، ولذلك فان معرفة البشر بهذا العالم وتجاربهم فيه

ونظرتهم اليه، ومواقفهم منه تختلف باختلاف اللغات التى يتكلمونها، أى أن العالم كما يراه البعض يختلف عن العالم كما يراه البعض الآخر اذا كان كل من المجموعتين أو المجتمعين يتكلم لغة مختلفة.

والواقع أن هذه النظرية متطرفة جدا، فنمط اللغة التى يتكلمها مجتمع من المجتمعات لايمكن ان يحدد نوعية الثقافة التى يتلبس بها ذلك المجتمع، فهناك مجتمعات متباينة فيما بينها تباينا تاما عرقيا وثقافيا ومع ذلك يتكلمون لغات تنتمى الى نمطية واحدة، مثل الأتراك وبعض الهنود الحمر ، فهؤلاء يتكلمون لغات لصقية. وهناك شعوب لها لغات مختلفة ولكنها شاركت جميعا أو تشارك فى صنع حضارة واحدة، وأوضح مثال على ذلك الحضارة الاسلامية التى شارك فيها العرب والفرس والروم.

ثالثا : علم النفس اللغوى Psycholinguisties:

لما كانت اللغة مظهرا من أهم مظاهر السلوك الانسانى فقد اهتم بها كل من اللغوين وعلماء النفس. علماء النفس يهتمون بالظاهرة اللغوية ليوضحوا السلوك بصفة عامة ، واللغويون يهتمون بها ليبينوا السلوك اللغوى بصفة خاصة. وعلم النفس يهتم بمعظم نواحى اللغة وبخاصة ماله علاقة بالعقل والنفس البشرية، وتظهر العلاقة الوثيقة بين اللغة وعلم النفس فى مجال التحليل النفسى، فالمحلل النفسى اذا أراد أن يدرس الاحلام للكشف عن بعض العقد أو الأمراض أن يحول أحلامه الى سلوك لغوى أو سيطلب اليه أن يتكلم، وحينئذ لايسعنا الا أن نلاحظ أن المحلل النفسى انما يدرس ألفاظ ذلك الشخص وتعابيره لا أحلامه فى حد ذاتها.

وقد رأى بعض العلماء أن الدراسة اللغوية اذا لم تقم على دراسة القوى النفسية الكامنة وراءها فهى غير مكتملة، وكذلك الدراسة النفسية عليها أن تستعين بمعطيات علم اللغة، ومن ثم حدث الامتزاج بين علمى اللغة والنفس مما نتج عنه نشوء " علم اللغة النفسى". وقد ذهب " تشومسكى N.Chomsky" والتوليديون الى أن دراسة اللغة يجب أن تقوم أولا على دراسة العقل الانسانى ، ولذلك يرى أنه من الأوفق أن يكون علم اللغة فرعا من فروع علم النفس الادراكى. وهو رأى متطرف لا يوافقه عليه معظم علماء اللغة.

وعلم اللغة النفسى يهتم بالأمور التى تتناول العلاقة بين اللغة والعقل الانسانى مثل اكتساب اللغة باعتبارها عملية عقلية نفسية، وادراك الكلام، وطبيعة العلاقة بين اللغة والتفكير وعلاقة اللغة بالشخصية ووظيفة اللغة فى حالة الصمم وسيكولوجية القراءة ودراسة عيوب الكلام مثل تأخر الكلام، والحبسة aphasia والثاثاة lisping واللجلجة Stammering.

ومن المعرفة الحديثة التى زودنا بها علم اللغة النفسى أنه لاتوجد علاقة بين اللغة والذكاء، على عكس الاعتقاد السائد من أن قدرة الانسان على استعمال اللغة هى انعكاس لمستوى ذكائه العام. أما العلم المعاصر فيرى أن القدرة على اكتساب اللغة هو – فى الحقيقة –تطور بيولوجى لا علاقة له بالذكاء. وقد أكدت هذه المقولة الدراسات العديدة التى أجريت على ضعاف العقول، فالطفل السوى وايضا الطفل المتخلف عقليا يكتسبان اللغة بنفس الطريقة، فالتأخر العقلى ليس من شأنه أن يعوق اكتساب اللغة.

واكدت التجارب أيضا ، سن الرابعة عشرة سن حرجة بالنسبة لاكتساب اللغة ، فاذا بلغ الانسان هذه السن ،وقد حالت الظروف دون أن يكتسب لغة ما فانه لا أمل مطلقا فى أن يتعلم أية لغة مستقبلا. أى أن الأطفال الذين فقدوا هويتهم اللغوية نتيجة عزلتهم عن المجتمع اذا مااكتشفوا قبل بلوغهم هذه السن فانه يمكن أن يكتسبوا لغة ما. وكذلك أنه اذا اصيب الطفل فى المنطقة اليسرى من رأسه وهو دون الثانية من عمره فان قدرته اللغوية تنمو بشكل طبيعى ولاتتأثر بالاصابة . أما اذا أصيب بعد ذلك فان قدرته اللغوية تتأثر بذلك كلما تقدم فى العمر حتى اذا مابلغ سن الرشد فانه يصاب بعاهة لغوية مزمنة.[١٥]

الفصل الخامس

مستويات التحليل اللغوى

اللغـة الانسـانية هـى نظـام مـن الرمـوز الصـوتيـة، أو هـى نسـق مـن العلاقات، وهذا النظام أو النسق تتحكم فيه قواعد معينة.

والعلاقة اللغوية هى كل مركب من الدال(الصوت) والمدلـول الـذى هو تمثل ذهنى أو تصور لفكرة أو معنى. فالاصوات لاتمثل لغـة الا اذا كـان لهـا محتـوى دلالـى، وهـذه الاصـوات ينضـم بعضهـا الـى بعـض علـى هيئـة مخصوصـة فتشكل " الكلمات" words التى يقوم بدراستها " علم الصـرف " ، ثم تدخل هذه الكلمات في تراكيب خاصة فتكون " الجمـل Sentences" التـى هى موضوع " علم النحو " . وهذا يعنى أن " النحو " " يعتمد على الإصوات والصرف معا، وان " الصرف " يعتمد على الاصوات وهـذه الأنظمـة جميعـا تعمل فى خدمة المعنى، وهى كل متماسك أو وحدة متلاحمة لايمكـن الفصـل بينها فى الاستخدام الفعلى للغـة، فـالمتكلم لايكـون علـى وعـى بقواعد النحـو والصرف التى يطبقها فعلا على الجمل والتراكيب التى يستعملها فى كلامه . الا أنه فى مجال التحليل اللغوى ومن أجل تبسيط البحث وتيسيره نعمـد الـى تجزئ الظاهرة اللغوية الى مستويات أربعة ثم نفحص كل مستوى على حـدة فى محاولة لبناء نموذج أو صورة للغة لكـى نسـتطيع تفسـيرها والقـاء ضـوء عليها.

هذه المستويات الأربعة هى:

١- المستوى الصوتى :

والأصوات اللغوية هى رموز ذوات دلالات، ومن الممكن أن تدرس هذه الاصوات باعتبارها وحدات صوتية مجردة منعزلة عن سياقاتها ، فيتركز البحث على بيان مواضع نطق هذه الأصوات وصفاتها فى لغة معينة. وهذا البحث الصوتى هو مايطلق عليه مصطلح "Phonetics".

وقد يدرس الصوت اللغوى باعتباره وحدة فى نسق صوتى فتهتم الدراسة ببيان " الاشكال المختلفة التى يتشكل بها الصوت وكذلك بيان وظائفه وقيمة. ويطلق على هذه الدراسة مصطلح Phonology.

٢- المستوى الصرفى Morphology:

ويختص بدراسة الصيغ اللغوية وبناء الكلمة وطرق تشكيلها، من اشتقاق ونحت والصاق ،ومايطرأ عليها من تغيرات . ويدرس وظائف هذه الصيغ ويصنفها الى أجناس كالفعل والاسم والأداة، أو التذكير والتأنيث ،أو الافراد والتثنية والجمع ، ويدرس ايضا التغيرات الصرفية الناشئة عن تجاوز الاصوات، ومايتصل بالصيغ باعتبارها كلمات.

٣- المستوى التركيبى أو النحوى Syntax:

وهو يعالج عملية انتظام الكلمات فى جمل ، فيهتم بدراسة نظام الجمل وتحليلها، وبيان العلاقات النحوية التى تربط بين عناصرها المختلفة، كما يدرس أنواع الجمل من اثبات أو نفى أو استفهام أو غير ذلك.

ولشدة ارتباط الصرف بالنحو جمع أكثر اللغويين بينهما وأطلقوا عليها معا مصطلحا واحدا هو " قواعد اللغة" أو" النحو Grammar".

٤- المستوى الدلالى Semantics:

ويعنى بدراسة معانى المفردات والعبارات، والعلاقات الدلالية المختلفة مثل الترادف وتعدد المعنى والاشتراك اللفظى، ودراسة التغير الدلالىوأسبابه، وحياة الكلمات وتطورها التاريخي ومايلحقها من رقى أو انحطاط.

والمستويات الثلاثة الأولى هى - فى حقيقة الأمر- فى خدمة البحث الدلالى ، فكل دراسة لغويا تصبو - فى النهاية - الى بيان المعنى والكشف عنه.

ونكرر القول أن الفصل بين مظاهر اللغة المختلفة - على النحو السابق- لاوجود له فى واقع اللغة الفعلى الذى يمارسه المتكلمون فالمتكلم باللغة يتكلم بها دون تفريق، ودون وعى منه بالظواهر الصوتية أو الصرفية أو النحوية أو الدلالية. وانما يعمد الباحث فى اللغة الى هذا الفصل الصناعى بقصد السهولة فى التناول والوصف.[١٦]

******

الفصل السادس

الأســـــرات اللغويـــــة

أولا : اللغات واللهجات :

من الظواهر اللافتة فى الكتب التى تذكر توزيع اللغات فى العالم الحديث اختلاف عدد هذه اللغات بين ألفى لغة وخمسة آلاف لغة. فمن قائل بأن صورة ما من صورة الاستخدام اللغوى هى لهجة ومن واصف لها بأنها لغة، وكان الأمر لايخضع لمعيارواضح أو فيصل محدد. رب قائل يرى أن اللغة شئ مدون ، ولكن ألم يتفق الباحثون على أن اللغة ظاهرة صوتية وأن الكتابة أمر ثانوى، وهل نجهل أن آلاف الكتب قد الفت وصفا للهجات المختلفة، وأن كل صور التعامل اللغوى يمكن أن تكتب؟ هناك مجتمعات انتشرت فيها الكتابة وأخرى قصرت دون ذلك، أما التعامل اللغوى فقائم هنا وموجود هناك " سواء أدونت هذه اللغة أو اللهجة أم لم تدون ، يستوى فى هذا أن يكتب كل أبنائها أو أن يكونوا جميعا فى عداد الأميين ، فالتدوين شئ ووجود اللغة شئ آخر. يتصور كثيرون مثلا أن النوبية لاتكتب.وكأن أصواتها تستعصى على التدوين أو كأن الكتابة قصرت دونها. ويظن كثرون أنها لم تدون بعد ، والواقع أن عددا من الدراسات اللغوية قد كتب عن اللهجات النوبية المختلفة، فنحن نعرف مثلا لهجة الدنجلاوى وغيرها من اللهجات النوبية، ولكن كيف وصفنا النوبية بأنها لغة والعربية بأنها لغة مغايرة؟ وكيف جاز لنا أن نفرق بين اللهجات واللغات؟

هناك معايير مختلفة أقربها أننا اذا وجدنا اثنين يتحدثان بصورتين مختلفتين من صور التعامل اللغوى. ويتفاهمان على الرغم من الاختلاف،

فهما يتحدثان لهجتين مختلفتين للغة واحدة، ولا أعنى اللقاء الأول بل أفترض أن هذا تم بعد وقت قصير قضىعلى هول المفاجأة وقلل من الشعور بالغربة، فالمتحدث باللهجة العربية اليمنية يستطيع بعد وقت وجيز التفاهم مع القاهرى، كل يتحدث لهجته وكل يفهم الاخر بدرجة معقولة. أما اذا تحدث اليمنى أو القاهرى لهجته وسمعه ألمانى لايعرف العربية لما تفاهما وهنا نقول : بأن هذه لغة وتلك لغة أخرى.

وقد يبدو لنا هذا الفيصل المميز بين اللغة واللهجة شيئا بديهيا وعرفا متداولا ولكن العالم الحديث بدوله التى ترى الحدودالسياسية حدودا لغوية مفروضة لايقبل هذا دائما ، يتحدث اللغويون عما هو كائن وتتحدث أجهزة السياسة فى دول مختلفة فى العالم عما ينبغى أن يكون فى تصورهم،وبعض الدول تنكر وجود اقليات لغوية عربية وكأن الحدودالسياسية ينبغى أن تصبح حدودا لغوية كذلك، ولكن كيف قلنا مثلا بأن صورة التعامل اللغوى هناك انما هى العربية، ان العربى القاهرى يفهمها بعد ساعات من الاقامة هناك، ولو كانت لغة مغايرة لما تيسر ذلك .

ولكن الم يلاحظ بعضنا مواطنين اثنين يتفاهمان أحدهما يتحدث الأسبانية والآخر يتحدث الايطالية ، ونحن نعرف الأسبانية لغة متميزة عن الايطالية، ألم يلاحظ كثيون التقارب الشديد بين كل اللغات السلافية بلهجاتها، حتى ان البعض يتحدث عن التشيكية وعن السلوفاكية، ويراهما البعض لغة واحدة ذات لهجتين ، ومن عاش فى وسط أوربا يسأل نفسه لماذا اعتبرت الهولندية لغة قائمة بذاتها فى حين أن الفلاح الألمانى الشمالى والفلاح الهولندى قد يلتقيان ويتحدث كل منهما كما لو كان فى قريته فيتفاهمان دون صعوبة تذكر، ولماذا تعتبر لهجة أقصى الشمال فى المانيا ولهجة منطقة

جبال الالب فىالمانيا والنمسا لهجتين للغة واحدة، ولو التقى هذا مع ذلك لكان عليهما التوسل بالفصحى والا تعذر التفاهم بينهما.

يطول بنا الحديث فى تناول أوجه الاختلاف بين الحدود السياسية والحدود اللغوية، والتمييز بين اللغات واللهجات، وحسبنا هنا أن نشير اليه أن ابن اللغة لايسمى اسلوب التعامل اللغوى الذى يتوسل به – عادة – باسم مباشر، دون أن يصنف هذا أو ذاك بأنه لغة أو لهجة. أما الدول ذات التخلخل الداخلى – ومصر بعيدة كل البعد عن ذلك– فذات حساسية خاصة من هذه الناحية، ولو تحدث أحد من الناس عن احدى صور التعامل بأنها لهجة لكان من أنصار وحدة الدولة واذا تحدث آخر، واصفا الشئ نفسه بأنه لغة لكان انفصاليا ، وهذا واضح فى دول عرفت حربا أهلية منذ وقت غير بعيد ، ولكن أليس هناك من فيصل علمى لحديثنا مثلا عن العربية والالمانية والفرنسية بوصفها لغات متميزة .

الواقع أن هذه الاشكال ذات تراث وتستخدم فى صور مشتركة ترتفع فوق مستوىالاختلافات المحلية، ومن ثم فاننا نصنف صور التداول اللغوى المشتركة،التى يتعامل بها عدد كبير من البشر فى مجالات الثقافة والحياة الراقية بأنها لغات، وهذا المعيار مختلف فى تطبيقاته وتفاصيله من بيئة لغوية لأخرى.

ولايكون التقارب بين اللهجات وبعضها فى اطار اللغة الواحدة فحسب، بل قد يكون بين اللغات المختلفة فى اطار الاسرة اللغويةويكون فروعا مختلفة، كالفرع الهندى والفرع الايرانى والفرع السلاقى والفرع الجرمانى والفرع الرومانى. كما تضم أسرة اللغات السامية الفرع الاكادى

فى العراق والفرع الآرامى فى العراق والشام قبيل الاسلام والفرع الكنعانى فى الشام قبل الاسلام بقرون ، والفرع الجنوبى الذى يضم العربية والعربية الجنوبية والحبشية. وكى تكون الصورة المعاصرة واضحة سنعدل صفحا عن العرض التاريخى المنطلق من الماضى ، وننظر فى العلاقات اللغوية المعاصرة محاولين ربطها بالماضى بقدر الامكان.

ثانيا: اللغات الهندية الأوربية:

تضم الأسرة الهندية الاوربية عددا من اللغات الممتدة من الهند عبر ايران وشرق اوربا الى غرب اوربا وأمريكا. يضم الفرع الهندى من أسرة اللغات الهندية الأوربية عددا من اللغات المنتشرة فى الهند والباكستان وفى جزء من سيلان ، أهم لغات هذا الفرع هى اللغة الهندية- الأردية التى يستخدمها حوالى مائتى مليون ، أكثرهم من أبناء هذه اللغة، وقسم منهم من أبناء لغات أخرى ولكنهم يتعاملون بها فى حياتهم، أما اللغة البنغالية فيتحدث بها حوالى السبعين مليونا ، وتأتى بعدها اللغة البنجابية ويتوسل بها حوالى العشرين مليونا ،وغنى عن البيان أن هذه المنطقة تعرف عددا كبيرا من اللغات المحلية التى تنتمى الى الفرع الهندى من أسرة اللغات الهندية- الاوربية.

واذا تركنا الهند والباكستان متجهين الى جنوب ايران وافغانستان التقينا بالفرع الايرانى من الأسرة الهندية الأوربية ، وهنا نجد الفارسية وأبناؤها حوالى أربعين مليونا، ثم لغة الباشتو التى يتحدث بها اثنى عشر مليونا، ثم اللغة الكردية فى ايران والعراق وتركيا وعددهم يتراوح فى الاحصائيات بين خمسة ملايين وعشرة ملايين.

فاذا ماانتقلنا الى القارة الأوربية وجدنا ثلاثة افرع لأسرة اللغات الهنديةالأوربية وعددا من اللغات المفردة التى لاتنتمى الى فرع بعينه من فروع هذه الأسرة . مثل اللغة الالبانية ويتحدث بها مليونان وهى لغة قائمة براسها،وكذلك الأرمينية ذات الملايين الثلاثة، ثم اليونانية لغة الملايين الثمانية فى اليونان وجزرها. تكون كل لغة من هذه اللغات على قلة عدد المتحدثين بها فرعا قائما برأسه فى اطار الأسرة الهندية الأوربية.

ويضم الفرع البلطى - السلاقى من هذه الأسرة عددا من اللغات المتقاربة، ففى أقصى الشمال نجد الليتوانية واللاتفية،ولايزيد عدد المتحدثين بالأولى عن ثلاثة ملايين وبالثانية عن مليونين ، واللغتان من اللغات الوطنية فى الاتجاد السوفيتى.

والواقع أن أكثر لغات دول شرق أوربا تنتمى الى الفرع السلاقى، وأهم لغات هذا الفرع هى اللغة الروسية، وهى لغة لاتقتصر أهميتها علىمائة وأربعين مليونا من الروس ،وهى - أيضا - لغة التداول واللغة المشتركة بين أبناء جمهوريات الدول المستقلة فى شرقى أوربا ووسط آسيا ، وقد ازدادت أهمية اللغة الروسية فى الأعوام الخمسين الماضية . أما باقى لغات الفرع السلاقى من اللغات الهندية الأوربية، فمنها لغة روسيا البيضاء، والأكرانيةويتحدث بكل منهما حوالى أربعين مليونا، ثم اللغة البولندية ذات الاثنين والثلاثين مليونا، ثم اللغة الصربية واللغة الكرواتية،واللغة السلوفينية ذات المليونين، ثم اللغة التشيكية- واللغة السلوفاكية ويتحدث بهما على التوالى عشرة ملايين وأربعة ملايين، ونذكر أخيرا من لغات الفرع السلاقى اللغة البلغارية ويتحدث بها سبعة ملايين.

ولعل من الملاحظ هنا أن اللغة الرومانية لغة جمهورية رومانيا لاتدخل فى الفرع السلاقى، فهى احدى لغات الفرع الرومانى من اللغات الهندية الأوربية.

ولغات الفرع الرومانى هى اللغات المنحدرة عن اللاتينية، وأهم هذه اللغات: اللغة الاسبانية، وهى اللغة الأم لحوالى مائة وأربعين مليونا من الأسبان وسكان أمريكا الجنوبية والوسطى، تليها من حيث عدد أبنائها اللغات البرتغالية بخمسة وسبعين مليونا فى البرتغال والبرازيل ، ثم اللغة الفرنسية باثنين وأربعين مليونا فى فرنسا وعشرة ملايين أخر فى كندا وبلجيكا وسويسرا. وقد انحسر استخدام اللغة الفرنسية فى الاستخدام الدولى مع بروز أمريكا فى المجال الدولي ، فلم تستخدم لغة للثقافة والادارة الا فى بعض دول افريقيا التى استقلت حديثا عن الاستعمار الفرنسى، أو البلجيكى . وقل استخدام اللغة الفرنسية فى مصر فى القرن العشرين وكادت تنحسر تماما عن سوريا.وأخذت فى التضاؤل السريع فى لبنان، يتضح هذا بمقارنة أجيال المتعلمين فى هذه المناطق ، فالكثرة الغالبة من الاجيال الشابة تتعلم الانجليزية، بعد أن كانت الفرنسية هدفا تعليميا فى القرن الماضى فى المنطقة نفسها، وتنتمى الى الفرع الرومانى كذلك اللغات الايطالية والرومانية والقشتالية ، ويكاد يقتصر استخدام الايطالية على جنوب ووسط ايطاليا، أما منطقة شمال ايطاليا (تيرول الجنوبية) فالايطالية بها هى اللغة الرسمية، ولكن لغة الحياة اليومية هى الالمانية. واللغة الرومانية لغة جمهورية مستقلة سكانها حوالى ثلاثين مليونا ، وهى لغة رومانية من أصل لاتينى وليست من لغات الفرع السلاقى، وأخيرا نذكر اللغة القشتالية بملايينها الخمسة فى

اسبانيا ، وهكذا نلاحظ أن اللغات الرومانية تستخدم فى جنوب اوربا وجنوب ووسط أمريكا.

أما منطقة شمال أوربا فترتبط مع الجزر البريطانية وباقى مناطق وسط أوربا برباط لغوى، ولغات هذه المناطق تكون الفرع الجرمانى من الأسرة الهندية الأوربية ، وأهم لغات هذا الفرع : اللغة الانجليزية، ويتحدث بها مائتان وخمسون مليونا من أبنائها فى بريطانيا والولايات المتحدة وكندا واستراليا وجنوب افريقيا ، ولايقتصر استخدامها على هؤلاء، فهى لغة التعامل والعلم فى الهند وعدد كبير من دول افريقيا الناهضة، وهى بهذا أكثر لغات العالم تداولا بين غير أبنائها.أما اللغات الالمانية فتستخدم وحدها فى ألمانيا الاتحادية والنمسا ، وهى لغة قسم كبير من سويسرا وهى كذلك لغة شمال ايطاليا، ولغة عدد من الجزر اللغوية المتناثرة فى شرق أوربا. وكانت للالمانية مكانة مرموقة فى كل مناطق شرق أوربا طوال القرون الماضية، ولكنها أخذت تفقد هذه المكانة مع استخدام الروسية فى الدول الاوربية الشرقية فى عهودها الاشتراكية، كما فقدت بعض مكانتها مع انتقال مراكز الثقل العلمى الى الاتحاد السوفيتى وأمريكا. ولكى نكمل صورة اللغات الجرمانية فى العالم المعاصر لابد أن نشير الى الهولندية بلهجاتها المختلفة فىهولندا وبلجيكا والى اللغات الاسكندنافية (السويدية ، والدانمركية) ويتحدث بالهولندية حوالى ثمانية عشر مليونا وباللغة الاسكندنافية نفس العدد تقريبا. هناك امتداد للغات الجرمانية فى افريقيا، وهى لغة الافريكانس فى جنوب افريقيا ، وثمة امتداد مرتبط باليهود هو لغة اليديش. وقد نشأت فى وسط المانيا كلهجة ألمانية تكونت عند اليهود

هناك وكتبوها بأحرف عبرية، وانتقلت معهم الى شرق أوربا فدخلتها الفاظ سلاقية كثيرة ، ثم هاجر ملايين من المتحدثين بها الى الولايات المتحدة الامريكية ولا سيما الى نيويورك ، وهى لغة تستخدم بين اليهود الأوربيين والأمريكيين على نحو يجعل المتحدثين بها أكثر عددا من مستخدمى العبرية فى اسرائيل .

ثالثا : الأسرة اللغوية الأفرو أسيوية:

تكون اللغات الافرو اسيوية اسرة لغوية واحدة من أكبر الاسرات اللغوية فى العالم القديم والوسيط والحديث. وتضم هذه الاسرة عدة أفرع لغوية، هى : الفرع السامى، والفرع المصرى القديم، والفرع البربرى، والفرع التشادى، والفرع الكوشى. وكان اللغويون قد أدركوا العلاقة بين اللغات المختلفة التى تدخل فى اطار اللغات السامية. ثم اتضحت أوجه الشبه بين هذه اللغات واللغة المصرية القديمة. واتسع مجال المقارنة فدخلت اللغة البربرية وقورنت مع اللغات السامية وثبتت القرابة أيضا. وامتدت الدراسات المقارنة الى بعض اللغات الافريقية ذات الصلة البنيوية باللغات السامية فاتضحت أوجه الشبه البنيوية أيضا. وهكذا تكونت لدى الباحثين صورة عن القرابة بين عدد من اللغات فى شمالى وشرق افريقية وغربى آسيا، ولذا وصف اللغوى الامريكى جرينبرج Greenberg هذه الأسرة بأنها الأسرة الأفروأسيوية Afro-Asiatic.

أولا: اللغات السامية :

يضم الفرع السامى من اللغات الأفرو اسيوية عددا من اللغات القديمة والحديثة التى لها دور واضح فى الحضارة الانسانية. وتعد اللغات السامية

من أقدم اللغات الانسانية التى وصلت الينا مدونة ، فاللغة الاكادية فى أرض النهرين قد دونت منذ ٢٥٠٠ ق م ، وهى بهذا من أقدم اللغات المدونة. وقد وصلت الينا نصوص مدونة بلغات سامية مختلفة منذ هذا التاريخ المبكر وعبر حوالى خمسة وأربعين قرنا، كما يعرف العالم الحديث عدة لغات سامية حية، أهمها العربية والأمهرية ومنها العبرية الحديثة واللهجات الأرامية الحديثة والمهرية والتجري والتجرينية. وكل هذه اللغات قد نشات عبر مراحل من التغير عن لغة واحدة مشتركة لم تصل الينا نصوص منها، وهى اللغة التى يسميها الباحثون باسم اللغة السامية الأولى.

الأكاديـــــة:

اللغة الأكادية هى أقدم لغة سامية دونت ، فقد كتبت اقدم نصوصها حوالى سنة ٢٥٠٠ق.م. والأكاديون هم تلك الجماعات السامية التى هاجرت من مهد السامين فى جزيرة العرب - على أرجح الآراء - الى العراق . وتعد هذه الهجرة أقدم الهجرات السامية. وعندما دخلت هذه الجماعات الساميةأرض العراق التقت بشعب متحضر قديم وتعلمت منه الكثير . كان العراق قبل هجرةالسامين اليه مركز حضارة السومريين , والسومريون شعب لاعلاقة له بالساميين ،ولغته تختلف اختلافا بعيدا عن اللغات السامية بل وعن اللغات الأفرو أسيوية بأسرها.

تعلم الساميون الوافدون من السومريين نظام الكتابة ، وكان السومريون يدونون لغتهم برموز تشبه المسامير، وتسمى هذهالكتابةباسم الكتابة المسمارية. وتعتمد هذه الرموز المسمارية- بصفة عامة - على

تدوين كل كلمةبعد تقسيمها الى مقاطع . ولذا فهى كتابة مقطعية من ناحية الاساس العلمى ومسمارية من ناحية الشكل .

لقد دخلت اللغة الأكادية أرض النهرين فى القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد تقريبا . وساد المنطقة حوالى ستة قرون ازدواج لغوى بين الاكادية والسومرية . وتوجد نقوش بكلتا اللغتين من هذه الفترة . ويقسم العلماء النقوش الاكادية المدونة بعد ذلك الى عدة مستويات لغوية بابلية وأشورية . وعندما سقطت آخر الدول الاشورية فى القرن السابع قبل الميلاد كانت اللغة الأرامية تنافس الأكادية فى العراق، فقل استخدامها بصورة مطردة فى القرون التالية.

الأجريتية :

اللغة الاجريتية هى اللغة السامية الثانية من ناحية تاريخ تدوين أقدم النقوش، فقد دونت نقوشها حوالى سنة ١٤٠٠ق.م وقد اكتشفت هذه النقوش الاجريتية سنة ١٩٢٩ فى أطلال مدينة قديمة جاء اسمها " اجريت " فى النقوش ، وتوجد بالقرب من راس شمرا على ساحل الشام. وقد دونت الأجريتية بخط أبجدى، وبعد مرحلة متطورة نقلت نظام الكتابة الى مستوى بسيط ودقيق الى حد بعيد. فقد طور الأجريتيون نظام الكتابة الىأبجدية . وتقوم الكتابة الأبجدية على أساس أن يعبر الرمز الواحد أى الحرف الواحد عن صوت واحد من أصوات اللغة، ولهذا يحتاج تدوين اللغة الى عدد محدود من الرموز ، وبذلك تم عند الاجريتيين تبسيط نظام الكتابة . وعنهم أخذت باقى الشعوب فكرة الكتابة الأبجدية .أما من ناحية الشكل فقد دون

الاجريتيون حروف ابجديتهم برموز تشبه المسامير. ولـذا تعد الكتابـة الاجريتية كتابة مسمارية أبجدية.

الفينيقية:

اللغة الفينيقية هى لغة النقوش التى وصلت الينا من ساحل الشام ومن جنوب أوربا وشمال افريقيا وجزر البحر المتوسط. وهذه النقوش مدونة بخط ابجدى متطور عن الخط الأجريتى. وهو خط أبجدى . لكل صوت رمز يكتب به ، ولكنه يختلف عن الخط الأجريتى من ناحية الشكل . والخط الاجريتى مسمارى، والخط الفينيقى تتخذ الحروف فيه أشكالا هندسية مختلفة ويشبه الى حد ما الخط العبرى. وتؤرخ النقوش الفينيقية بالفترة بين سنة ١٢٠٠ ق.م الى سنة ١٠٠ ميلادية فى منطقة ساحل الشام . وهناك نقوش دونت بعد هذا التاريخ فى شمال افريقيا، ويطلق على النقوش الفينيقية فى شمال افريقيا اسم النقوش البونية.

العبريـــــــة:

اللغة العبرية هى احدى اللهجات الكنعانية، تعلمتها مجموعة من الآسيويين عندما هاجروا الى أرض فلسطين . فاكتسبوا لهجة كنعانية سائدة فى فلسطين فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد. وقد ظلت العبرية لغة الحياة اليومية فى هذه المنطقة حوالى ستة قرون . الى أن حلت محلها لهجات آرامية فى المنطقة نفسها. وقد ارتبطت اللغة العبرية بالدين اليهودىحتى بعد أن انتهت من الاستخدام فى الحياة اليومية .

١- العبرية القديمة:

هى لغة اسفار الكتاب المقدس عند اليهود المكون من أسفار موسى الخمسة أى التوراة واسفار الأنبياء وأسفار المكتوبات الأدبية. ويرمز اليهود الى هذا الكتاب المقدس بالأحرف الأولى الدالة على أقسامه الثلاثة. ولذا فيسمى عندهم : ت ن خ . أما عند المسيحيين فيطلق على هذا الكتاب اسم العهد القديم، تمييزا له عن العهد الجديد أى الأناجيل . ويكاد يكون العهد القديم المصدر الوحيد للتعرف على العبرية القديمة ، فهناك نقوش قليلة وصلت الينا بالعبرية القديمة.

٢- عبرية المشنا:

المشنا تمثل الكتاب المقدس الثانى عند اليهود ، وقد دون بعد أن اكتمل تدوين العهد القديم . وقد ألف كتاب المشنا بين أواخر القرن الأول الميلادى ومنتصف القرن الثالث للميلاد بلغة عبرية لم تكن لغة الحياة آنذاك ، فقد كان مؤلفو المشنا يتعاملون بالأرامية فى أمور الحياة ويرتلون الكتاب المقدس بالعبرية لغة الدين وبها ألفوا المشنا.

٣- العبرية الوسيطة:

العبرية الوسيطة هى لغة الكتب الدينيةوغير الدينية التى ألفت فى العصور الوسطى ، وهناك خلاف بعيد حول تحديد نقطة البداية ونقطة النهاية بالنسبة لهذه المرحلة من تاريخ اللغة العبرية. لقد ازدهرت اللغة العبرية فى اطار الحضارة الاسلامية فى الأندلس فكتبت بها نصوص أدبية، وفيها محاكاة للأدب العربى مثل المقامات ، وترجمت الىالعبرية كتب عربية كثيرة ، وكتبت بها بعض المؤلفات الدينية والفلسفية.د

٤- العبرية الحديثة:

العبرية الحديثة هى اللغة الرسمية فى اسرائيل . والعبرية الحديثة هى محاولة لاحياء اللغة العبرية بعناصرها الموروثة مع تطويرها فى اطار الحياة الأوربية لتعبر عن الحضارة الحديثة. ولذا فهناك اختلافات فى بنية اللغة العبرية الحديثة تعكس تغيرا طرأ على هذه اللغة عبر مراحلها المختلفة، وهناك مصطلحات كثيرة دخلت اليها من اللغات الأوربية المختلفة . ويعكس نطق اللغة العبرية الحديثة العادات الصوتية عند أبناء اللغات الأوربية. ويتضح هذا بصفة خاصة فى عدم نطق أصوات الاطباق واصوات الحلق بالطريق المتعارف عليها عند العرب وفى اللغات السامية القديمة.

الأراميـــــــة:

وصلت الينا الأرامية فى عدد من المستويات اللغوية منذ القرن العاشر قبل الميلاد الى اليوم . ولذا فاللغة الارامية معروفة على مدى القرون الثلاثين الماضية . وليس هناك لغة أرامية موحدة . بل تنوعت المستويات اللغوية الأرامية فى كل فترة زمنية تنوعا بعيدا ، وتغيرت خصائص هذه اللهجات بمضى الوقت.

ب - السريانية :

السريانية أهم اللهجات الآرامية من الناحية الحضارية ارتبط تاريخها بالمسيحية ، ولذا يرغب المسيحيون عن تسميتها بالآرامية باعتبار الآرامية لغة وثنية. وكانت السريانية لهجة منطقة محدودة فى الشام وانتشرت مع ظهور المسيحية شيئا فشيئا الى أن أصبحت لغة منطقة كبيرة فى الشام

والعراق ولغة ثقافة معروفة. وترجع أهمية اللغة السريانية- فى المقام ا لأول - الى أنها كان

وسيلة نقل التراث اليونانى الى اللغة العربية . ففى القرون السابقة على الاسلام كان المثقفون المسيحيون السريان يتعلمون اللغة اليونانية ويقراون تراث اليونان . وعندما دخلت منطقة الشام والعراق بعد الفتح الاسلامى فى اطار الحضارة الاسلامية الناشئة أسهم المسيحيون السريان فىتكوين الحضارة العربية الاسلامية بترجمة ماعندهم من معارف يونانية الىاللغة العربية. ومن اشهر المترجمين السريان حنين بن اسحق وتلاميذه.

وتوجد اليوم عشرات القرى الأرامية فى شمال العراق وايران ، وهناك قريتان آراميتان فى سوريا. وهذه القرى الآرامية تقع فىمناطق جبلية حافظت على ارتباطها بالمسيحية . ويقدر عدد الناطقين بالآرامية فى هذه المناطق بربع المليون .

أ - العربية الجنوبية:

العربية الجنوبية من مجموعة المستويات اللغوية التى وصلت الينا فى النقوش التى يسميها الباحثون باسم النقوش المعينية والسبئية والحميرية. وتؤرخ هذه النقوش بالفترة من القرن السادس الميلادى تقريبا. وقد وجدت هذه النقوش فى النصف الجنوبى من جزيرة العرب وعلى طرق التجارة التى كان الجنوبيون يقفون فى محطاتها الموجودة حتى أقصى الشمال. وهذه النقوش مدونة بخط أبجدى بسيط يختلف من ناحية اشكال الحروف عن الخط العربى الشمالى، ويسمى الخط الجنوبى باسم الخط المسند.وبعد انهيار سد مأرب هاجرت قبائل جنوبية الى الشمال. فأخذت تتعرب شيئا فشيئا بلغة

الشمال ، وأخذت العربية الشمالية قبيل الاسلام تنتشر فى جنوب الجزيرة العربية وزاد معدل التعريب بشكل واضح بعد دخول اليمن فىالاسلام .ولم تبق من العربية الجنوبية الى اليوم الا مجموعة من اللغات فىمناطق منعزلة نسبيا أهمها المهرية فى محافظة واحدة من اليمن على حدود عمان ، ويقدر عدد أبناء المهرية بحوالى ربع مليون ، وتوجد لغة جنوبية حديثة فى جزيرة سوقطرة فى بحر العرب. وتسمى باسم اللغة السوقطرية.

ب – اللغات السامية فى الحبشة:

نشات اللغات السامية فى الحبشة نتيجة لهجرة عربية جنوبية من جزيرة العرب الى شرق افريقيا، ولذا هناك تشابه بين أقدم ماوصل الينا مدونا فى الحبشة وبين مانعرفه فى النقوش العربية الجنوبية القديمة.

ولغة الجعز اقدم لغة سامية عرفتها الحبشة، وهى لغة ذات ارتباط مسيحى واضح، وتشبه من هذا الجانب اللغة السريانية وكذلك اللغة القبطية. وقد ترجمت الى لغة الجعز فى القرن الرابع الميلادى مجموعة الاسفار المكونة للكتاب المقدس لدى المسيحيين، وقد ظلت لغة الجعز ذات ارتباط كنسى واضح، فأكثر ماكتب بها وماترجم اليها نصوص دينية.

وهناك لغات سامية حديثة فى الحبشة ، فلغة الجعز ماتت منذ قرون، ولم يعد لها استخدام فى الحياة اليومية، وأكثر اللغات السامية استخداما فى الحبشة اليوم هى اللغة الأمهرية. وهى اللغةالرسمية فى الدولة وبها مؤلفات حديثة وتصدر بها الصحف وتستخدم فى التعليم العام ، أما اللغتان التجريتية والتجرية فهما أكثر اللغات انتشارا فى أرتيريا.

وتدون اللغات السامية المختلفة الموجودة الى اليوم فى الحبشة بخط معقد يقوم على نظام المقاطع ، فالحرف الواحد يرمز الى صوت صامت مع حركة ، والحركات كثيرة فى اللغات السامية فى الحبشة، ولذا يصل عدد الرموز المستخدمة فى تدوين تلك اللغات الى حوالى ١٨٠ رمزا . واخيرا فلابد من الاشارة الى أن دولة الحبشية تضم جماعات كثيرة العدد ، لها لغات مختلفة لاتنتمى الى اللغات السامية ، وليس ثمة احصائيات لغوية دقيقة توضح لنا نسبة شيوع اللغات المختلفة فى الحبشة .

الأفرع اللغوية الأخرى

تضم الأسرة الأفرو أسيوية الى جانب الفرع السامى أربعة أفرع لغوية أخرى، هى: الفرع المصرى القديم والفرع البربرى والفرع الكوشى والفرع التشادى.

أ - اللغة المصرية القديمة:

اللغة المصرية القديمة من أقدم اللغات الحضارية فى العالم . يرجع أقدم نقوشها الى القرن الثلاثين قبل الميلاد تقريبا، وهى بهذا موازية من ناحية الزمن للغتين السومرية والأكادية. وقد دونت اللغة المصرية القديمة عدة قرون فتغيرت خصائصها اللغوية، ولذا يمكن تقسيم مراحل تطورها الى عدة مراحل (مصرى قديم، مصرى متوسط ، متأخر...). وتعد اللغة القبطية آخر مرحلة من مراحل تاريخ اللغة المصرية القديمة.وقد كتبت اللغة المصرية القديمة بعدة خطوط أقدمها الكتابة الهيروغليفية. وتقوم أساسا على تدوين الكلمة بشكل دال على معناها مع الرمز الى العناصر الصرفية برموز اضافية محدودة تشير الىالنطق . قد بسطت الكتابة فى مراحل تالية،

واتخذت اشكالا مختصرة، ومن أهم هذه النظم المبسطة الخط الهيراطيقى والخط الديموطيقى .

اما اللغة القبطية فقد دونت بخط أبجدى يقوم على الأبجدية اليونانية، مضافا اليها سبعة أحرف لاتوجد فى اليونانية. وقد أرتبطت اللغة القبطية بالمسيحية فى مصر ، وكانت تمثل ازدواجا لغويا مع اللغة اليونانية ولذا دخلت القبطية ألفاظ يونانية كثيرة . ومن هذا الجانب تشبه اللغة القبطية اللغتين السريانية والجعزية.

٢- اللغات البربرية :

هناك نقوش قديمة تسمى عند الباحثين باسم النقوش الليبية أو النوميدية . وتعد المستويات اللغوية البربرية الحديثة امتدادا للهيئة القديمة. تقوم بنية الكلمة فى البربرية على الصوامت والأوزان على النحو المعروف فى اللغات السامية. وتوجد اللهجات البربرية فى منطقة شمال افريقيا التى سادتها اللغة العربية بعد الفتح الاسلامى، خصوصا بعد منتصف القرن الخامس الهجرى. فقد أدت هجرة بنى هلال الى تعريب مناطق بربرية كبيرة، كان الفتح الاسلامى قد عرب منطقة صغيرة على الساحل التونسى. وتوجد اليوم جماعات بربرية قليلة العدد فى ليبيا وتونس . ولكن أكثر البربر يعيشون فى الجزائر والمغرب وموريتانيا والصحراء. ويقدر عددهم بحوالى خمسة ملايين . وهناك جماعات بربرية فى دول افريقية جنوب دول المغرب.

٣- اللغات الكوشية :

اللغات الكوشية فرع من الأسرة الأفرو آسيوية يضم عشرات اللغات تبدأ فى جنوب مصر وتمتد على الساحل الشرقى الافريقى حتى الصومال، وأهم اللغات التى يضمها هذا الفرع اللغة الصومالية التى تستوعب الحياة اليومية فى الصومال وفى المناطق المتاخمة فى أثيوبيا وكينيا.

٤- اللغات التشادية:

تضم اللغات التشادية حوالى ثمانين لغة، أكثرها أهمية وانتشارا لغة الهوسا ، التى تعد أكثر اللغات انتشارا فى أفريقياجنوب الصحراء ، وهى اللغة السائدة فى نيجيريا الشمالية وفى المنطقة المجاورة من جمهورية النيجر. ويقدر عدد أبناء الهوسا بما لايقل عن خمسة عشر مليونا ، ويتعامل بها من غير أبنائهاعدد لايقل عن عشرة ملايين . وهناك جماعات تتعامل بلغة الهوسا فى مواقع مختلفة فى مدن افريقيا الغربية وأفريقيا الاستوائية. وأكثر المتحدثين بلغة الهوسا من المسلمين. وقد ارتبطت لغة الهوسا بالثقافة العربية الاسلامية عدة قرون. فكتبت بالخط العربى ودخلتها الفاظ عربية كثيرة. وقد عدل نظام الكتابة فى عهد الاستعمار الأوربى ، وأخذت المدارس الحكومية فى تعليم لغة الهوسا مدونة بالخط اللاتينى.

رابعا : اللغات الأورالية الالتائية :

تتكون مجموعة اللغات الأورالية الالتائية من فرعين ، هما الفرع الأورالى والفرع الالتائىم. وينسب كلا الفرعين الى سلاسل جبلية ، الأول منسوب الى جبال الأورال التى تفصل أوربا عن آسيا ، والثانى الى جبال

الالتآى فى وسـط آسـيا.. وأهـم اللغـات التـى تدخـل فـى هـذه الاسـرة اللغـات المجرية والفنلندية والتركيةوالمغولية.

اللغات الأورالية:

تشكل اللغات الاورالية الجناح الأوربى من اللغات الأورالية الالتائية، وأهم لغات هذه المجموعة: الفنلندية والمجرية.

الفنلندية:

يبلغ عدد أبناء اللغة الفنلندية حوالى أربعة ملايين . وهى أهم اللغـات فى جمهورية فنلندا، التى تضم أيضا عدة أقليات لغوية تتحدث باللغة السويدية ولغة اللاب. ويرجـع التـاريخ الحضـارى للغـة الفنلنديـة الـى منتصـف القـرن السادس عشر ، ففي سنة ١٥٤٨م تمت ترجمة الأناجيل الـى اللغـة الفنلنديـة، فأصبح لدى الفنلنديين كتاب مقدس مدون بلغتهم . واعتمد أداء الترجمة علـى الاسـتخدام اللغـوى فـى منطقـة توركـو، وبذلـك ارتبطـت اللغـة الفنلنديـة فـــى تاريخها المبكر بلهجة هذه المنطقة التى نشات اللغة الفنلندية فى اطارها. وفى القرن السابع عشر والثامن عشر كاد استخدام اللغة الفنلدنيـة يكـون مقصـورا على كتب الثقافة الدينية، وكانت تكتب باعتبارهـا اللغـة المحليـة التـى يفهمهـا المواطنون . أما باقى المجالات فقد كانت تسودها اللغة السويدية، التى ظلت لغة الثقافة واللغة الرسمية عدة قرون. ولم تنتـه السـيادة اللغويـة السـويدية الا مع انفصال فنلنـدا واسـتقلالها عن السويد سـنة ١٨٠٩م. وهنـا بـدأت اللغـة الفنلندية تصبح اللغة الوطنية فـى دولـة فنلنـدا . ولـذا اخـذ المؤلفـون يـتركون

السويدية ليؤلفوا فىالعلم والثقافة باللغة الفنلندية. وبذلك ازدهرت اللغة الفنلدية فى القرن التاسع عشر فى اطار الحركة القومية، ولم تستطع فترة الاحتلال الروسى(١٨٥٠-١٨٦٠) أن تقضى على القومية الفنلدية ، بل لقد كان الاحتلال عاملا دفع الفنلنديين الى مزيد من الاهتمام بلغتهم القومية. وكان للعالم اللغوى الفولكلورى لونروت Lonnrot (١٨٠٢-١٨٨٤) جهد كبير فى جمع الأناشيد الشعبية وكون منها ملحمة الكاليفالا (١٨٣٥) وله ايضا فضل تأليف أول معجم للغة الفنلندية (١٨٨٠) . وبذلك أخذت اللغة الفنلندية مكانتها لغة قومية ولغة للثقافة والعلم فى دولة فنلندا.

المجريـــــــــة:

يضم الفرع المجرى ugrian عدة لغات، أهمها وأكثرها انتشارا اللغة المجرية Hungarian . وتعد اللغة المجرية أقدم اللغات ألفنلندية المجرية التى دونت ، فقد تم ذلك فى القرن الثالث عشر الميلاد فهناك نص مجرى وصل مدونا سنة ١٢٢٠م . وقد ظهرت بشائر النهضة اللغوية المجرية فى القرن السادس عشر عندما ألفت بها بعض الكتب الدينية فى اطار حركة الاصلاح الدينى . وكان شأنها فى هذا الصدد شان اللغات المحلية. واصبحت اللغة المجرية منذ القرن السابع عشر لغة تاليف وثقافة وطنية . ولكن اللغات الكثيرة نازعتها مكانتها فىبلاد المجر. فكان المجريون فى القرن السابع عشر يتعاملون باللغة اللاتينية باعتبارها اللغة الرسمية ولغة القضاء ولغة العلم ، وكان بعضهم يتعامل فى مجال العلم باللغة الالمانية ايضا فى حين كانت اللغة الفرنسية لغة الارستقراطية فى وسط اوربا،ولهذا تاثرت اللغة المجرية فى مجال العلم والثقافة باللاتينية وبالالمانية وفى الفاظ الحياة الراقية باللغة الفرنسية. وقد زاد الاهتمام باللغة المجرية فى أواخر

القرن الثامن عشر مع ظهور الحركة القومية المجرية، فاصبح المجريون يؤلفون بها في مجالات العلم ويهتمون بها رمزا لقوميتهم ووجودهم.

اللغات الالتائية

اللغات الالتائية هى الجناح الاسيوى من اللغات الأورالية الالتائية ، ومنها اللغات التركية والمغولية.

اللغات التركية :

يطلق مصطلح " اللغات التركية " أو " لغات الترك " على عدد من اللغات التى تنتمى الى أصل واحد مفترض . وتوجد اللغات التركية فى منطقة واسعة تمتد من وسط آسيا حتى غربها وشرقى أوربا. وقد انتشرت القبائل التركية بعد تحرك هذه الجماعات من موطنها الاقدم فى وسط آسيا وعلى حدود الصين مهاجرة فى اتجاه الغرب . وتكونت من لهجات هذه الجماعات لغات تميزت شيئا فشيئا عن بعضها البعض. وأهم هذه الجماعات التركية المهاجرة جماعات الأوغوز وجماعات القبجاق. تحرك الأوغوز الى غرب آسيا بينما هاجر القبجاق الى المناطق الشرقية من أوربا . وهكذا تكونت عدة لغات تركية فىالمنطقة الغربية من آسيا، وأهمها التركمانية والتركية ، وتكونت لغات تركية فى المنطقةالغربية من آسيا، وأهمهااللغة التتارية ولغة القازاق. وقد بقيت جماعات تركية كثيرة فى وسط آسيا ، وهكذا تنوعت اللغات التركية وبدأت كل منها تاريخها المتميز.

اللغة التركية هى لغة الدولة العثمانية، وأهم اللغات التركية فى التعبير عن الحضارة الاسلامية،وهى لغة الجمهورية التركية، وأهم اللغات التركية فى العصر الحديث. يرجع تاريخ اللغة التركية الى القرن الخامس

عشر الميلادى . وقد ازدهرت اللغة التركية فـيم اطـار الدولـة العثمانيـة،ولـذا تاثرت كثيرا بالعربية والفارسية ، وكانت اللغات العربية والفارسية والتركية، تستوعب مجالات التعبير الحضـارى فـى الجنـاحين الغربـى والأوسـط مـن العالم الاسلامى.و تسمى اللغة التركية فى هذه الفترة باسم التركيـة العثمانيـة، وكانت تدون بالخط العربى ، وقد شاعت التركية العثمانية فى اطار الحضـارة العثمانية، وكانت تدون بالخط العربى. وقد عاشت التركية العثمانية فى اطـار الحضـارة الاسلامية، وكانت المثل الثقافيـة فـى اطـار الدولـة العثمانيـة تجعـل اللغتيـن العربيـة والفارسية أهم ادوات الثقافـة الرفيعـة. وأدى هـذا الاهتمـام بالعربية والفارسية الى دخول عدد كبير مـن الالفـاظ العربيـة والفارسـية الـى التركية , ويتضح هذا التأثير بصفة خاصة فى المجالين الدينى والعلمى.

وقد دخلت اللغة التركية فى النصف الثـانى مـن القـرن التاسـع عشـر الى مجالات التعبير عن الحضارة الحديثة ، فتأثرت باللغـة الايطاليـة وباللغـة الفرنسـية فـى ألفـاظ الحضـارة والمصطلحـات العلميـة، وأخـذ بعـض الكتـاب يطرحون قضيـة التجديـد اللغـوى باعتبـاره الطريـق نحـو التقـدم والحضـارة. ونادى كثيرون بالاقلال من الالفاظ الدخيلة من العربية والفارسـية التـى كـان الفصحاء يتبارون فى حشـدها، وطـالب البعض بمحاولـة الاقـتراب مـن لغـة الشعب فى التعبير الأدبى. وظهرت فـى أواخر القـرن التاسع عشر وأوائـل القـرن العشـرين محـاولات لاصـلاح نظـام الكتابـة بابتكـار علامـات اضـافيـة تجعـل الكتابـة التركيـة اصـدق تعبيـرا عـن الصوامـت والحركـات التركيـة، وعندما ألغيت الخلافة سنة ١٩٢٤ ، وأعلنت الجمهورية التركية دولة علمانية كانت تركيا أول دولة تنفصل بارادة حكامها عن الاطار الاسلامى الحضـارى وتولى وجهها شطر الغرب.وفى ذلك العام ايضا كـانت المحـاولات الروسـية

الجنوبية لفصل الأقاليم الجنوبية عن الارتباط الحضاري بباقى أنحاء العالم الاسلامى قد اتخذت شكلا رسميا ، وذلك بتعديل نظام كتابة اللغات التركية فى جنوب الاتحاد السوفيتى من الخط العربى الى ا لخط اللاتينى، ولذلك كان اعلان التحول الى الخط اللاتينى فى تدوين اللغة التركية سنة ١٩٢٨ نقطة تحول فى التاريخ اللغوى والحضارى التركى ، فكان اعلانا بالتحول عن الارتباط بالعربية والفارسية ودعوة الى التغريب فى اللغة التركية. وقد حاولت الحكومات التركية بقرارات رسمية التخلص من كلمات عربية فارسية كثيرة كانت قد دخلت التركية واحلال كلمات تركية بديلة . وعلى الرغم من كل هذه المحاولات فقد ظلت نسبة عالية من الالفاظ العربية والفارسية مستقرة فى اللغة التركية ، ولاتزال الدولة تسمى نفسها رسميا باسم Turkiye Cumhuriyeti دون رفض كلمة " الجمهورية " وهى كلمة عربية ولكن تحول نظام الكتابة عن الخط العربى الى الخط اللاتينى أوقف دخول كلمات عربية جديدة وفتح الباب لدخول الفاظ كثيرة من اللغات الاوربية.

٢- اللغة الاذرية:

اللغة الأذرية هى لغة أذربيجان ، وتسمى هذه اللغة باسم " آذرى" . وتعد اللغة الاذرية اقرب اللغات – من حيث البنية النحوية والمعجم الأساسى– من اللغة التركية ، ومن الممكن أن يتفاهم آذريى بلغته مع تركى أناضولى بلغته فى موضوعات كثيرة دون أن يكون أحدهما قد تعلم لغة الآخر، وكأن اللغتين لهجتان للغة واحدة . واللغة الأذرية هى اللغة السائدة فى جمهورية اذربيجان وعاصمتها باكو ، وتوجد جماعات آذرية فى ايران .

ويقدر عدد أبناء اللغة الأذرية بحوالى ثلاثة ملايين ونصف (١٩٥٩) ، ثلاثة أرباعهم فى جمهورية آذربيجان .

وكانت اللغة الأذرية فى إطار الحضارة الاسلامية احدى اللغات التى صنفت بها المؤلفات الأدبية. وهناك تراث أدبى آذرى منذ القرن الثالث عشر الميلادى. وبهذا تكون الأذرية أقدم فى الاستخدام الأدبى المدون من اللغة التركية. وكان الأدباء الأذريون يجيدون العربية والفارسية، ولذا ظهرت ألفاظ عربية وفارسية كثيرة فى أشعارهم وكتاباتهم. وظهرت محاولات عند بعض الأدباء بعد ذلك للاقتراب من لغة الشعب والاقلال من التفاصح بالعربية والفارسية. وكانت الصحافة الأذرية فى أواخر القرن التاسع عشر عاملا مذكيا للوعى الوطنى الأذرى فى اطار النهضة الاسلامية. ولكن اعلان جمهورية أذربيجان السوفيتية (١٩١٨). ثم تحويل نظام تدوين اللغة الأذرية من الخط العربى الى الخط اللاتينى(١٩٢٤) ثم الى الخط الكيريلى الروسى (١٩٣٩) كانت عوامل حددت الوجهة الحضارية الى داخل الاتحاد السوفيتى. أما فى ايران فتكتب اللغة الأذرية ا لى اليوم بالخط العربى، وبذلك بدأت مرحلة جديدة فى آذرية جمهورية أذربيجان . وهناك اتجاه جديد بعد انهيار الاتحاد السوفيتى لاعادة تدوين الأذرية بالحرف العربى.

٣- اللغة الجغتائية:

اللغة الجغتائية احدى اللغات التركية ذات التاريخ الأدبى والثقافى، وقد دون الأدب الجغتائى منذ القرن الثالث عشرا لميلادى بالخط العربى. وكانت اللغة الجغتائية زاخرة بالألفاظ الفارسية والعربية. وكان تراثها محاكاة

للتراث الفارسى والعربى . وظلت اللغة الجغتائية أهم لغات شرقى دولة التتار، الى أن قام الأوزبك بطرد التتار من وسط آسيا وشرقى إيران فى القرن السابع عشر فأخذت لغتهم الأزبكية فى السيادة. واليوم يتحدث باللغة الأزبكية حوالى ستة ملايين ، أكثرهم فى جمهورية أبكستان السوفيتية ومنهم جماعات فى جمهوريات التاجيك والقرغيز والقازاق.

اللغات الوطنية للشعوب التركية:

هناك مستويات لغوية كثيرة توسلت بها الجماعات التركية فى جنوب أوربا ووسط آسيا، وكان استخدامها مقصورا على الحياة اليومية عند هذه الجماعات . أما فى مجالات الثقافة فقد كانوا - عند الضرورة - يتعاملون بغير لغاتهم المحلية، ولكن السياسة ا للغوية للاتحاد السوفيتى جعلت هذه المستويات اللغوية المحلية لغات وطنية، وهذه اللغات متقاربة فى البنية والمعجم ، حتى ان بعضها يكاد يكون بمثابة لهجات من اللغات التركية ، ولكن أبناءها يعدونها اليوم لغات وطنية وأهم هذه اللغات : الأزبكية، التتارية، القازافية، التركمانية.

وقد كان تعديل نظام التدوين الى الخط الروسى بالنسبة للآذرية والتركمانية وتدوين باقى المستويات اللغوية المحلية واعلانها لغات وطنية - تنفيذا للسياسة اللغوية فى الاتحاد السوفيتى.ويتضح ملامح هذه السياسة اللغوية مما يأتى:

١- تكوين أبجديات جديدة للشعوب التى لم تكن لها لغات وطنية مكتوبة خاصة بها واللغات التى كانت تتخذ الحرف العربى أساسا لتدوينها. وشكلت لهذا بعد ثورة ١٩١٧" لجنة مركزية للأبجدية الجديدة" . وقد

وضعت اللجنة فى أواخر العقد الثالث أبجديات جديدة تقوم على الأساس اللاتيني. وبذلك قطعت الصلة مع الخط العربى رمز الحضارة الاسلامية.

٢- أثبت التطبيق أن اتخاذ الحروف اللاتينية عند الجماعات التركية يجعل علاقاتها مع اللغة الروسية محدودة . ولذا فرض المؤتمر الأول لكل روسيا ١٩٣٢ الموافقة على مشروع تعديل نظام التدوين الى الخط الروسى. وبذلك أصبحت هذه اللغات التركية تدور فى الإطار الحضارى الروسى. ودخلت اللغة الروسية برامج التعليم باعتبارها اللغة الأجنبية العالمية ، فأصبحت اللغة الثانية عند الشعوب التركية فى هذه المنطقة.

٣- اصبحت اللغة الروسية مصدر الألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية، وقد أوضحت دراسة مفردات الصحف الأوزبكية أنه فىسنة ١٩٢٣ كان ٢٨٪ من الكلمات من أصل عربى وفارسى و ٢٪ من أصل أوربى، وفى سنة ١٩٤٠ قلت الألفاظ ذات الأصل العربى والفارسى الى ٢٥٪ وزادت الألفاظ الروسية والأوربية الى ١٥٪ . وقد استمر معدل التغير فى كلا الاتجاهين: تناقص الألفاظ العربية الفارسية من جانب وزيادة الألفاظ الروسية من الجانب الاخر. أما فى مجالات العلوم فان اللغة الروسية هى المصدر الوحيد بلا منافس ، ويتضح هذا من دراسة المصطلحات الأساسية للكيمياء. فى لغة الباشكير ، نجد ١٣٢٠ اصطلاحا أوربيا بصيغته الروسية ونجد ١٤٩ كلمة باشكيرية، وفى مصطلحات علوم الطبيعة نجد ٣٤٤ كلمة باشكيرية و ١٤٢٠ اصطلاحا أوربيا بصيغته الروسية.وهكذا نلاحظ أن الاتجاه العام فى تكوين ألفاظ الحضارة والمصطلحات العلمية فى اللغات التركية كان فى داخل الاتحاد السوفيتى يتلخص فى العبارات الآتية :" تؤخذ المفردات الاصطلاحات كاملة تقريبا

من اللغة الروسية بدون تغير فى الهجاء، ومع انهيار الاتحاد السوفيتى بدأت كل هذه الشعوب التفكير فى العودة الى الحرف العربى أو كتاب لغاتها بالحرف اللاتينى على النحو الذى تدون به اللغة التركية.

اللغات المغولية:

تضم أسرة اللغات المغولية ست لغات حديثة تطورت عن لغة واحدة هى اللغة المغولية القديمة ،وقد تكونت هذه اللغات المغولية الحديثة فى القرن الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر الميلادى عن اللهجات المغولية المختلفة. وقبل نشوء هذه اللغات المغولية الحديثة كانت اللغة الأم ، وهى اللغة المغولية القديمة ذات شأن كبير ، ففى القرنين الثالث عشر والرابع استطاع أبناء هذه اللغة بقيادة جنكيز خان وخلفائه من بعده أن يجتاحوا منطقة كبيرة ويقيموا امبراطوريتهم المترامية الأطراف. واليوم تطورت اللهجات المغولية وتكونت عدة لغات متقاربة.

اللغة المغولية هى اللغة الرسمية لجمهورية منغوليا الشعبية، يتحدث بها اليوم حوالى المليون . ويرجع تاريخها الى القرن الخامس عشر الميلادى عندما اتضحت ملامح اللغة المغولية الكلاسيكية متميزة بذلك عن اللغة المغولية القديمة، وقد ظلت اللغة المغولية الكلاسيكية منذ ذلك الوقت لغة ثقافية ولغة دين ، فترجمت اليها مؤلفات بوذية كثيرة من اللغة التبتية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد. وعلى مدى هذه القرون كانت اللغة المغولية – القديمة ثم الكلاسيكية – تدون بالخط المغولى القديم، وهو خط أبجدى يقوم على الخط الأوبغورى الذى كتبت به عدة قبائل تركية، فتعلمه المغول منهم فى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى، أما الخط المغولى

المأخوذ عن الخط التبتى فقد دونت بـه بعض النصـوص فـى أواخـر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابـع عشـر ، ولكنـه لـم يستقر بعد ذلك ،وظـل الخط الاوبغورى مستعملا حوالى سبعة قرون . أمـا الخـط المغولـى الحـالى فيقوم على أساس الخط الكيريلى الروسى ، وقد بـدأ التدويـن بـه سـنة ١٩٤١ وتقرر استخدامه والالتزام به سنة ١٩٤٦.

خامسا: اسرات لغوية أخرى:

ولنـترك هـذه المنطقـة متجهيـن الـى أقصـى الشـرق، وهنـاك نلتقـى بمجموعة اللغات الصينية – التبتية ، وتضم هذه المجموعـة عددا كبيرا مـن اللغات فمنها التبتية (٦ مليـون) والبرمانيـة (١٥ مليونـا فـى بورمـا). ولكن أكثر لغات هذه المجموعة انتشارا هى اللغة الصينية، التـى يتحـدث بهـا أكـثر من ربع سكان الأرض، وهى لغة شعب جمهورية الصين الشعبية، ولعل مـن المناسب أن نوضح هنا أن هذه اللغة تضم عددا متباعدا مـن اللهجـات ، يكـاد الفرق بين اللهجة الأخرى يصل الى الفـرق بيـن الفرنسـية والاسـبانية، وهـذا يؤدى الى تساؤل منهجـى حـول مدى اعتبـار الصينيـة لغـة واحـدة، فالتفـاهم الشـفوى بيـن أبنـاء هـذه اللهجـات يتعـذر اذا تحـدث كـل منهم باللهجـة التـى يستخدمها فى حياته اليومية ، وأهم مستويات الاستخدام اللغوى للغة الصينيـة هـو مـايطلق عليـه : المـاندارين التـى يتحـدث بهـا ثلاثمائـة وتسـعون مليونـا تقريبا، وهى بذلك أعظم لغات الأرض انتشارا.

وفى جنوب شرقى آسيا نجـد مجموعـات مـن اللغـات يمتـد انتشـارها كذلـك الـى الهندوسـيلان ، منهـا لغـة التـاى (١٨ مليونـا) ، والفيتناميـة (٢٠ مليونـا) والكمبوديـة (٣ ملايين) ، والدارفيديـة (٣٧ مليونـا)، والتـأميل (٣٢

مليونا) والكنادا (٢٣ مليونا)، والملابالام (٢٠ مليونا) . وهذه اللغات تنتمي الى عدة فصائل لغوية.[١٧]

التصغير

فى أسماء الأعلام العربية

دراسة تأصيلية فى ضوء علم اللغات السامية المقارن

تقديم

يلفت النظر فى أسماء أعلام الأشخاص العربية القديمة والمعاصرة شيوع التصغير ، وتعدد أوزانه المستعملة فيها تعددًا يتجاوز بكثير تلك الصيغ الثلاثة التى ذكرها النحاة والصرفيون العرب القدامى . الأمر الذى حثنا على النظر فى هذه الظاهرة اللغوية ودراستها دراسة تأصيلية . ومن ثم فتهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على الصور المختلفة لنماذج أعلام الأشخاص العربية المصغرة ، وذلك بتأصيل صيغ التصغير المعتمدة من قبل النحاة والصرفيين العرب القدامى ، وبالوقوف على أوزانه السماعية العديدة التى لم تعن بها كتب النحو والصرف العربية ، كما تهدف هذه الدراسة أيضًا إلى تأصيل معانى التصغير المدونة فى كتب النحو والصرف .

المادة العلمية لموضوعنا هذا قد تعددت مصادرها ، فمن حيث الوقوف على مفهوم التصغير وكيفيته وأغراضه فى اللغة العربية الشمالية وأخواتها السامية ، فقد اعتمدنا على المادة المدونة التى تمدنا بها كتب النحو والصرف فى

اللغـة العربيـة واللغات السـامية . ومـن حيث التـعرف على نمـاذج من أعلام الأشخاص المصغرة ، فقد اعـتمدنا فى اللغة العربية الشمالـية على ما ورد منها فى الـقرآن الكريم والـشعر القـديم ، فضلا عن كـتب اللغـة والمعاجم وكـتب التاريخ والأنـساب والتراجم ، كمـا استعنا ببـعض صور الأعلام المصغـرة التى يمدنا بها الاستعمـال المعاصر فى اللهجات العربية المعاصـرة ، معتمدين فى ذلك إما علـى المادة المدونة التى تـتمثل فى المعـاجم المتخصـصة فى بعض العـاميات العربية ، نحو مـعجم تيمور الكبير ، أو موسوعة حلـب المقارنة . وفى بعض الدراسات العـربية الحديثة مـثل الدراسات الواردة فى مـعجم السلطـان قابوس لأسماء الـعرب ، أو على المادة الـشفوية التـى استقينـاها من أصحاب لـهجات معاصرة فـى مصر وشمال السـودان ، وسورية ، والسعوديـة ، والعراق . أما عن النماذج المناظرة فـى اللغات السامية الأخرى فنستقيـها من مصادرها المدونة مثل العـهد القديم والمعاجم المـوثوق بها فى العـبرية ، ومثل العهـد الجديد فى اللغتين السريانية والحبشية ، ومثل المعاجم السامية التاريخية .

أما عن الدراسات والبحوث السابقة التـى تناولت هذا الموضوع فمنها ما هو مدون بـالعربيـة ومنها مـا هو مدون بغـيرها . فمـن الدراسات بالـعربية تـلك المحاضرات الـرائدة التى ألقـاها ليتمـان فى الأعلام العربـية والساميـة ، والتى نشرت فـى عددين من أعداد مـجلة الجامـعة المصرية (صـدرت سنة ١٩٤٨ ، ١٩٤٩) ، ومنها دراسة إبراهيم السامرائـى فى الأعلام العربية ، دراسة لغوية اجتمـاعية (صدرت سنة ١٩٦٤) ، ومنها البحث الذى ألـقاه عبدالله كنون ، عضو مجمـع اللغة العربية بالـقاهرة ، على لجنة الأصول بالمجـمع فى نمط من أنماط الأعلام ، وهو الـذى على زنة « فَعْلون » ، وأبدى رأيـه فيه ، ثم الآراء المتضمنـة فى التعقيبات الـتى قيلت على هذا الـبحث لباحثين عديـدين ، منهم محيى الـدين عبـد الحمـيد ، ومحمد علـى النجار ، ومراد كامـل ، وإبراهيم

أنيس ، وأحمد حسن الزيات ، وحامد عبد القادر (مؤتمر الدورة الحادية والثلاثين ١٩٦٤ - ١٩٦٥) . ومنها دراسة عاطف مدكور فى أعلام الجاهلين (د.ت) ، ومنها دراسة رؤوف أبى سعده فى العلم الأعجمى فى القرآن الكريم (صدرت سنة ١٩٩٤) . ومن الدراسات غير العربية التى تضمنت حديثا عن المصغر من الأعلام ، نحو بحث ألبرت سوزين المنشور بالألمانية فى أحد أعداد مجلة الجمعية الألمانية للدراسات الشرقية (ZDMG, 53, 1899) عن الأعلام العربية فى الجزائر ، ونحو بحث چورج كامفماير المنشور بالألمانية أيضًا فى عدد من أعداد هذه المجلة (ZDMG, 54, 1900) عن العربية الجنوبية ، ونحو بحثى بريتوريوس المنشورين بالألمانية أيضًا فى أحد أعداد هذه المجلة (ZDMG, 57, 1903) أولهما عن صيغة « فُعَيْل » فى العبرية والسريانية ، والثانى عن بعض أنماط الأعلام العبرية ، ونحو دراسة نولدكه المطولة فى مجموعات من الأعلام السامية المنشورة ضمن مؤلف له بالألمانية عن دراسات فى علم اللغات السامية (صدرت سنة ١٩٠٤) ، ونحو دراسة بروكلمان فى صيغ التصغير فى العربية واللغات السامية الأخرى ضمن كتابه المؤلف بالألمانية فى الأساس فى علم اللغات السامية المقارن (فى مجلدين ، صدر المجلد الأول سنة ١٩٠٨ ، وصدر المجلد الثانى سنة ١٩١٣) . وبالنظر الدقيق فى الدراسات السابقة يتضح أنها تناولت التصغير فى أسماء الأعلام ضمن تناول عام لدراسة الأعلام العربية أو السامية . وليست هناك دراسة مستقلة للتصغير فى الأعلام العربية والسامية قبل دراستنا الحالية .

ومنهجنا الأساسى فى تحليل موضوع دراستنا الحالية هو المنهج المقارن الذى تتضح أهميته من جوانب عدة ، منها الوقوف على أصالة كثير من الظواهر اللغوية العربية ، ومنها حسم بعض المسائل الخلافية اللغوية العربية ، ومنها توضيح الصلات اللغوية التى تربط العربية بأخواتها السامية ، ومنها بيان أهمية

النظر فى بعض الظواهر اللغوية المستعملة فى اللهجات العربية المعاصرة ، تلك التى تلاشت من الاستعمال فى العربية الفصحى ، لبيان صلتها بأصول قديمة تتضح فى بعض اللغات السامية غير العربية . الأمر الذى يدعونا إلى النظر بعين الاعتبار إلى بعض استعمالاتنا اللغوية العامية المعاصرة ، لأهميتها فى الدرس اللغوى العربى المقارن .

تمهيد

مفهوم التصغير :

التصغير باب من أبواب الصرف فى كتب اللغة العربية وأخواتها السامية ، يختص بالأسماء المعربة دون الأفعال ، وهو ضرب من الاختصار الذى يشير إلى تحقير الشيء، أو الإقلال من قدره ، أو حجمه ، أو كميته ، أو مسافته ، ومادته صَغَرَ ، أو صَغُرَ ، بفتح العين أو ضمها : «صَغَرَهُ يَصْغُرُهُ : كانت سنُّهُ أقلَّ من سنهِ ، وصَغُرَ، يَصْغُرُ : قلَّ حَجْمُهُ أو سنُّهُ فهو صَغير»[1] . وورد فى القاموس المحيط أن الصغرَ خلافُ العظمَ ، «وصَغَّرَهُ وأصْغَرَهُ جَعَلَهُ صغيراً ، وتصغيرُهُ صُغَيْرٌ وصُغَيِّير ، وأرضٌ مُصْغِرَةٌ نَبْتُها صَغيرٌ ... والصاغر الراضى بالذُّل ... وصَغُرتْ الشمس مالت للغُرُوب»[2] . يبدو هنا فى إسناد الفعل (صغر) إلى الشمس الإقلال من كمية الضوء المنبعث من أشعة الشمس ، بحيث يؤدى معنى الميل نحو الغروب ، أو قرب دخول وقت الغروب . وقد أضاف الشيخ نصر الهورينى فى شرحه على القاموس قوله « وفى حديث الأضاحى نهى عن المصغورة هكذا رواه شمر وفسره بالمستأصلة الأذن »[3] .والتصغير ، الذى يختص بالأسماء المعربة دون الأفعال ، هو من حيث التعريف الاصطلاحى : « تغير فى صيغة الاسم لأجل تغيير المعنى[4] » .

وبالنظر إلى عدد أصول الاسم المراد تصغيره ، ذكر النحاة العرب صيغه فى اللغة العربية فى ثلاث صيغ ، وقد نص سيبويه على هذه الصيغ الثلاث بقوله: «اعلم أنَّ التصغير إنما هو فى الكلام على ثلاثة على فُعَيْل، وفُعَيْعل، وفُعَيْعيل»[5]. فالاسم الثلاثى يصغر على صيغة (فُعَيْل) وهى تشتمل على العلامات الرئيسية الثلاث للتصغير ، وهى ضم أول الاسم ، وفتح ثانيه ، واجتلاب ياء ثالثه ساكنة تسمى ياء التصغير ،نحو نُهَيْر مصغر نهر ، والرباعى يصغر على صيغة (فُعَيْعل) ، نحو مُنَيْزِل مصغر مَنْزِل ، أما إذا زاد الاسم على أربعة أحرف ، فإنه يصغر على صيغة (فُعَيْعل) أو (فُعَيْعيل) ، وهذا يعنى أننا يلزمنا أن نحذف منه مايزيد على الأربعة أحرف ، ويجوز لنا أن نعوض بعد الحذف عن الحرف المحذوف ياء قبل الحرف الأخير ، نحو

---

(١) راجع : المعجم الوسيط ، مادة : صغر .
(٢) راجع : القاموس المحيط ، مادة : الصغْر
(٣) السابق نفسه
(٤) راجع : التعريفات للجرجانى، ص ٣٢.
(٥) راجع: الكتاب، جـ٢ ، ص٤١٥.

سُفَيْرِج (فُعَيْعل) مصغر سَفَرْجل ، فنكون بذلك قد حذفنا اللام ، ويجوز لنا أن نقول : سُفَيْرِيج (فُعَيْعيل) بزياد ياء قبل الجيم تعويضا عن حذف اللام[1] .

تلك هى صيغ التصغير القياسية التى أوردها لنا النحاة العرب ، فضلا عن إيرادهم لبعض ما سموه من شواذ التصغير، كما فى نحو مُغَيْربان تصغيرا لمَغْرِب ، وغير ذلك مما سنذكره فى موضعه من هذه الدراسة[2]. إلا أن الواقع اللغوى يمدنا بصيغ أخرى كثيرة للتصغير فى اللغة العربية واللغات السامية الأخرى ، ومن ثم فإننا لايجوز أن نقف عند ماأوردته لنا كتب النحو والصرف فى هذا الصدد - على مافيه من فائدة كبيرة - بل يلزمنا أن نبحث فى النصوص المختلفة للغات السامية أخوات العربية، كما يلزمنا أن نتسمَّعَ إلى اللهجات العربية المعاصرة لعلها ترشدنا إلى أصول قديمة ظلت حية على ألسنة الناس، على الرغم من عدم إثبات النحاة لها ، أو لعلها توضح لنا - بالمقارنة مع اللغات السامية الأخرى أصولاً سامية مشتركة .

معانى التصغير :

التصغير ضرب من الاختصار فى اللفظ الموضوع ، وليس فى المعنى المقصود ، ولأبنيته معان محددة، يرد فى مقدمتها التحقير من المصغر أو تقليل ذات الشئ ، أو كميته او تقريب الزمان أو المكان ، أو التدليل أو التمليح .

١- معانيه فى اللغة العربية الشمالية

ففى اللغة العربية الشمالية يتفق النحاة العرب على معنى التحقير ، وقد ورد هذا المعنى فى الشواذ فى القرآن الكريم ، كما فى قراءة ابن مسعود : (وامرأته حمالة الحطب) (المسد ٤)[3] ، وذكر أبو حيان فى البحر المحيط أن أبا حيوة قرأ: ومُرَيْئَتُه على التصغير بالهمز ، وبإبدالها ياء ، وإدغام الياء المبدلة فى ياء التصغير[4] ونلحظ معنى التحقير أيضا فى نحو رُجَيْل تحقيرا لرجل ، ودُوَيْرَة تحقيرا لدار[5] . ونلحظ

(١) راجع : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، حـ٤ ، ص ١٤٠ ، ١٤١ .
(٢) فيما يتعلق بشواذ التصغير ، راجع السابق ، حـ١ ، ص٤٢٥ ومابعدها .
(٣) راجع: عبدالخالق عضيمه، القسم الثانى ،جـ ٤، ص ٦٥٦، ٦٥٧.
(٤) راجع : البحر المحيط ، جـ٨ ، ص ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، الكشاف ، جـ٤ ، ص ٢٩٧ .
(٥) راجع : فقه اللغة للثعالبى ، ص ٢٥٥ .

معنى تقليل ذات الشئ أو كميته ، كما فى نحو كُلَيْب تصغيرا لكلب ، ودُرَيْهِمات تصغيرا لدراهم (١) أما معنى التقريب للزمان والمكان، فيبدو كما فى قُبَيْل العصر، وبُعَيْد المغرب، ونحو فُوَيْق هذا ودُوَيْن ذاك (٢) . وقد ورد التصغير بقصد تقريب الزمان، أو تقصير الوقت فى القرآن الكريم ، وأشار إليه بعض المفسرين، منهم أبو حيان فى البحر والمحيط ، والزمخشرى فى الكشاف، وقالا إنه عن الحسن ، وذلك فى (وعشيا) تصغيرا لعشاء ، أو عَشِىّ(٣)، وذلك فى قوله تعالى : «وجاءوا أباهم عشاء يبكون» (يوسف ١٦). وينص سيبويه على أن الزمان والمكان لا يحقران بل يقربان، إذ يقرب زمان من زمان، ومكان من مكان ، حيث يقول : « واعلم أنك لاتحقر من هذه الأشياء الحينَ، ولكنك تريد أن تقرب حينا من حين ، وتقلل الذى بينهما ، كما أنك إذا قلت دُوَيْن (ذلك) وفُوَيْق ذاك ، فإنما تقرب الشئ من الشئ ، وتقلل الذى بينهما ، وليس المكان بالذى يحقر ... ومثل ذلك قبيل وبُعَيد .... »(٤) . ومن المعانى كثيرة الورود للتصغير التمليح ، أو التدليل ، أو التعطف ، أو التلطف ، كما فى القرآن الكريم فى كلمة بُنَىّ تصغيراً لابن ، وقد ورد تركيب «يابُنَى» فى القرآن الكريم فى ستة مواضع (٥) . وكما فى قوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : «أُصَيْحَابى أُصَيْحابى» وكقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة ياحُمَيراء(٦) . وهذا المعنى يرد كثيرا مع أسماء الأعلام كما سنرى فى عملنا هذا . وأضاف الكوفيون للتصغير معنى التعظيم ، كقول عمر رضى الله عنه فى ابن مسعود : «كُنَيْف ملئ علماً»(٧) ، والكنف : كلُّ وعاء مثل العيبة لحفظ شئ ، وكِنْفُ الراعى والصانع والتاجر . ما يحفظون فيه متاعهم وأسْقَاطَهُم (٨) . ويفسر الصبان ذلك فى حاشيته على الأشمونى بأن ابن مسعود شُبه هنا بالجامع الذى حفظ كل مافيه(٩) . وفى معنى التعظيم أيضا ، كقول لبيد بن

---

(١) راجع : الإنصاف فى مسائل الخلاف ، ص ١٣٨ .
(٢) راجع : حاشية الصبان، جـ١، ص١٥٧.
(٣) راجع : البحر المحيط، جـ٥، ص٢٨٨، الكشاف، جـ٢، ص٣٠٧.
(٤) راجع : الكتاب ، جـ٣ ، ص ٤٨٥ .
(٥) وهى : سور هود ٤٢ ، يوسف ٥ ، لقمان ١٣ ، ١٦ ، ١٧ ، الصافات ١٠٢ .
(٦) راجع: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى، جـ١، ص٥١٣، جـ٣، ٢٥٧.
(٧) راجع : حاشية الصبان ، جـ١ ، ص ١٥٧ .
(٨) راجع : لسان العرب، مادة : كنف .
(٩) راجع حاشية الصبان ، جـ١ ، ص ١٥٧ .

ربيعة العامرى :

وكُلُّ أُنَاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرُّ منها الأنامـلُ[1]

والدُّويهية تصغير داهية ، وأصل الداهية المصيبة من مصائب الدهر ، والمقصود بها هنا الموت ، والمعنى دويهية عظيمة .

وقد اختلف الباحثون العرب فى هذا المعنى للتصغير ، وافترقوا فريقين ، منهم من يؤيده ، ومنهم من يعارضه ، فممن أيده الصبان فى حاشيته على الأشمونى فى شرحه لألفية ابن مالك ، وذلك بقوله : فتصغيرها[أى : داهية] للتعظيم بقرينه وصفها بالجملة بعدها التى هى كناية عن الموت بها »[2] . ويرى العينى فى شرحه لشواهد الأشمونى أن التصغير للتعظيم هنا إنما حدث لتقليل المدة أو تحقيرها ، وذلك بقوله : «وإن كانت عظيمة فى نفسها [أى الدويهية] ولكنها سريعة الوصول ، فبالنظر الى هذا صغرت ، إشارة إلى تقليل المدة وتحقيرها ، وفيه نظر لايخفى »[3] . أما ابن سنان الخفاجي فقد أورد رأى أبى العباس المُبَرِّد الذى كان ينكر أن يأتى التصغير للتعظيم ، ويزعم أن التصغير فى كلام العرب لم يأت إلا لنفى التعظيم ، ويتأول ، أى المبرد ، دويهية وما يجرى مجراها بأن يقول : «أراد خفاءها فى الدخول فصغرها لهذا الوجه ، وهو ضد التعظيم المذكور»[4] . ويوافق ابن سنان ابا العباسى المبرد على إنكاره أن يأتى التصغير للتعظيم ، ويتضح لنا ذلك بقوله : «ويقوى عندى ماذهب إليه أبو العباس المبرد أنهم إذا وضعوا التصغير أمارة للتحقير والتعظيم معاً فقد زالت الفائدة به ولم يكن دليلا على واحد منهما ، بل يرجع إلى المقصود باللفظة ، ويلتمس بيان ذلك من جهة المعنى دون اللفظ»[5] . وأشار الشيخ محمد محيى الدين عبدالحميد فى كتابه الانتصاف من الإنصاف أن الشيخ رضى الدين قد حقق أن تصغير هذه الكلمة (دويهية) للتحقير لا للتعظيم كما زعمه الكوفيون، وأضاف أن ابن يعيش قد قال هذا أيضا وفسره بقوله : « فالمراد أن أصغر الأشياء قد يفسد الأصول النظام »[6] . أما عن رأينا فى هذا المعنى للتصغير فسنرجئه لحين الانتهاء من بيان

(١) ورد هذا البيت في قصيدة يرثى بها الشاعر النعمان بن المنذر تبدأ بـ

ألا تسألان المرءَ ماذا يُحَاوِلُ أنَحْبٌ فَيُقْضَى أمْ ضَلالٌ وبَاطِلُ

راجع: شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامرى، ص٢٥٤، ٢٥٦.

(٢) راجع حاشية الصبان، جـ١ ، ص١٥٧.

(٣) راجع : العينى فى حاشية الصبان ، جـ١ ، ص١٥٧ .

(٤) راجع : سر الفصاحة ، ص ٩١ .

(٥) السابق نفسه.

(٦) راجع محى الدين عبد الحميد فى كتابه الانتصاف من الإنصاف ، ضمن كتاب الإنصاف فى مسائل الخلاف. جـ١ ، ص ١٣٩ ، شرح البيت ٨٦ .

معانى التصغير فى بعض اللغات السامية الأخرى أخوات العربية .

٢ - معانيه فى بعض اللغات السامية الأخرى

وفى اللغات السامية الأخرى يرد التحقير معنى أساسيا للتصغير ، فهو فيها - كما هو الحال فى العربية الشمالية - تحقير من شأن المصغر ، أو تقليل لذاته ، أو لكميته ، أو تقريب مكانه ، كما يرد التدليل أو التمليح كمعنى ثان واضح للتصغير ، وخاصة فى أسماء الأعلام . فمن حيث التحقير كما فى الأكدية : (Kusīpu < kusaypu) « كسرة من الخبز »[1] ، وفى العبرية فى نحو (אִישׁוֹן (īšōn « رُجَيْل » تصغيرا (لـ אִישׁ 'īš) « رجل » ونحو timōrā (< tumārat) (نُخَيْلَة) مصغر tomer (نخلة) ، ونحو (šumayrā) (كوخ صغير) مصغر (Šomrā) «كوخ» ونحو (gablūl) « قطعة عجين » مصغر (gibūl) « عجن »[2]، وفى الآرامية نحو (telūltā / tellālā) « تل صغير ، هضبة صغيرة»، مصغر tellā[3] . وفى السريانية نحو (gabrūnā) « رُجَيْل » مصغر (gabrā) رَجُل، ونحو (keṯābūnā) «كُتَيِّب» مصغر (keṯābā) «كِتاب» ، ونحو (qaysūnā/qaysūsō) «غصن، قطعة خشب صغيرة» مصغر (qaysā) «خشب»[4] . وفى التيجرية نحو (sabāy) « رجُيَلْ » مصغر (Sab) «رُجُل»، ونحو (wallēdāy) « وُلَيْد » مصغر (wad) « وَلَد » ، ونحو (kallēbay) كُلَيْب مصغر (Kaleb) كلب[5] . ومن حيث معنى التحقير الذى يفيد التقريب نلحظه فى السريانية كما فى نحو (teḥōt) « تُحَيْت» تصغيرا لـ (teḥēt) تحت[6]، أما التصغير للتدليل أو التمليح أو التلطف فنلحظه واضحاً فى أسماء الأعلام السامية ، كما فى العبرية فى نحو اسم العلم (mīḫāl / mīḫal) مصغر (mīḫā'ēl)[7] ، ويرى بريتوريوس التمليح والتدليل فى كثير من أسماء الأعلام العبرية المحتوية على الشورق (ū) كصائت للمقطع الثانى من الاسم، فضلا عن الصوت المزدوج (ay) كصوت

---

(١) راجع : Moscati, P. 77,

(٢) راجع : Brochélmann, Gründr. B. I. S 351, 352

(٣) راجع : Costaz, P. 392, Brockelmann, Gründr, B. I ,s.367

(٤) راجع : Costaz, p. 41, 42, 165, 319, Brokelmann, Gründr., B.I, S 367

(٥) راجع : Ibid, s. 400

(٦) راجع : Costaz, p. 390, Brockelmann Gründr., B.I s. 351

(٧) راجع : Brockelmann, Gründr. B. I, s. 400,402

للمقطع الثالث ، نحو اسم العلم כָּלֵב kālēḇ [1] ، فقد اختصر للتحبب والتدليل إلى כְּלוּבָי Kelūḇāy [2] ، ثم ترد صيغة التحبب الأكثر اختصاراً : כְּלוּב Kelūḇ[3]، ويذهب بريتوريوس إلى أن صيغة כְּלוּבָי نموذج غير مباشر لصيغة كُلَيّب العربية[4] . وبنفس اللاحقة (āy) تصيغ التيجرينا عددا كبيرا من صيغ التمليح لأسماء الأعلام[5] .

الأصل فى معانى التصغير:

وبعد عرضنا الموجز لمعانى التصغير فى اللغة العربية الشمالية وبعض اللغات السامية الاخرى ، حَرِىٌّ بنا أن نوضح رأينا فى الخلاف الذى ثار بين الباحثين العرب القدامى بشأن معنى التعظيم للتصغير . والحق أننا نميل إلى الاتفاق مع أصحاب الرأى المنكر لورود معنى التعظيم للتصغير فى مثل كلمة« دويهية » أو ما شابهها ، ونستند فى إنكارنا هذا إلى أن الأصل فى التصغير - كما فى المعانى المذكورة آنفا فى العربية الشمالية واللغات السامية الأخرى - هو التحقير كمعنى أساسى ، تتفرع منه معان ثانوية أخرى ، هى فى حقيقتها تمثل تضييقا له ، مما يناسب كنه المصغر فالتحقير هو تقليل من ذات الشئ ، أو حجمه ، أو كميته ، أو عدده ، أو سنه ، أو هو تقريب للمكان أو الزمان ، أو هو تمليح ، أو تلطف ، أو ترحم فالتقليل من ذات الشئ، كأن نقول (رُجَيّل) فى رَجُل ، والتقليل من حجمه ، كأن نقول (جُبَيْل) فى جَبَل ، والتقليل من كميته كأن نقول (بُرَيْرّ فى بُرّ، والتقليل من عدده كأن نقول أُعَيْمِدة فى أَعْمِدة، والتقليل من سِنه، كأن نقول وُلَيْد فى وَلَد . وفى النظر إلى تصغير المكان والزمان الذى يفيد التقريب - كما قال سيبويه - نرى أن أصله التحقير أيضا ، أى التقليل من حيز المكان . ومدة الزمان . يتضح لنا ذلك فى نحو جملة (وضعت الإناء فُوَيْق المنضدة) ، فمد لولها مخالف لنحو جملة (وضعت الطعام فوق المنضدة) ، ففى الأولى نستشعر قلة الحيز الذى شغله الإناء ، بينما فى الثانية يبدو كبر الحيز الذى شغله الطعام . والأمر كذلك بالنسبة للزمان، حين نقول قُبَيْل العصر، أى قلة الوقت السابق للعصر، أو قصره . وإن معنى التدليل ، أو التمليح ، أو التلطف ، هو فى

---

(١) سفر أخبار الأيام الثانى ٤٢/١٨ .

(٢) فى الوقف ، راجع سفر أخبار الأيام الأول ٩/٢ .

(٣) راجع : سفر أخبار الأيام الأول ١١/٤

(٤) راجع : Praetorius, Z DMG, 57, s. 524,525

(٥) راجع : Brockelmann, Gründr. ss. 1,s 400

الأصل متفرع عن معنى التحقير أيضا ، فهو تصغير يقصد به مُظْلِقُهُ التلطف والتحبب بالنظر إلى مَنّ يقصده، وذلك باعتباره صغيراً فى نظره . وفى أغلب الأحوال إذا نظر الإنسان إلى غيره على أنه صغير، فهو يقصد بذلك إما إذلاله ، أى تحقيره ، أو تقريبه إلى نفسه، أى تمليحه وتدليله، وكثير منا مَنْ يستعمل التصغير للمعنى الثانى نحو مَنْ يحب، مثل أطفاله أو زوجته، أو أصدقائه ، أو إخوته ، أو غيرهم ممن يكونون وثيقى الصلة به، بل من الناس من يلجأ إلى ذلك للتلطف نحو حيوان يألفه مثل القطة أو الكلب . هذا فضلا عن أننا لم نعثر على صيغة للتصغير فى اللغات السامية الأخرى غير العربية الشمالية تفيد التعظيم . ومن ثم فإننا نرى أن التصغير يحمل معنى واحداً أساسياً فى اللغات السامية وهو التحقير ، وتتفرع عن هذا المعنى الأساسى معان أخرى ذات صلة وثيقة به ، تتضح دلالتها الضيقة بحسب كنهها وماهيتها .

صيغ التصغير القياسية[1]

اولاً : صيغة فعَيْل :

١- فعَيل فى العربية الشمالية

فى اللغة العربية الشمالية تختص هذه الصيغة - كما سبق أنْ عرفنا[2] - بتصغير الاسم الثلاثى ، وتشتمل هذه الصيغة على العلامات الرئيسية الثلاث للتصغير ، التى وضعها النحاة العرب ، وهى ضم أول الاسم ، وفتح ثانيه ، واجتلاب ياء ثالثه ساكنة تسمى ياء التصغير، كما فى نحو نُهَيْر تصغيراً لنَهر .

وبهذه الصيغة (فُعَيْل) صاغت العربية الشمالية قديما وتصوغ حديثاً عدداً زاخراً من أسماء الأعلام المنقولة عن الصفات ، أو المنقولة عن أسماء عين تخص كائنات حية ، أو المنقولة عن مسميات لظواهر طبيعية ، الأمر الذى يوضح لنا شدة ميل العربى نحو التصغير فى صوغ الأعلام ، وذلك بدافع معانى التصغير ، ولرغبته

(١) هناك ثلاثة معان لمصطلح وزن فى الاستعمال الصرفى العربى ، الأول : الوزن الصرفى ، وهو المستخدم فى الميزان الصرفى ، الذى يراعى بصفة أساسية الأصول والزوائد فى وزن الكلمة، والثانى : الوزن التصغيرى ، ويقصد به الصيغ الثلاث التى اصطلح عليها الصرفيون فى باب التصغير ، وهى صيغة (فُعَيْل) لتصغير الاسم الثلاثى ، نحو رُجَيْل مصغر رَجُل ، وصيغة (فُعَيْعِل) لتصغير الاسم الرباعى نحو جُعَيْفِر مصغر جَعْفَر، وصيغة (فُعَيْعِيل) لتصغير الاسم الخماسى ومازاد عليه نحو عُصَيْفير مصغر عصفورُ . والوزن بهذه الصيغ اصطلاح خاص بباب التصغير ، وليس على الميزان الصرفى، فإنَ خُوَيْلِد ، وأُحَيْمِر، ومُنَيْبِر ، وزنها الصرفى : فُوَيْعِل، وأُفَيْعِل، ومُفَيْعِل، أما وزنها التصغيرى فهو فُعَيْعِل فى الجميع ، وكأنَ صيغ التصغير على هذا الوضع معيارية وليست وصفية .أما الثالث ، فهو الوزن العروضى ، وهو عند العروضيين ما بنت عليه العرب أشعارها ، ونحن فى هذا الفصل سنراعى فى صوغ التصغير الصيغ التصغيرية (فُعَيْل ، فُعَيْعِل ، فُعَيْعِيل) ، أما فى الفصل الثانى ، الذى يتناول الأوزان السماعية للتصغير ، فإننا سنراعى فى صوغ التصغير الأوزان الصرفية ، حيث إننا نرصد بذلك الاستعمال الفعلى للصيغ .

(٢) راجع سيبويه، جـ ٣، ص٤١٥.

فى تحقيق هذه المعانى ، وتمثلها لمن يتسمى بصيغة من صيغه، ولذلك فكثيرا ما يلحظ الاسم المصغر بجانب مكبره فى أسماء الأعلام العربية . ومن أسماء الأعلام العربية المصغرة بهذه الصيغة والمنقولة عن الصفات ، نحو هُذَيْل مصغر الهذل ، وهو الاضطراب ، وهذيل أبو قبيلة مشهورة ، واسم أبى بشير بن الهذيل الفزارى شاعر قديم[1] .ونحو « جُهَيْم مصغر جَهْم ، « والجَهْم : الغليظ الوجه ، وبه سمى الأسد جَهْماً » ، وجُهَيْم من رجال ولد المطلب بن عبد مناف[2] . ومن الأعلام المصغرة بهذه الصيغة والمنقولة عن أسماء عين تخص كائنات حية ، منها أسماء حيوانات ثديية ، نحو ذُؤَيْب ، مصغر ذئب ، وهو كلب البر[3] ، ومنه أبو ذؤيب القطيل خويلد بن خالد الهذلى ،و وأبو ذؤيب الأيادى من الشعرا ،[4]. ونحو أُوَيْس مصغر أوْس من أسماء الذئب ، وقد سمى بمصغره ومكبره ، نحو أوس بن حجر من الشعراء الجاهليين ، وأُوَيْس كما عند أسامة بن حارث الهذلى فى قوله :

عصانى أُوَيْس فى الذهاب كما عصت   عسوس صوى فى ضرعها الغبر مانع[5]

ونحو هُرَيْرة مصغر هرّة ، مؤنث الهّر وهو السنور » ، حيوان أليف من الفصيلة السنورية ورتبة اللواحم »[6] ، وسميت المرأة هُرَيْرة، وهُرَيْرة لقب أبى هريرة الصحابى[7]. وسمّى العربى أيضا بالمصغر من أسماء الطيور ، كما سمّى بمكبرها ، وقد أورد لنا الجاحظ بعضاً من هذه الأعلام ، وذلك فى باب : أسماء ما فى النجوم والبروج والفرس والناس وغير ذلك من أسماء الطير ، وذلك بقوله : .« ... وفى أسماء الناس غراب وصرد ، وفى أسماء النساء : فاختة وحمامة . وفى أسماء الناس يمام ويمامة ، وسمامة ، وشاهين ، وفى أسماء النساء» عقاب ، وقطاة، وقُطيَّة ودجاجة

(١) راجع : عاطف مدكور، الأعلام الجاهلية، دراسة فى البنية اللغوية، ٨٤.
(٢) راجع : ابن دريد، اشتقاق الأسماء، جـ١، ص٨٦.
(٣) راجع : القاموس المحيط، مادة: الذئب.
(٤) السابق نفسه.
(٥) راجع : عاطف مدكور، الأعلام الجاهلية، ص٨٧، ٨٨.
(٦) راجع : القاموس المحيط، مادة: هرّة، المعجم الوسيط، مادة : سنر.
(٧) راجع : ابن دريد، اشتقاق الأسماء، ص٣٠٥، القاموس المحيط مادة: هرّة.

يكون للرجال والنساء ... ويسمون بفرخ وفريخ، وصقر، وصقير، وأبى الصقر، وطاوس، وطويس .. ويسمون بحذف وحُذَيْفة، وأبى حذيفة [١]. نلحظ فى هذا النص بعض الاعلام المصغرة بصيغة (فُعيْل) ، وهى فُرَيْخ مصغر فَرْخ ، وهو فى الأصل ولد الطائر [٢]، صُقَيْر مصغر صَقْر وهو من جوارح الطير ، وحذيفة مصغر حذف - محركة - طائرأو بط صغار[٣] ، وطوَيْس مصغر طاووس ، وهو الطائر ذو الشكل الحسن كثير الألوان . ومن أسماء الأعلام المصغرة بهذه الصيغة ، والمنقولة عن أسماء زواحف نحو: الضُبَيْب مصغر الضبّ ، وهو من الزواحف من رتبة العظاء، غليظ الجسم خَشِنهُ ،له ذنب عريض حرش أعقد ، يكثر فى الصحارى العربية [٤] ، وقد سمت العرب ضباً وضبَّة ، وضبابا ، وضُبَيْباً، ونحو حُسَيَل مصغر الحِسْل ، وهو ولد الضب ، وقد سمى به ، نحو : حُسَيْل بن سَجين الضبيّ ، من شعراء الحماسة[٥] ، كما سمى بمكبره ، نحو كُرز بن جابر بن حسل بن الأجَب[٦] . ومن أسماء الأعلام ، نحو قريش مصغر القرش، وهو « جنس من الأسماك الغضروفية كبير يخشى شره »[٧] ، وقريش اسم قبيلة عربية من مضر بن كنانه ، سكنت فى مكة ، ومنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم (سورة قريش، وقد اختلف الباحثون فى هذه التسمية ، وهناك تفاسير كثيرة فى علتها[٨]. ومن أسماء الأعلام المصغرة بهذه الصيغة والمنقولة عن أسماء حيوانات صغيرة كالحشرات ، نحو جُعَيْل مصغر الجُعَل ، وهو حيوان كالخنفساء يكثر فى المواضع الندية ، سمى به الرجل مثل " كعب بن جُعَيْل ، من الشعراء ، كما سموا بمكبره ، نحو" جُعَل الأشجعى ، من الصحابة[٩] . ونحو نُمَيْل

(١) راجع : الجاحظ ، الحيوان ، حـ٧ ، ص ٥٣ ، ٥٤ .
(٢) راجع : المعجم الوسيط ، مادة : فرخ .
(٣) راجع القاموس المحيط ، مادة حَذَفَهُ .
(٤) راجع : القاموس المحيط ، مادة : الضبّ ، Nöldeke, S. 86
(٥) راجع : عاطف مذكور ، الأعلام الجاهلية ، ص ٨٠ ، هامش ٧ .
(٦) راجع : القاموس المحيط ، مادة : الحسل ، ابن دريد ، اشتقاق الأسماء ، ص ١٠٥ .
(٧) راجع : المعجم الوسيط ، مادة : قرش .
(٨) بشأن التفاسير الاخرى لقريش ، راجع : القاموس المحيط ، مادة قرشه وقارن ذلك بما ورد لدى Nöldeke, s. 87,88
(٩) راجع : المعجم الوسيط ، مادة : جعل

ونُمَيْلَة مصغر النمل والنملة ، وهى حشرة خفيفة ضئيلة الجسم من رتبه غشائيات الأجنحة ، وقسم ذوات الحمة[1] ، اكتنى العرب بالمكبر من هذا الاسم نحو : أبى نملة بن معاذ الأنصارى، صحابى ، كما تسموا بمصغره نحو إسماعيل ابن نُميل ، ومحمد بن عبد الله نُميل من المُحَدّثين[2] . ونحو شُبَيْث مصغر الشَبَث، وهى دويبة كثيرة الأرجل تكون فى الرمل ، سميت بذلك لتشبثها بمادبت عليه ، وقد سمى الرجل شَبْثاً وشُبَيْثا ، ومنه التابعى بن رَبْعى، والمحدّث عمر بن هلال بن بطاح الشُبَيْثى[3] . ومن أسماء الأعلام المصغرة بهذه الصيغة والمنقولة عن أسماء نبات ، نحو خُزَيْمَة مصغر الخَزَم ، واحدة الخَزْم ، وهو شجر له لحاء يُفْتَل منه حبال ، وابن خُزَيْمة اسم أحد أباء رسول الله صلى الله عليه وسلم [4] . ونحو حُمَيْضَة مصغر حُمْضَة مؤنث الحَمْض ، وهو من ضروب النبت سمى به الرجل ، نحو أبى حُمَيْضَة من رجال بنى جـمح[5] . ومن أسماء الأعلام المصغرة بهذه الصيغة والمنقولة عن أسماء ظواهر طبيعية، نحو طُهَيَّه مصغر طهاة، وهو السحاب الرقيق، سميت به المرأة ، نحو طهيه بنت عبشمس من نساء مالك بن حنظلة [6] . ونحو ظُرَيب مصغر ظرب ، وهو غلظ من الأرض لا يبلغ أن يكون جبلاً[7] ، سمى به الرجل ، ومنع نافع بن ظُرَيب بن عمرو بن نوفل وهو الذى كتب المصاحف لعمر بن الخطاب[7] . ونحو فُهَيْرَة مصغر فهر ، وهو الحجر الأملس ، سمى به الرجل ، ومنه عامر بن فُهَيْرَة ، مولى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، كما سمى بمكبره نحو ابن فهر ، أحد أباء الرسول صلى الله عليه وسلم[8].

---

(١) راجع : المعجم الوسيط ، مادة : نمل .

(٢) راجع : القاموس المحيط، مادة : النمل .

(٣) راجع : أدب الكاتب ، ص ٦٠ ، ابن دريد ، اشتقاق الأسماء ، ص ٢٢٣ ، القاموس المحيط ، مادة : شبث .

(٤) راجع : ابن دريد ، اشتقاق الأسماء ، ص ٢٩ .

(٥) السابق ، ص ١٣٣ .

(٦) السابق ، ص ٢٣٣ .

(٧) السابق ، ص ٨٩ .

(٨) السابق، ص ٢٥.

ونحو مُزَيْنَة مصغر مُزْنَة ، وهى السحابة البيضاء ، وكل سحابه مزنه ومن اشتهر بهذا الاسم قديما : مُزَيْنَة بنت كلب بن وبرة ، أم ولد عمر بن أد بن طانجة ، وإليها تنسب القبيلة العربية المشهورة[1] .

وفى اللهجات العربية المعاصره نلحظ ميل الناس إلى التصغير فى صوغ أسماء الأعلام ، حتى أنه يقل أن يرد اسم علم مكبر على لسان العامة دون مصغر له ، وذلك لأسباب أهمها التلطيف فى صوغ المصغر من الثلاثى أو غيره ، وذلك مما يخالف الطريقة الشائعة التى نص عليها علماء الصرف ، والمذكوره آنفا (بضم فاء الاسم المصغر ، وفتح عينه ، واجتلاب ياء ثالثه ساكنه تسمى ياء التصغير) . ففى شمال مصر يرد المصغر من الاسم الثلاثى بإماله فائه (نحو الكسر) ، وإمالة ماقبل التصغير ، نحو دنيبه denéba بدلا من ذُنَيْبَه مصغر ذنب ، ونحو حليوه ḥelēwa تصغيرا لحلو[2] . وفى لهجة أسوان (جنوب مصر) يصاغ مصغر الثلاثى بكسر فائه ، وإمالة ماقبل ياء التصغير ، كما فى نحو وليد wilēd بدلا من وليْد مصغر ولد ، وأحيانا يكتفى بكسر فاء المصغر فقط دون إمالة ما قبل ياء التصغير ، كما فى لهجة أسوان أيضا فى نحو : بنية binaya بدلا من بُنَيَّة مصغر ابنة . وفى لهجة شمال المغرب ، تطوان وما حولها ، نلحظ تحكم سكون أول الكلمات بصفة دائمة ، ومستمرة ، وأحيانا يرد السكون مصاحبا للصوامت الثلاثة الأولى [3] ، كما فى نحو غْشْيم ˇ راجل غشيم (غير مجرب)[4] . والحق أن هذا السكون المصاحب للصامت الأول للكلمة فى لهجة شمال المغرب، هو ليس انعداما تاما للصائت، بل هو صائت مختلس ، فهو يميل نحو الكسرة قليلا ، مما يذكرنا بالصائت المختلس فى العبرية الواقع فى أول المقطع ، وهو مايسمى فى العبرية بشوانع ʼna šewa، ومن ثم فإنه يسمى سكون على سبيل الترخص ، وهو بطبيعة الحال يختلف عن السكون الذى هو فى الأصل انعدام للصائت، والذى يقع فى غير هذا الموضع ، مثل سكون القاف فى كلمة مَقْتُول . وتصوغ لهجة

---

(١) راجع : ابن دريد ، اشتقاق الأسماء ، ص ١٨٠ ، السيوطى ، ص١١٤ .

(٢) راجع: معجم تيمور الكبير ، جـ١ ، ص١٣١ .

(٣) راجع : عبد المنعم سيد عبد العال ، معجم شمال المغرب ، تطوان وما حولها ، ص ٩ .

(٤) السابق ، ص ١٦٠ .

شمال المغرب ، تطوان وما حولها ، مصغر الاسم الثلاثى بطريقة قريبة من صوغه فى مصر، وذلك بمصاحبة السكون (أى : الصائت المختلس لفاء الكلمة ، أى النطق بكسرة ممالة بدلا من الضم ، وبإمالة ما قبل ياء التصغير ، غير أنها تختلف عن الصورة المصرية بتشديد ياء التصغير وكسرها كما فى نحو : جحيش gehéyyiš مصغر جحْش ، ونحو ضْبيب debēyyib مصغر ضَبّ (محرف الدب)(1).

وفى أسماء الأعلام المصغرة الجزائرية ترد الصيغتان متوازيتين أى تلك المضمومة الفاء، وتلك الممالة نحو الكسر ، نحو ورود صيغة جُبير Djobéir ، بجانب صيغة جبير Djebir تصغيرا لاسم العلم جابر(2) . وفى نجد أيضا ، نلحظ الميل إلى كسر فاء المصغر بدلا من ضمه ، كما فى نحو عِزَيِّز بدلا من عُزَيْز ، ونحو منَيِّر mi-nayyir فى تصغير التدليل لاسم العلم منير (3). ولهجات دول الخليج العربى المعاصرة أيضا تتخلص من الضم فى أول الاسم المصغر ، كما فى نحو لهجة البحرين ، يقولون جسَيم، بسكون الجيم (وهو السكون المختلس الذى ينطق كسره ممالة كما فى اللهجة المغربية) ، وفتح السين ، بدلا من جُسَيْم تصغيرا لجاسم ، وفى لهجة قطر أيضا ، يقولون عبيد فى تصغير عَبْد ، بكسر الفاء بدلا من ضمها ، وفى دولة الإمارات المتحدة أيضا، يقولون بخيت بالسكون المختلس لفاء الاسم بدلا من بُخَيْت بضم الفاء تصغيرا لبخت(4). وفى لهجة حلب المعاصرة أيضا يميل المتحدثون بها الى تسكين فاء المصغر (أى بالسكون المختلس) بدلا من ضمه ، نحو محيميد مصغر محمود، وكما فى نحو صيغه الزْغَيِّر بدلا من (الصُغَيِّر) مصغر الصغير (مع ابدال الصاد زايا)(5) . مما سبق نلحظ أن كثيرا من اللهجات العربية المعاصره تغير صائت فاء الاسم المصغر من الضمة إلى الكسر الممال ، أو الكسر القصير. والحق إن هذا التغير الصوتى الذى طرأ على فاء مصغر الثلاثى أو غيره فى اللهجات العربية المعاصره له نظير فى العربية الفصحى ، وإن كان مشروطاً فيها بمصغر الثلاثى الذى

---

(1) راجع : عبدالمنعم سيد عبدالعال، معجم شمال المغرب، ص77، 130.

(2) راجع : Albert Socin, ZDMG, 53, S. 492.

(3) راجع : إبراهيم الشمسان، نظام التسمية فى المملكة العربية السعودية، ص144، 145.

(4) راجع : عيسى العرادى، نظام التسمية فى منطقة الخليج، ص128، 132، 135.

(5) راجع : موسوعة حلب المقارنة، المجلد الرابع، ص 240 - 242، المجلد السابع، 55.

ثانيه ياء تثبت فى التصغير ، وذلك لكراهية الياء بعد الضمة ، على الرغم من أن سيبويه لم يستحسنه إذ يقول : « ... نحو بيت وشَيخ وسَيِّد . فأحْسَنهُ أن تقول شُيَيْخٌ وسُيَيْدٌ ، فتضمّ، لأن التحقير يضمّ أوائل الأسماء ، وهو لازم له ، كما أن الياء لازمة له. ومن العرب من يقول : شِيَيْخٌ وبِيَيْتٌ وسِيَيْدٌ ، كراهية الياء بعد الضمة »[1] . ومن نص سيبويه السابق نفهم أن ضمة فاء المصغر وياء التصغير لازمتان لصوغ التحقير (أى : التصغير) ، وإن العدول الذى حدث فى صائت فاء الكلمة لكراهيه أن تأتى الياء بعد الضمة، غير أن ابا الفتح عثمان بن جنى أجاز ذلك التغيير اتباعا على الرغم من إقراره بلزوم ضمة فاء المصغر لياء التصغير، وقد استند فى ذلك إلى عدم اللبس ، وذلك بقوله : « ... لأن ذهاب الضمة غير مخل بمعنى التصغير ، لأنه لم يأت عنهم اسم مكبّر على « فُعَيْل » فيلتبس به [المصغر][2] .

٢ - فعَيل فى بعض اللغات السامية الاخرى

أما عن مقابل هذه الصيغة (فُعَيْل) فى بعض اللغات السامية الأخرى فنلحظة بوضوح فى اللغة السريانية ، كما فى نحو : ܥܠܝܡܐ ʿəlaymā «غلام» ، ونحو ܚܢܝܨܐ h°nayṣā، بجانب صيغة ܚܢܘܨܐ hanōṣā ، بمعنى «خُنَيزير» ، ونحو ܥܙܝܠܐ ʿuzaylā ، بجانب ܥܙܝܠܐ ʿuzīlā ، بمعى « غُزَيْل »[3] . نلحظ فى صيغتى ʿə laymā ، h ə nayṣā إمالة فاء المصغر نحو الكسرة ، كما نلحظ بقاء الضم لفاء المصغر فى نحو صيغة ʿuzaylā ؛ وفى الآرامية الغربية ترد هذه الصيغة فى التصغير فى نحو صيغة ܙܥܝܪ z ʿēr « قليل » ، وهى التى تقابل صيغة ܙܥܘܪ zʿōr فى السريانية[4] وفى اللغة النبطية تكثر أسماء الأعلام المصغرة بهذه الصيغة (فُعَيْل) ، وكثيرا ما يرد الاسم المصغر بجانب مكبره ، كما فى نحو ذُئَيْب بجانب ذئب ، وعُبَيْد بجانب عبد ، وعويذ بجانب عوذ وحُجَير بجانب حجر ، وعُمير بجانب عمر ، وكُلَيْب بجانب كلب[5] أما فى اللغة العبرية القديمة

---

(١) راجع : الكتاب، جـ٣، ص٤٨١.
(٢) نقلا عن : شرح اللمع، جـ٢، صـص٦٦١.
(٣) راجع : Brockelmann, Grûndr , B. I, s. 352 Costaz, p. 110, 250.
(٤) راجع : Brockelmann, Grûndr , B. I, s. 352 Costaz, p. 90.
(٥) راجع : لبنان، المجلد العاشر، الجزء الثاني، ص٤٤، ٤٥.

فليست هناك آثار مؤكدة لوجود هذه الصيغة (فُعَيْل) ، وإن كان التأثير الآرامى واضحا فى اللغة العبرية فى دخول صيغة zəʿēr «قليل» السابقة فى العبرية ، كما أن التأثير الآرامى واضح فى لغة المشنا فى ورود كلمتين بهذه الصيغة (فُعَيْل) ، وهما : budaydā «عصاره صغيرة»، šumayrā «كوخ صغير» [1] . واللغة الحبشية كذلك ليس فيها كلمات واضحة بهذه الصيغة (فُعَيْل) ، ولكن ربما تكون صيغتا ([illegible] ʾəbēr / [illegible] ʿəbēr)، «عجوزة، أرملة»، و([illegible] bəhēr) « أرض ، منطقة » متصلتين بهذه الصيغة ، وهما تشبهان صيغة (zəʿēr) الآرامية، ويرى نولدكه أن صيغة ([illegible] bəhēr) مصغر صيغة([illegible] bāhr) ويوافقه بروكلمان على ذلك، ويضيف انه ربما قد تلاشى منها ، ومن الصيغة السابقة معنى التصغير[2] ويذهب بروكلمان الى أن كثيرا من أسماء الأعلام السنية نصاع أيضا بهده الصيغة « فُعيْل » [3] ومن عرصنا السابق لهده الصيغة « فعيل » فى بعض اللغات السامية أحوات العربية يتضح لنا استعمالها لها كما يبدو ند حوار إماله ها . المصغر نحو الكسر مجانب صمه ومن ثم فإن ما لم يستحسنه سيبويه من كسر ها . المصغر له فى الحقيقه أصوله السامية القديمة تلك الأصول التى نفيت اثارها فى اللهجات العربية المعاصرة

التغير الصوتى للصوتين المزدوجين: aw . ay

ومن عرضنا السابق أيضا نلحظ إحدى ظواهر التغير الصوتى المشتركة فى اللغات السامية ، وهى تمثل مرحلة تغير فى الأصوات السامية ، حيث يتغير الصوت المزدوج (Diphtong) / ay / إلى صائت الإمالة الطويلة نحو الكسر [ē] ، وكثيرا ما يتغير هذا الاخير ، بالتخفيف إلى صائت الكسر المشبع [ī] ،كما يتغير الصوت المزدوج / aw / إلى صائت الإمالة الطويلة نحو الضم[ō]، ونادرا ما يتغير هذا

(١) راجع : Brockelmann, Gründr. B.I,S. 352.

(٢) راجع : Wolf Leslau, Compart. Dict., P. 5, 91, Brockelmann, Graündriss, B.I., s. 352.

(٣) Ibid

الأخير - بالتخفيف - إلى صائت الضم الصريح الطويل [ū] . ففى اللغة الأكدية يتغير الصوت المزدوج /ay/ إلى [ē] وأحيانا إلى [ī] ، كما فى نحو bītum < bētum < bayt « بيت » ويتغير الصوت المزدوج /aw/ الى [ū] ، نحو mūtum < mawtum موت[1] .
وفى اللغة العبرية أيضا نلحظ التغير الصوتى /ay/ < [ē] كما فى نحو الأفعال التى لامها هاء ، نحو גָּלֵיתָ gilēṯā بدلا من גָּלַיְתָ galaytā (اكتشفتَ) ، ونحو תְּגַלֶּינָה tiglēnā بدلا من (תְּגַלַּיְנָה) taglaynā تكتشفن . وكثيرا ما يتغير الصائت الطويل [ē] إلى [ī] ، كما فى نحو גָּלִיתָ gālīṯā (كَشَفْتَ) ، بدلا من (גָּלֵיתָ gālēṯā . ونلحظ فى العبرية كذلك التغير الصوتى [aw] إلى [ō] كما فى نحو שׁוֹר šōr « ثور » بدلا من ṯawr « ثَوْر » ونادراً ما يتغير الصائت الطويل ō إلى ū فى العبرية كما فى نحو: לוּ (lū) بدلا من לוֹ lō التى تقابل « لوْ » فى العربية الشمالية ، وكما فى نحو יוּכַל yūḵal « يأكل » ، بدلا من صيغة (יוֹכַל yōḵal) المتغيرة عن الأصل المفترض יַוְכַל yawḵal[2]. وإن هذا التغير الصوتى الحادث فى العبرية للصوت المزدوج /ay/ إلى الصائت الطويل [ē]، ثم تغير الصائت الأخير أحياناً كثيرة - بالتخفيف - إلى الصائت الطويل [ī] ، جعل وليام رايت يذهب إلى وجود التصغير للتحقير فى أسماء الأعلام العبرية وذلك فى نحو اسم العلم العبرى אֲמִינוֹן ʾamīnōn الذى يرد فى العهد القديم بصيغتين. الأولى هكذا: אֲמִינוֹן ʾamīnōn بوجود الصائت الطويل [ī] لعين الاسم، وهو اسم للذكور[3]. والثانية هكذا: אַמְנוֹן ʾamnōn، وممن تسمى بهذا الاسم فى العهد القديم ابن داود[4]. ويذهب وليام رايت إلى أن صيغة אֲמִינוֹן ʾamīnōn هى مصغر تحقير لصيغة אַמְנוֹן ʾamnōn ويرى أن هذه الصيغة المصغرة هى متغيرة عن صيغة אֲמֵינוֹן ʾamēnōn، أى بوجود صائت الإمالة الطويلة [ē] لعين الاسم، وهذا يعنى أن المصغر المفترض للاسم المكبر الوارد فى العهد القديم(אַמְנוֹן ʾamnōn) هى

---

(١) راجع : Von Soden, Handwörtr., B I., s.132, B. II, s.691
(٢) راجع: William Wright, P. 89.
(٣) راجع: سفر صموئيل الثانى ١٣/ ٢٠.
(٤) راجع : سفر صموئيل الثانى ٣/ ٢. أخبار الأيام الأول ٣/ ١.

صيغة umaynōnʼ (فُعَيْل)، وهذه الصيغة لم ترد فى العهد القديم، ولكنها تغيرت أولاً إلى صيغة مُفترضَة أخرى-غير واردة فى العهد القديم أيضا. وهى صيغة אֲמֵינוֹן amēnōnʼ*، ثم تغيرت الصيغة الأخيرة إلى صيغة واردة فى العهد القديم، وهى صيغة אֲמִינוֹן ʼamīnōn[1].
وهذا يوافق التغير الصوتى الحادث للصوت المزدوج فى العبرية، والذى مثلنا له فى السطور السابقة، وهو هكذا: /ay/<[ē]<[ī] . ويدعم وليام رايت رأيه بمقابلة هذا التغير الصوتى الحادث للصوت المزدوج فى العبرية بما سمعه فى عامية عربية لم يحددها (وهى على الأغلب فى شمال أفريقيا) فى نحو صيغة قِفيفة Qefīfāh، بدلا من صيغة قُفَيْفَة Qufayfah تصغيراً لقُفَّة[2]. ونحن لا نستبعد صحة ما ذهب إليه وليام رايت، بل وندعم رأيه أيضا بما أثبتناه فى السريانية فى السطور السابقة بوجود نحو صيغة uzīlāʼ غُزَيْل، وذلك بورود صائت الكسر المشبع الطويل [ī] لعين الاسم، وهو المتغير عن الصوت المزدوج /ay/، وذلك بجانب صيغة uzaylāʼ التى بصيغة (فُعَيْل) والتى بقى فيها الصوت المزدوج بدون تغيير. كما إننا نرى كثرة تحول الصوت المزدوج /ay/ فى المصغر فى العاميات العربية إلى الصائت الممال الطويل [ē]، والأمثلة على ذلك كثيرة، كما فى مصر نحو وِليد wilēd، بدلا من وُلَيْد Wulayd تصغيرا لولد، ونحو سويقة sewēqah، بدلا من سُوَيْقَه Suwayqah تصغيرا لسوق، ونحو جِنينه genēnah، بدلا من جُنَيْنَة gunaynah تصغيراً لجنة، ونلحظ تغير الصوت المزدوج /aw/ إلى [ō] أيضا فى غير المصغر، نحو yōm بدلا من يَوْم yawm، و sōm بدلا من صَوْم Sawm[3]. وقد أشار ألبرت سوزين إلى حدوث نفس التغير الصوتى (/ay/<[ē]<[ī]) فى لهجة شمال أفريقيا، ومثل له بصيغة اسم العلم أُسيد usīdʼ بجانب أُسيد usēdʼ تصغيراً لأسد[4]. وفى اللغة السريانية أيضا، نلحظ التغير الصوتى للصوتين المزدوجين /ay/ إلى [ē]، و /aw/ إلى [ō] فى غير المصغر من الأسماء، كما فى نحو ܒܝܬ bēt «بيت»، بدلا من

---

(١) راجع: سفر صموئيل الثانى ١٣/ ٢٠.

(٢) راجع: William wrightt, p. 89

(٣) قيد كانتينو هذا التغير الصوتى الحادث للصوتين المزدوجين /aw/ <[o]، /ay/<[e]، بمجاورتهما لأحد الأصوات المفخمة، أو اللهوية، أو أصوات وسط الحلق. - راجع: كانتينو، ص٦٥.

(٤) راجع: Albert Socin, ZDMG, 53, s. 492

ܒܰܝܬ bayt، ونحو ܬܳܘܪ tōr، بدلا من ܬܰܘܪ tawr «ثَوْر»، ونحو yōm، بـدلا مـن ܝܰܘܡ yawm «يَـوْم»[1]. وفى اللغة الحبشـية أيضـا، نلحظ هذا التغير الصوتي للصوت المزدوج /ay/ إلى[ē]، كما فى نحو ቤት bēt، بدلا من ቤይት bayt «بيت»، كما يتغير الصوت المزدوج /aw/ إلـى [ō]، كما فى نحو sōr، بدلا مـن ثَوْر tawr[2]. وبذلك تتضح لنا صورة مشتركة من صور التغيـر الصوتى فى اللغات السـامية، وهى تمثل مرحلة تغير فى الأصوات السـامية القديمة لا تزال آثارها واضحة فى العامية العربية المعاصرة.

ثانياً: صيغة فُعَيْعِل:

إن هذه الصيغة إحدى صيغ التصغير الثلاث، التى نص عليها علماء الصرف القدامى، وهى من الصيغ التى اختصت بها العربية دون غيرها من اللغات السامية الأخرى. وتكون بضم الحرف الأول، وفتح الحرف الثانى، ثم زيادة ياء التصغير الساكنة، ثم كسر الحرف الذى بعدها وهى تختص بتصغير الرباعى من الأسماء، نحو جُعَيْفِر تصغيرا لجَعْفَر. ومُنَيْزِل تصغيراً لمنزل. وإذا كان ثانى الاسم ألفا منقلبة عن همزة، أو زائدة، أو مجهولة الأصل، قلبت واوا فى التصغير، نحو أُوَيْمِن تصغير آمِنْ، وضُوَيْرِب تصغير ضارب، وعُوَيْج تصغير عاج (ناب الفيل)، وإذا كان الحرف الثالث حرف مدّ، وجب قلبه ياء، ثم تدغم مع ياء التصغير السابقة عليه، نحو كُتَيِّب مصغر كتاب[3].

وقد وردت كثير من أسماء الأعلام العربية القديمة والمعاصرة ذات الأصول الأربعة على التصغير بهذه الصيغة (فُعَيْعِل)، فمن الأعلام العربية القديمة، نحو: خويلد مصغر خالد، وممن تسمى به أبو السيدة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها، ونحو: حُوَيْرِث مصغر حارث، ومنه الحويرث بن مالك، ونحو: مُنَيْذِر مصغر مُنذِر، ومنه المُنَيْذِر الأسلمى الصحابى، ونحو أُحَيْمِر مصغر أحْمَر، ومنه الأُحَيْمِر السعدى الشاعر الجاهلى ونحو: الأُدَيْرِد، مصغر أدْرد، وهو الذى سقطت أسنانه من الكِبر، ومنه الأُدَيْرِد الكلبى[4]، ونحو الأُبَيْرِد، مصغر أبرد، وهو من الثيران، الذى فى طرف ذنْبه بياض، ومنه الأُبَيْرِد بن المعذَّر الشاعر، من رجال بنى هَرْمى، من قبائل يربوع بن حنظلة[5].

---

(١) راجع : Costaz, P.29, 139. 389

(٢) راجع : Gesenius, Handwortr., s. 95, 816

(٣) راجع: شرح ابن عقيل ، جـ٤، ص١٤٧.

(٤) راجع : عاطف مدكور، الأعلام الجاهلية، ص١٩٤، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٥ ـ ٢٠٧.

(٥) راجع : ابن دريد، اشتقاق الأسماء، جـ١، ص٢٢١.

وقد تلحق بهذه الصيغة أيضا تاء التأنيث فيتسمى بها النساء، نحو عُوَيمرة، مصغر عَومَرة وهي الاختلاط والجلبة، وبها سميت عُوَيْمرة بنت عويمر بن ساعدة الأنصارية(١). وفي اللهجات العربية المعاصرة تستعمل أيضاً هذه الصيغة التصغيرية في أسماء الأعلام، كما في نجد، نحو جُنَيْدِب مصغر جُنْدبُ (الجراد)، ونحو دُجَيْجه مصغر دجاجة، ونحو أُخَيضِر مصغر أخضر(٢). وفي الكويت أيضا، نحو: رُوَيْشد مصغر راشد، ونحو: نُوَيْصر مصغر ناصر(٣). وفي اليمن أيضا، كما في نحو: خُوَيْلد مصغر خالد(٤). وبهذا يتضح لنا ميل العربي - دون غيره من الساميين - قديما وحديثا إلى صوغ أسماء الأعلام العربية بهذه الصيغة.

ثالثاً : صيغة فُعَيْعِيل :

وهذه الصيغة أيضا إحدى صيغ التصغير الثلاث، التي نص عليها علماء الصرف العرب القدامى، وهي من الصيغ التي اختصت بها العربية دون غيرها من اللغات السامية الأخرى، وتكون بضم الحرف الأول، وفتح الحرف الثاني، ثم زيادة ياء التصغير الساكنة، ثم كسر الحرف الذي بعدها، وهي تختص بتصغير الخماسي، وما زاد عليه من الأسماء، ولكن الاسم الخماسي، وما زاد عليه، ينبغي أن يكتفى منه بأربعة أحرف حتى يمكن تصغيره، فيحذف منه حرف أصلي أو زائد، ويجوز بعد الحذف التعويض عن المحذوف بياء قبل الحرف الأخير، ومن ثم فإنه إما يكون بصيغة (فُعَيْعِل)، أو فُعَيْعِيل). نحو: سُفَيرِج، أو سُفَيرِيج تصغيرا لسفرجل (شجر مثمر من الفصيلة الوردية). إلا إذا كان الاسم خماسيا وقبل آخره حرف مدّ، فإنه يبقى عند التصغير إن كان ياء، ويقلب ياء إن كان ألفا أو واواً. نحو قُنَيْدِيل مصغر قِنْديل، ومُصَيْبِيح مصغر مصباح، وعُصَيْفِير مصغر عصفور(١).

---

(١) راجع: عاطف مدكور، الأعلام الجاهلية، ص٢٣١.
(٢) راجع: ليتمان، أسماء الأعلام في اللغات السامية، مجلة كلية الآداب، المجلد الحادي عشر، ص٣، ٤، ١٢، ١٤.
(٣) راجع: عيسى العرادي، ص١٣٧.
(٤) راجع: عبدالوهاب راوح، نظام التسمية في الجمهورية العربية اليمنية، ص١٧٤.
(٥) راجع: شرح ابن عقيل، جـ٤، ص١٤٠، ١٤١.

وقد انتقلت هذه الصيغة التصغيرية فى الاستعمال أيضا إلى أسماء الأعلام العربية القديمة والمعاصرة، فمن الأعلام العربية القديمة، نحو قُعَيْسِيس، من رجال الحارث بن عدى بن الحارث بن مرة بن زيد، وهو من اقْعَنْسس الرجل: إذا أدخل رأسه فى عنقه وانقبض(1). ومن الأعلام العربية المعاصرة فى نجد، نحو: بريغيث مصغر برغوث، ونحو : رُمَيْضين مصغر رمضان، ونحو: جُرَيْبيع مصغر جربوع، ونحو : جُلَيْميد مصغر جلمود(2). وعند بدو الكويت يستعمل اسم العَلم يُعَيْقِيب مصغر يعقوب(3). وعند أهل اليمن المعاصرين يستعمل اسم العلم مُنَيْصِير مصغر منصور(4). ومما سبق يتضح لنا انفراد العربية الشمالية بصيغة «فُعَيْعِيل» للتصغير، فضلا عن الصيغة السابقة «فُعَيْعِل»، وقد استعملها العربى أيضا فى التعبير عن المصغر من الأعلام العربية القديمة والمعاصرة.

(1) راجع : ابن دريد، اشتقاق الأسماء، جـ2، ص374.

(2) راجع : ليتمان، المجلد الحادى عشر، ص13 - 18.

(3) راجع : عيسى العرادى، ص 137.

(4) راجع : عبدالوهاب راوح، ص 174.

أوزان التصغير السماعية

أولاً : أوزان التصغير ذات التغيير الصوتي الداخلي في بنية الكلمة

١ - وزن فَعِيل :

إن هذا الوزن من الأوزان المعدولة عن وزن مَفْعُول، ويستخدم أحيانا في التصغير، كما في نحو الفَصِيل، وهو ولد الناقة إذا فُصِلَ عن أمه، ونحو الوليد، وهو تصغير الولد، وترد كثير من الصيغ على هذا الوزن للدلالة على بقية الأشياء، نحو البَزِيم : ما يبقى من المرق في أسفل القدر من غير لحم[١]، ونحو البَسِيل: بقية الشراب[٢]، ونحو الجرَيدة: البقية من المال[٣]، ونحو الطَفيل: الماء الكدر يبقى في الحوض[٤]، ونحو القَدِيح: ما يبقى في أسفل القدر فيغرف بجهد[٥]. وقد انتقل هذا الوزن بهذا المعنى الوظيفي (التصغير) إلى الأعلام العربية القديمة والمعاصرة. نحو : الوُليد بن عُقْبة، أخي عثمان بن عفان لأمه، وقد ذكر ابن دريد أن اشتقاق الوليد من قولهم: «ولَيد ومولود، كأنه فَعِيل عُدلَ عن مفعول... والوُليد تصغير الولد[٦]». ومن المشهورين الذين تسموا بهذا الاسم أيضا أبو خالد بن الوليد، ونحو: الحَرِيش، وهي دُوَيْبة قدر الإصبع بأرجل كثيرة، وقد سمي به الذكور ،ونحو الجَرِيش بن هلال القريعي الشاعر[٧]. ونحو الربَيع، وهو النهر الصغير، فضلا عن أنه أحد فصول السنة الأربعة

(١) راجع : المعجم في بقية الأشياء، ص ٥٤.
(٢) السابق نفسه.
(٣) السابق، ص ٦٨. (٤) السابق، ص ١١٠.
(٥) السابق، ص ١٣٦.
(٦) راجع : اشتقاق الأسماء لابن دريد، ج١، ص٨٠.
(٧) راجع : عاطف مدكور، الأعلام الجاهلية، ص ١٠٠، هامش ٣.

وقد سمى به كثير من الصحابة. وقد تلحق تاء التأنيث أيضا بصورة هذا الوزن، ووردت فى أعلام الذكور نحو قَمِيئة، ومنه عمرو بن قَمِيئة الشاعر الجاهلى، وهو من قمأ أقمؤ، أى ذل وصَغُرَ[1]. ويستعمل هذا الوزن أيضا للتصغير فى الأعلام العربية المعاصرة، نحو: حَمِيد مصغر حمد، بمعنى مفعول، أى محمود، كما فى دولة الإمارات العربية المتحدة[2].

أما فى اللغات السامية الأخرى فيرد هذا الوزن فى العبرية القديمة والحديثة، إذ ترد صيغة فِعيله pĕīlā التى تقابل صيغة فَعِيلة فى العربية، وهى تستخدم علما للإناث والذكور فى العبرية، كما هو الحال فى العربية، كما فى نحو דְּלִילָה delīlā، اسم إحدى محظيات شمشون الوارد ذكرها فى العهد القديم[3]، ومعناه الصغيرة، وهو مشتق من الفعل العبرى דָּלַל dālal (تضاءل)[4]. ويرد هذا الاسم فى العربية بفتح الدال دَلِيلة. ونحو קְלִיטָה qelīṭā، وهو اسم علم للذكور، منه اسم أحد اللاويين المهاجرين من بابل[5]، وهو مشتق من קָלַט qālaṭ بمعنى ألجأ، آوى[6]. ونحو: חֲבִיבָה ḥabībā (بمعنى: محبوبة)، وهو أحد الأسماء العبرية الواردة فى الأدب العبرى الحديث منذ فترة التنوير حتى العصر الحاضر، وهى كنية الحاخام يعقوب، مؤلف كتاب «עין יעקב» وهذه الصيغة مشتقة من جذر (ح ب ب)، وهو جذر سامى مشترك يدل فى معناه الأساسي على الحب والود والتعاطف[7]. وبذلك يتضح لنا اشتراك العبرية مع العربية في استعمال هذا الوزن في الأعلام المصغرة.

---

(١) السابق، ص١٨٧.
(٢) راجع : عيسى العرادى، ص ١٣٥.
(٣) راجع : القضاة ١٦/ ٤.
(٤) راجع سفيف، ص ٣١٧.
(٥) راجع : عزرا ١٠/ ٢٣، نحميا ٨/٧.
(٦) راجع : Gesenius, s. 714.
سفيف، ص ١٥٨٤
(٧) راجع : אבן שושן לד׳ 7076, 2958, 2970, 703

٢ - وزن فعَيّل :

هذا الوزن من أوزان التصغير التى اختصت بها العربية دون غيرها من اللغات السامية الأخرى، وهو بضم الفاء، وفتح العين، وكسر العين المشددة، نحو صيغة صُغَيِّر تصغيرا لصَغِير، وذلك بجانب صيغة صُغَيْيِر، بكسر الياء المشددة، وسكون الثانية. ولم يذكر علماء الصرف العرب هذا الوزن ضمن صيغ التصغير القياسية، بل إن سيبويه لم يذكره - وهو فى معرض الحديث عن تصغير صَغِير - وذكر صيغة صُغَيِّيْر، بكسر الياء المشددة الأولى وسكون الثانية، وعدّها من شواذ التصغير، وأنكر أنها مصغر صَغِير، وهى فى رأيه مصغر صِغْيار[1]. غير أن صاحب القاموس أجاز الصيغتين تصغيرا لصَغِير إذ يقول: «وصَغَّرَهُ و أَصْغَرَهُ: جعله صَغِيراً. وتَصْغِيره: صُغَيِّرٌ، وصُغَيْيِرٌ»[2]. وقد انتقل هذا الوزن إلى الأعلام العربية القديمة، وتسمى به الذكور والإناث. نحو حُبَيِّب، مصغر حَبِيب، وممن تسمى به حُبَيِّب بن تميم المجاشعي. ونحو حُمَيِّر، مصغر حِمار، وممن تسمى به حُمَيِّر بن عدى، وحُمَيِّر بن أشجع. ومن الأعلام العربية القديمة للإناث، نحو الرُبَيِّع، مصغر رَبِيع، وممن تسمين به: الرُبَيِّع بنت معوذ، والرُبَيِّع بنت حارثة، والرُبَيِّع بنت النضير، عمة أنس بن مالك الصحابيات. وقد تلحق تاء التأنيث بهذه الصيغة كعلم للإناث، نحو حُبَيِّبَة، أو كعلم مشترك بين الذكور والإناث، نحو: رُبَيِّعَة. فمن أعلام الرجال: رُبَيِّعة بن أسعد، من شعراء بنى أسد [3].

وحافظت بعض اللهجات العربية المعاصرة على هذا الوزن التصغيرى، ولكنها اختلفت فى صائت الياء المشددة، فلهجتا نجد المعاصرة وشمال المغرب حافظتا على كسر الياء المشددة كما فى الفصيح، فأهل نجد يصغرون عَزِيز (الجزء الثانى من المركب الإضافى: عبد العزيز) بصيغة عزَيِّز[4] وأهل شمال المغرب يقولون: جحيِّش geheéyyiš، وضبيب debēyyib تصغيرا لجحش، وضب[5]. كما يصغر أهل نجد أعلاما

(١) راجع : الكتاب، جـ٣، ص٤٢٥.
(٢) راجع : القاموس المحيط، مادة: الصِّغَرُ
(٣) راجع : عاطف مدكور، الأعلام الجاهلية، ص٢٠٨، ٢٣١.
(٤) راجع ابراهيم الشمسان، ص ١٤٤.
(٥) راجع : عبدالمنعم سيد عبدالعال، معجم شمال المغرب، ص٧٧، ١٣٠.

ليس ثالثها ياء على هذا الوزن، فيقولون عُمَيْر في عُمُر. أما في أسوان (جنوب مصر) وفي شمال السودان، وحلب، فأهلها يفتحون الياء المشددة بدلا من كسرها، فأهل جنوب مصر وشمال السودان يقولون صُغَيْر، وقُصَيْر تصغيراً لصَغِير وقَصِير. وأهل حلب يقولون: زْغَيِّر بدلا من صُغَيِّر مصغر صَغِير[1]. وبذلك يتضح لنا انفراد العربية - دون غيرها من اللغات السامية الأخرى - في استعمال هذا الوزن للتصغير، وانتقاله بهذه الوظيفة إلى أعلام الأشخاص.

٣ - وزن فعّال :

هذا الوزن من الأوزان السامية المشتركة الواردة كأسماء عين أو صفات، وهو في العربية بضم الفاء، ومد العين بالألف. وتحمل كثير من الصفات الواردة على هذا الوزن دلالات للتحقير والازدراء، وقد استعملت بهذه المعاني للتصغير، وهو من أوزان التصغير القديمة في العربية وبعض اللغات السامية[2]. وقد انتقل في الاستعمال إلى أسماء الأعلام العربية، سواء المرتجلة منها أو المنقولة. ولم يذكره الصرفيون العرب ضمن صيغ التصغير. ومن صور أسماء العين على هذا الوزن في العربية الشمالية، نحو: أُناس، ومن صيغ الصفات نحو: حُسام، وصُرام (كالصروم القوى على الصرم، أي القطع)، وهُمام، وشُجاع. ومن صور التصغير للتحقير الواردة على هذا الوزن، نحو غُلام، وهو الصبي من حين يولد إلى أن يشب[3]، ونحو القُراد: «دُويبة متطفلة ذات أرجل كثيرة. تعيش على الدواب والطيور، ومنها أجناس، الواحدة قُرادة»[4]، ونحو قُرابة، وهي القربة الصغيرة[5]، ونحو: الحُوار، وهو «ولد الناقة من وقت ولادته إلى أن يُفطم ويُفصل»[6] وهناك كثير من صور هذا الوزن تحمل دلالات: قطعة، أو جزء، أو رقعة، نحو الحُطام من كل شيء: ما تحطم منه، وحُطام النبات ما يبس[7] وقد وردت

---

(١) راجع : موسوعة حلب المقارنة، م٤، ص٢٤٢.

(٢) أشار فلها وزن إلى ذلك أيضا. نقلا عن: Nöldeke, Bs S, s, 30-33

(٣) راجع : المعجم الوسيط، مادة (غلم).

(٤) السابق، مادة (قرد)

(٥) راجع : Brockelmann, Gründr., B. I, s, 351

(٦) راجع : المعجم الوسيط، مادة (الحور)

(٧) ترد كثير من صور هذا الوزن في معجم بقية الأشياء لأبي هلال العسكري.

فى قوله تعالى: «ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصفراً ثم يَجْعَلُهُ حُطاماً»[1]. ونحو: الجُذاذ: المقطع أو المكسر، كما فى قوله تعالى: «فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم» (الأنبيا ،٥٨)، ، ومنها للمؤنث: الجُذاذة، وهى قطعة الفضة الصغيرة، أو القُرادة[2]. ونحو الجُذامة، قال ابن الأعرابى: الجُذامة ما بقى من الزرع بعد حصده[3] ونحو الحُساف، وهو «نفاية كل شئ. والحُساف من المائدة ما تناثر منها ، والحُسافة (بزيادة التاء المربوطة): نفاية كل شئ، والحُسافة من التمر ونحوه: قشوره ورديئة، والحُسافة من الناس: رزالهم وحُسافة الماء: القليل منه»[4]. ومن أسماء الأعلام العربية القديمة المصغرة المنقولة عن هذا الوزن، نحو: قُراد بن حنش، شاعر جاهلى، وقُراد بن حنيفة شاعر جاهلى تميمى[5]، وبزيادة التاء المربوطة، نحو: الُطفاوة، وهو حى من قيس عيلان، وهو مشتق من الطفاوة، وهو ماطفا من دَسَم القدر وزَبدها، يقال: أصبنا طُفاوة من الربيع: شيئا منه[6]، ونحو بنى ثُمالة : بطن من الأزْد، وهو مأخوذ من الثُمالة: الرُغوَة[7] ونحو زُرَارة، اسم والد حاجب ابن زرارة، أحد الذين تمجسوا فى الجاهلية، وهو مأخوذ من الزر، وهو الطرد (ماتبقى من الأشياء) والطحين[8]. ويستعمل هذا الوزن أيضاً فى الأعلام المصغرة للتدليل فى بعض اللهجات العربية المعاصرة، كما فى لهجة نجد المعاصرة، مثل فُهاد مصغر فَهد[9]، وفى اليمن أيضاً تكثر صيغة فُعالة(بزيادة التاء المربوطة مبالغة فى التدليل) فى لواء تعز وبعض المناطق الوسطى من اليمن، كما فى نحو عُلاءة تصغيراً لتدليل عَلى[10].

(١) الزمر، آية ٢١، وقد روت أيضا فى الواقعة آية ٦٥، والحديد آية ٢٠.

(٢) راجع : المعجم الوسيط، مادة (جذ)

(٣) راجع : المعجم فى بقية الأشياء، ص ٦٥.

(٤) راجع : المعجم الوسيط، مادة (حسف)، المعجم فى بقية الأشيا،، ص٧

(٥) راجع عاطف مدكور، الأعلام الجاهلية، ص ٩٣، هامش٥.

(٦) راجع : القاموس المحيط، مادة (الطفاوة)، المعجم الوسيط، مادة (طفا)

(٧) راجع : جمهرة اللغة لابن دريد، جـ١، ص٤٣١.

(٨) راجع عاطف مدكور، الأعلام الجاهلية، ص ٩٣.

(٩) راجع : ابراهيم الشمسان، ص ١٤٥،.

(١٠) راجع : عبدالوهاب راوح، ص ١٧٣.

أما فى بعض اللغات السامية الأخرى فيرد هذا الوزن -كما فى العربية الشمالية - مع الأسماء أو الصفات، كما استعمل أيضا للتصغير، وقد انتقل كذلك بهذا الاستعمال الأخير إلى أسماء الأعلام. ونلحظ أمثلة هذا الوزن فى الأكدية والعبرية والسريانية والحبشية. فمن الصفات فى الأكدية: qurādu «بطل، شجاع»، suḫāru / Zuḫāru «صغير». ومن المصغرنحو :buḫādu «صبى»، ونحو Putēqu < Putāqu «طفل»[1]. وقد انتقل هذا الوزن فى الأكدية إلى الأعلام المصغرة للتدليل والتلميح نحو Ḫurāpum «خُريف (مصغر خروف)»، اسم علم للذكور[2]. وفى العبرية، نحو שְׁאָר Še'ār «بقية، فضلة»، ونحو נְעֹרֶת ne'ōrat «مُشاقَة، فتيل»، ونحو נְסֹרֶת nesōrat «نُشارة»[3]. ونحو אֱנוֹשׁ 'enōš؛ وهى الصورة المقابلة لصورة (أُناس) العربية، وإنوش اسم أحد شخصيات العهد القديم[4]. وفى السريانية نحو: teḥōt «تُحَيْت» مصغر teḥēt «تحت»[5]. ونحو Kesārtā «نُشارة» وKenāšā «كُناسة» [6] . وفى الحبشية، نحو ḥedān «طفل»، 'egwāl «صغير ،نبتة، وليد»، 'ewāl «صغير»، šesār «شَظِيَّة» صغير، نبتة، وليد، 'ewāl «صغير»، 'edāw «كُناسة»، gedād «قطعة، جزء»[7]. نلحظ فى العبرية والسريانية حدوث مخالفة لصائت الضم الصريح القصير فى المقطع الأول من الوزن فى العربية الشمالية، بتغيره إلى صائت الكسر القصير الممال فى العبرية والسريانية، وقد حدث ذلك وفقا لقانون صوتى تخضع له العبرية والسريانية بتغيير صائت الضم الصريح /u/، أو الضم الممال /o/ ، الواقعين قبل صائت الضم الصريح أو الضم الممال للمقطع التالى إلى صائت الكسر المشبع [ī]، ونادراً ما يتغير إلى صائت الإمالة نحو الكسر. كما نلحظ تغير صائت الفتح الطويل/ā/للمقطع الثانى من الوزن فى العربية الشمالية إلى صائت الضم الطويل الممال فى العبرية والسريانية [ō]. ولذلك فإن صيغة 'enōš العبرية المقابلة

(١) راجع : Brockelmann, G :ründr. B.I, s. 351.

(٢) راجع: ليتمان، محاضرات فى اللغات السامية، المجلد الحادى عشر، ص٢٨، ٤٨.

(٣) راجع : Nöldeke, Bs S, s.30, 31

(٤) راجع: التكوين ٤/ ٢٦.

(٥) راجع : Brockelmann, Gründr,. B I, s. 351, Costaz, p. 390.

(٦) راجع : Nöldeke, Bss, s. 30, 31

(٧) Ibid

لصيغة (أُناس) العربية قد وصلت إلى صورتها الحالية بعد التغيير المفترض الذى طرأ عليها على النحو التالى: [1] ʾunās > ʾunōs > ʾinōs > ʾenōs، والحبشية أيضا طرأ عليها ما حدث فى العبرية والسريانية من تغيير صائت الضم الصريح القصير/u/ للمقطع الأول من الوزن إلى صائت الكسر القصير الممال [e] . غير أنها حافظت مثلها مثل العربية الشمالية على صائت الفتح الطويل /ā / للمقطع الثانى من الوزن. ومن تحليلنا السابق لهذا الوزن فى العربية الشمالية وبعض اللغات السامية الأخرى يتضح لنا استعماله للتصغير فى الأسماء، والصفات، ثم انتقاله بهذا الاستعمال إلى أعلام الأشخاص.

٤ ـ وزن فعُّول :

هذا الوزن من الأوزان السامية المشتركة، وهو يرد بكثرة فى باب الصفات، ويرد بندرة فى غيره، كما يستخدم كذلك للتصغير[2]. ففى العربية الشمالية يرد صفة كما فى نحو : فَرُّوق (بجانب فَرُوق، على زنة فَعُول) بمعنى: شديد الفزع[3] ونحو قَعُّور (بجانب قَعِير على زنة فَعِيل) وهو البعيد القعر[4] ونحو: الطيُّور، يقال هو: طيُّور فيُّور: حديد سريع الفَيْئَة والرجوع والتحول من أمر إلى أخر[5]. أما فى غير الصفات فيرد هذا الوزن بندرة، كما فى نحو: بيُّوت «الماء البارد، والغاب من الخبز»[6]. ونلحظ انتقال هذا الوزن للاستعمال للتصغير فى اللهجات العربية المعاصرة، ففى مصر نقول بنُّوته تصغيرا لبنت، وهى أيضا كذلك فى الجزائر [7] . وفى سورية يقولون: حَجُّوره بدلا من حُجَيْر تصغيرا لحَجَر، ولقُّومَه بدلا من لُقَيْمَة تصغيرا للُقْمَة، وشَقُّوفه بدلا من شُقَيْفَه تصغيرا لشَقْفة. وقد أورد لاندبرج أمثلة عديدة لنحو هذه الصيغ[8].

---

(١) راجع : Brockelmann, Gründr., B.I, s. 101, 102. 255. 351

(٢) راجع : Brocuelmann, Gründr., B.I, s. . 361

(٣) راجع : القاموس المحيط، مادة : فرق.

(٤) السابق ، مادة (قعر) وراجع أيضا هامش (٢)، ص ٥٩٧ من طبعة مؤسسة الرسالة.

(٥) السابق، مادة الطير، والمعجم الوسيط، مادة (طار).

(٦) راجع : القاموس المحيط، مادة: البيت.

(٧) راجع : Costaz, p 263, 358, Brockelmann, Gründr, BI, s. 363

(٨) راجع : Albert Socin, s, 483

أما أسماء الأعلام العربية المعاصرة فقد حظيت بهذا الوزن في الاستعمال للتصغير لإفادة التدليل والتحبب، وهذا الاستعمال الوظيفي لهذا الوزن يشيع في كل اللهجات العربية المعاصرة. وهذا الوزن يستعمل أيضا في بعض الأعلام العربية القديمة، ولكننا لا نستطيع الجزم بأنه استخدم قديما في التصغير للتدليل. فمن الأعلام العربية القديمة التي وردت على هذا الوزن، نحو : عَبُّود وهو من أعلام الذكور في العصر الجاهلي، وقد سمي به رجل نَوّام، نام في مُحْتَطبه سبع سنين، وابن عَبُّود، أحد المحدِّثين [١]، ونحو: فَرُّوخ، اسم أخي اسماعيل واسحاق أبي العجم[٢]، ونحو ابن فَرُّوخ القيرواني الفاسي الأندلسي، من أصحاب مالك رضي الله عنه، واسمه عبدالله ابن فَرُّوخ[٣]. ومن أسماء النساء (بلحوق التاء المربوطة): سَلُّومة بنت حُرَيْث بن زَيْد، امرأة عَدِيّ بن الرقاع[٤]. وفي الوثائق اليونانية العربية في صقلية أورد F. cusa بعض أسماء الأعلام العربية على زنة فَعُّول، نحو: حَمُّود، وصَمُّود[٥].

وفي اللهجات العربية المعاصرة يرد هذا الوزن في أسماء الأعلام المصغرة للتدليل مجرداً من تاء التأنيث أو بهاء، والتاء هنا في كثير من الأحوال ليست للتأنيث، بل هي للمبالغة في التدليل، والدليل على ذلك ما سنراه في السطور التالية بورود الصيغة بها وبدونها في بعض أسماء الأعلام للإناث، فضلا عن ورود الصيغة مع لحوق التاء المربوطة بها مع بعض أسماء الأعلام للذكور. كما نلحظ أحيانا أخرى لحوق الياء بهذه الصيغة في أسماء الأعلام مبالغة أيضا في التدليل، كما يبدو ذلك بوضوح في كثير من اللهجات العربية المعاصرة، خاصة اللهجة العراقية، وتارة ثالثة نلحظ لحوق التاء المربوطة وبعدها الياء بهذه الصيغة في أسماء الأعلام، الأمر الذي يعكس لنا طبيعة العلاقة الاجتماعية في الخطاب بين المُسَمِّي والمُسَمَّى، وأحيانا نلحظ تبادل هذا الوزن (فَعُّول) مع أوزان أخرى في أسماء الأعلام في بعض اللهجات

(١) راجع : القاموس المحيط، مادة: العبد، عاطف مدكور، الأعلام الجاهلية، ص١٢٣.
(٢) راجع : القاموس المحيط، مادة : الفرخ
(٣) راجع مقدمة ابن خلدون، ص 504.
(٤) راجع : القاموس المحيط، مادة السَّلْم.
(٥) نقلا عن : Albert Socin, s. 483.

لتأدية نفس الوظيفة اللغوية، كتبادله مع وزن (فَعُول)، بدون تشديد العين، أو مع وزن (فَعّيل)، بكسر العين المشددة، أو مع وزن (فَعِيل)، أو مع وزن (فَعّال).

أما عن أمثلة وزننا هذا في أسماء الأعلام العربية في اللهجات المعاصرة فنلحظها بوفرة، ففي مصر يبدو شائعاً، ويندر أن تخلو عائلة من استخدامه في التصغير للتدليل في بعض أسماء أعلامها فللذكور نحو : عَبُّود[1] مصغر عَبْد (العنصر الأول للمركب الإضافي، المضاف إلى لفظ الجلالة، أو لإحدى صفاته الحسنى)، ومن ثم فهو يرد في التصغير للتدليل نحو: عبدالله، أو عبدالفتاح، أو غير ذلك. ونحو قَدُّور، وقَدُّوره، وحَسُّون، وحَسُّونه تصغيرا لعبد القادر وحسن ، والتاء المربوطة هنا مبالغة في التدليل وليست للتأنيث. وللإناث نحو: زَنُّوبة، وَهنُّومة، وعَيُّوشه، وفَطُّومَة، وخَدُّوجة تصغيرا لزينب، هانم، وعائشة، وفاطمة، وخديجة. وفي شمال السودان أيضا يكثر هذا الوزن في التصغير لتدليل أسماء الأعلام، فللذكور نحو عَلُّوب، وعَلُّوبَة، وحَسُّون، وحَسُّونه، وحَمُّود، تصغيرا لتدليل على وحسن ومحمد أو أحمد، والتاء المربوطة هنا أيضا للمبالغة في التدليل، وليست للتأنيث. وللإناث نحو فَطُّومة وفَطُّوم تصغيرا لفاطمة، ونلحظ هنا ورود صيغة فَطُّوم بدون التاء المربوطة، الأمر الذي يشير إلى أن هذه التاء المربوطة ليست هنا للتأنيث، بل هي للمبالغة في التدليل. ونحو أَمُّورة تصغيرا لأميرة. وفي الجزائر يشيع أيضا هذا الوزن في التصغير للتدليل في أسماء الأعلام، فللذكور نحو: عَزُّوز وعَزُّوزه، وقَدُّورَة، وكَرُّومه، وَعبُّود تصغيرا لعزيز، والقادر (العنصر الثاني من المركب الإضافي عبدالقادر)، والكريم (العنصر الثاني من المركب الإضافي عبدالكريم)، وعَبْد. والتاء المربوطة هنا أيضا مبالغة في التدليل وليست للتأنيث. وللإناث ترد أيضا في الجزائر أسماء أعلام على زِنة فَعُّول بدون لحوق التاء المربوطة، أو بلحوقها، مما يؤيد وجهة نظرنا السابقة القائلة إن التاء المربوطة هنا للمبالغة في التدليل، وليست للتأنيث، كما في نحو : خَدُّوج وخَدُّوجَة، وفَطُّوم وفَطُّومَة تصغيرا لتدليل خَديجة وفاطمة[2]. وفي تونس أيضا يستعمل هذا الوزن في التصغير لتدليل أسماء الأعلام، نحو قَدُّور تصغيرا لتدليل

---

(١) سبق أن أشرنا إلى ورود هذا الاسم علماً للذكور في العصر الجاهلي.

(٢) راجع: Albert Socin, S. 482 - 484

وتلطيف القادر(١) (الجزء الثانى من المركب الإضافى عبدالقادر). وفى الأردن أيضا يستعمل هذا الوزن لتأدية نفس الوظيفة، كما فى نحو عَبُّود تصغيراً لعبد، وحمُّود تصغيرا لمحمد أو أحمد (٢). وفى لهجات منطقة الخليج العربى أيضا يستعمل هذا الوزن لتأدية نفس الوظيفة مع أسماء الأعلام، كما فى البحرين نحو جَسُّوم تصغيراً لتدليل جاسِم، وفى قطر نحو بَدُّور، ورَشُّود، وخَلُّود، وفَطُّوم تصغيرا لتدليل بَدر، وراشد، وخالد، وفاطمة. ونلحظ هنا استعمال صورة فَطُّوم (بدون التاء المربوطة) تصغيرا لتدليل فاطمة، الأمر الذى يشير إلى أن التاء المربوطة الملحقة بهذا الوزن أحيانا هى للمبالغة فى التدليل، وليست للتأنيث. وفى الإمارات العربية المتحدة، نحو سَلُّوم، حَمُّود، سَعُّود، صَقُّور، سَنُّود تصغيرا لسالم، وحمد، وسعد، وصقر، وسند. وفى الكويت أيضا يستعمل هذا الوزن (فَعُّول) لتأدية نفس الوظيفة اللغوية - مثلها مثل غيرها من لهجات دول الخليج العربى- فضلا عن تأثر أهل الكويت بأهل العراق فى استعمال صورة (فَعُّولى)، بلحوق الياء مبالغة فى التدليل، وهى صورة شائعة عند العراقيين، كما فى نحو: خَضُّورى، ورَزُّوقى، وحَسُّونى، وجبُّورى، تصغيرا لتدليل الجبار (الجزء الثانى من المركب الإضافى عبد الجبار)، ورزق وحسن، وخضر(٣). وفى نجد أيضا يستعمل هذا الوزن لأداء نفس الوظيفة مع أسماء الأعلام، نحو عَبُّود، وعزُّوز، وصَلُّوح، وخَلُّود تصغيرا لتدليل عبد، عزيز، صالح، خالد(٤). وعند أهل اليمن أيضا يستعمل وزن (فَعُّول) فى تصغير التدليل لأسماء الأعلام، فللإناث نحو: فَطُّوم، خَدُّوج، سَمُّوه، حَلُّوم، زَنُّوب، تصغيرا لتدليل: فاطمة، خديجة، أسماء، أحلام، زينب، وترد صورة (فَعُّولة) أيضا مع أسماء الأعلام للإناث والذكور، ولكنها أقل شيوعاً من صورة (فَعُّول)، وذلك نحو فَطُّومة، حَمُّودَه، زَنُّوبه تصغيراً لتدليل فاطمة، ومحمد وأحمد وزينب، والتاء المربوطة هنا للمبالغة فى التدليل وليست للتأنيث، كما تستعمل صورة فَعُّولى (بلحوق الياء)، كما فى نحو: حَمُّودي «وفَطُّومى وحَلُّومى، تصغيرا لتدليل أحمد أو محمد، وفاطمة، وأحلام(٥) والياء هنا مثل التاء المربوطة للمبالغة فى التدليل.

---

(١) راجع : محمد مراعدة، عبداللطيف عبيد، ص١١٧.
(٢) راجع : محمود عبدالله جفال، ص١٠٦، ١١٠.
(٣) راجع ك عيسى العرادى، ص١٢٨، ١٣٢، ١٢٣، ١٣٥، ١٣٧، ١٣٨.
(٤) راجع ك ابراهيم الشمسان، السابق، ص ١٤٣- ١٤٥.
(٥) راجع : عبدالوهاب رارح، ص١٧٤، ١٧٥.

ومما يؤكد لدينا أن التاء المربوطة الملحقة بمثل هذا الوزن (فَعُولَه) ليست للتأنيث، بل للمبالغة في التدليل، إن من الناس من يقول: حَلُومي، وفَطُومي، بجانب حَلُومتي وفَطُومتي تصغيرا لتدليل أحلام، وفاطمة، تماما كمن يقول حَلُوم وفَطُوم بجانب حَلُومَه وفَطُومَه تصغيرا لتدليل أحلام، وفاطمة، كما يتضح لنا أيضا من الأمثلة السابقة أن الياء الملحقة بهذا الوزن، هي أيضا للمبالغة في التدليل. ويبدو في العراق بوضوح استعمال صورة فَعُولي (أي بلحوق الياء بوزن فَعُول)، كما في نحو نَصُوري، وشَكُوري تصغيرا لتدليل نصر الله وشكر الله (أي تصغير الجزء الأول من المركبين الإضافيين: نصر، شكر)، وكذلك الحال مع العلمين العبريين جبرائيل وميخائيل ترد لهما صورتا جَبُوري، بجانب صوره جَبُور، ومَخُولي، بجانب صورة مَخُول[1]. وفي سورية تشيع أيضا صورتا (فَعُول) و(فَعُولَه)[2] في التصغير للتدليل في أسماء الأعلام، وقد ذكر فيتسشتاين أمثلة عديدة من أسماء الأعلام السورية على زنة (فَعُول) أو (فَعُولَه)، كما ورد لدى خير الدين الأسدي عديد من الأمثلة لذلك في لهجة حلب. فللذكور نحو عَبُود وعَبُودَه، وعَمُور وعَمُورَه، وسَلُوم وسَلُومَه، حَمُود وحَمُودَه، وقَدُورَه، وألُوسي، تصغيرا لتدليل عبد، وعمر، وسليمان أو سلمان ومحمد أو أحمد، وعبدالقادر (المصغر هنا هو الجزء الثاني من المركب الإضافي)، وإلياس. وللإناث نحو: أَمُون وأَمُونَه، وفَطُوم، ومَرُوم تصغيرا لتدليل أمينة وفاطمة ومريم[3]. ونلحظ في هذه اللهجة أيضا ما لحظناه في سوابقها من استعمال التاء المربوطة للمبالغة في التدليل وليس للتأنيث. وتستعمل الياء أيضا في سورية لاحقة لهذا الوزن (فَعُول) في أسماء الإعلام، وهي هنا أيضا مثل التاء المربوطة تكون للمبالغة في التدليل. وهذه الياء إما أن تلحق بالوزن مباشرة، أي: فَعُولي، نحو عَبُودي، وإما أن تلحق بالتاء المربوطة الملحقة بالوزن، أي: فَعُولتيَ، نحو عَبُودتي. والحق أن هذا التباين في صورة البنية اللغوية يعكس تباينا في العلاقة الاجتماعية في الخطاب بين اثنين، أحدهما المُسَمِّي والثاني المُسَمَّى. فصورة عَبُودتي مصغر التدليل لعبد، وهي تجمع بين

---

(١) راجع : praetorius, ZDMG, 57, s. 774

(٢) يلاحظ هنا أن لام الكلمة تنطق بالإمالة نحو الكسر (أي :Fa ule) وهي من سمات كثير من لهجات الشام. وقد لاحظت هنا بسماعي لكثير من الشوام.

(٣) راجع : Albert Socin s. 483 - 485

موسوعة حلب المقارنة، مجلد ١، ص٢٣٨، مجلد٣، ص٣٧، ٢٦٤، ٢٨٧، مجلد ٦، ص٧٦، ٧٧، ١٦٤، مجلد٧، ٢١٧.

أداتين من أدوات المبالغة فى التدليل والتحبب (وهما التاء المربوطة والياء) تكون فى الخطاب بين اثنين ذوى علاقة خاصة وثيقة، كأن تكون فى نداء الزوجة لزوجها، أما صورة عَبُّودى فتكون فى الخطاب بين اثنين بينهما علاقة اجتماعية أقل من سابقتها، كأن تنادى الأم ابنها المُسَمَّى عبدالله مثلا. أما صورة: عَبُّودَه (أى فَعُّولَه) فتكون فى الخطاب بين اثنين بينهما علاقة اجتماعية أقل من سابقتها، كأن تكون بين صديق وصديقه، أما صورة عَبُّود (أى: فَعُّول) فتكون فى الخطاب بين اثنين بينهما علاقة اجتماعية أقل من سابقتها فى التلطف والتحبب، كأن تكون بين جار وجاره. ومن ثم فإننا نرى أن صور التصغير المختلفة للتدليل والتحبب لمثل هذا العلم تعكس نوع العلاقة الاجتماعية، ولا غرو فاللغة مرآة المجتمع، وأداته الدقيقة الناقلة لفكر ومشاعر أفراده، وهى موظفة لتتلاءم وتتفاعل مع الصور الاجتماعية المختلفة، فهى هنا تضيف عنصرا أو أداة جديدة للصورة الأصلية للوزن مما يناسب نوع العلاقة الاجتماعية، ولذا يمكننا أن نرتب ترتيبا تصاعديا هذه الصور المختلفة للوزن الأصلى بما يلاءم ويناسب نوع العلاقة الاجتماعية، كما فى نحو الأعلام: رجب، عادل، سمير:

رَجَب ←— رَجُّوب ←— رَجُّوبَه ←— رَجُّوبي ←— رَجُّوبَتِي

عادِل ←— عَدُّول ←— عَدُّولَه ←— عَدُّولي ←— عَدُّولَتِي

سَمِير ←— سَمُّور ←— سَمُّورَه ←— سَمُّوري ←— سَمُّورَتِي

ونلحظ أحيانا تبادل وزن (فَعُّول) فى التصغير للتدليل فى أسماء الأعلام العربية مع أوزان أخرى مثل فَعُول (بدون تشديد العين)، ومثل فَعِّيل (بكسر العين المشددة)، ومثل فَعَّال (بفتح العين المشددة). أما التبادل بين فَعُول وفَعُّول فنلحظه فى العربية الفصحى فى غير التصغير، كما فى الصفات فى نحو فَرُوق وفَرُّوق (شديد الفـزع)[1] وفى التصغير للتدليل فى أسماء الأعلام يبدو ذلك قليلا، كما فى نحو عَبُّودَه وعَبُودَه تصغيرا لتدليل عَبْد فى نحو المركب الإضافى عبدالله فى سورية[2]، ونحو قدُّور وقَدُور تصغيرا لتدليل القادر فى المركب الإضافى عبد القادر فى الجزائر[3] ونحو حُمُود (بضم الفاء) عند بادية نجد، وحَمُود فى اليمن وحَمُّودَه عند الحضر فى الحجاز تصغيرا لتدليل محمد أو أحمد. أما التبادل بين فَعُّول وفَعِّيل فى أسماء الأعلام فنلحظه فى الجزائر، نحو عَمُّوش وعَمِّيش، ونحو شَتُّوح وشَتِّيح، ونحو

---

(١) راجع: القاموس المحيط، مادة: فرق.

(٢) راجع: Albert Socin, s. 484

(٣) راجع: Praetorius, ZDMG, 57, s. 776 ؛ Albert Socin s. 484

جَلُوط وجَلِّيط، وهذه صور مجهول مكبرها. ونحو: رَزُّوق ورَزِّيق تصغيرا لتدليل الرازق في المركب الإضافي عبد الرازق[1]. والتبادل بين فَعُّول وفَعَّال في أسماء الأعلام المصغرة للتدليل كما في نحو سَلُّوم وسَلَّام تصغيرا لتدليل السلام في المركب الإضافي عبدالسلام، وذلك نلحظه بوضوح في الجزائر ومصر[2].

أما في اللغات السامية الأخرى فيرد هذا الوزن كصفة كما في العبرية في نحو: שַׁכּוּל šakkūl «ثاكل»، ونحو: אַלּוּף allūf «صديق، صاحب»، ونحو: רַחוּם raḥḥūm «رحيم»[3]. وفي السريانية في نحو: ܢܚܘܒܐ naḥḥūbā «نَحِيف»، ونحو: ܥܡܘܛܐ ammūṭā «مظلم»، ونحو: ܚܡܘܨܐ ḥammūṣā «حامض»[4]. كما يرد هذا الوزن في غير الصفات كما في العبرية في نحو: עַמּוּד ammūd «عمود، دعامة»، ونحو: אַשּׁוּר aššūr «خطوة»، ونحو: חַבּוּרָה ḥabbūrā «كدمة، جُرح، رضة»[5]. وفي السريانية، في نحو: ܫܒܘܩܐ šabbūqā «فرع الكرم، غصن»، ونحو: ܥܪܘܒܐ arrūbā «جماعة، لفيف»[6]. واستخدم هذا الوزن أيضا للتصغير في العبرية والسريانية كما في العبرية في نحو בַּחוּר baḥḥūr «غلام، حدث» وفي السريانية في نحو ܓܕܘܕܐ gaddūdā «شاب، غلام، حدث»، ونحو arnūbā «أُرَيْنِب»، مصغر arnebā «أرنب»[7]، ونحو: ḥannūṣā «خُنَيْزير»، وقد انتقلت هذه الصيغة الأخيرة إلى العامية العربية هكذا: خَنُّوص وهو ولد الخنزير.

وكما انتقل هذا الوزن (فَعُّول) في المصغر من أعلام الأشخاص في العربية الشمالية، وبخاصة في الأعلام المعاصرة، فإن اللغة العبرية القديمة قد احتفظت به أيضا كاختصار للدلالة على التصغير للتدليل والتمليح في بعض أسماء الأعلام. وقد

---

(1) راجع: Ibid, s, 484, 485

(2) راجع: Ibid, s, 486

(3) راجع: قوجمان، ص 31، 941.

(4) راجع: Costaz, p. 201, 255, 108

(5) راجع: Brockelmann, Gründr., B.I, s. 363
قوجمان، ص 52، 235، 654.

(6) راجع Costaz, p. 263. 358, Brockelmann, Gründr., B.I, s. 363

(7) نقلا عن: Brockelmann, Gründr,. BI, s. 363

أشار إلى ذلك كثير من المستشرقين، منهم ليتمان وألبرت سوزين، وبريتوريوس، وبروكلمان[1]. وأمثلة الأعلام العبرية القديمة التى صيغت على وزن فَعُّول كثيرة، منها نحو: עַזּוּר ʿazzūr اسم علم للذكور[2]، وذكر ليتمان - وهو بصدد تحليله لصورة هذا العلم - أن صورته إما تكون مختصرة من العلم العبرى אֶלְעָזָר Elʿāzār[3]، أو من العلم العبرى עַזְרִיאֵל ʿazrīʾēl[4]. ومن الأعلام العبرية على زنة (فَعُّول) أيضا، نحو זַכּוּר Zakkūr، وهو اسم علم للذكور لأشخاص عديدين فى العهد القديم[5]، ونحو: יַדּוּעַ yaddūaʿ[6] ونحو: שַׁלּוּם šallūm، اسم علم للذكور، وممن تسمى به أحد ملوك مملكة اسرائيل، وأحد ملوك مملكة يهوذا[7]. وصورة هذا العلم تذكرنا بصورة العلم العربى سَلُّوم، حيث أُبدِلَت السين العربية شينا فى العبرية.

وإن ظاهرة لحوق الياء بهذا الوزن التى لحظناها فى أسماء الأعلام العربية، كما فى نحو عَبُّودى تصغيرا لتدليل عَبْد، نلمحها هنا أيضا فى العبرية، فى نحو العلم العبرى מַלּוּכִי mallūḫī، الوارد بجانب صورة מַלּוּךְ mallūḫ، وهو اسم علم لأحد اللاويين فى زمن داود[8]. والصورة الثانية للعلم صيغة متأخرة عن صيغة מֶלֶךְ meleḫ(مَلِك)، وهى مشتقة من مادة سامية مشتركة، دلالتها الأساسية: مَلَكَ، اسْتَحْوَذَ. فهى فى الأكدية malāku. وفى الأجريتية والأمورية mlk، وفى العبرية מָלַךְ mālaḫ، وفى العربية الشمالية مَلَكَ، وفى الحبشية

---

(١) راجع : ليتمان، المجلد العاشر، الجزء الثانى، ص ٣٤، ٣٥

Albert Socin s. 482
Praetorius, ZDMG, 57, s. 527
Brockelmann, Gründr, B. I, s. 363

(٢) راجع على سبيل المثال: ارمياء ٢٨/ ١، حزقيال ١١/١، نحميا ١٠/١٨ .

(٣) هو أحد أسماء أعلام الذكور فى العهد القديم، نحو ابن هارون.
راجع : الخروج ٦/ ٢٣.

(٤) اسم علم للذكور فى العهد القديم، انظر نحو: أخبار الأيام الأول ٥/ ٢٤، أخبار الأيام الثانى٢٧/ ١٩
وراجع: ليتمان، المجلد العاشر، الجزء الثانى، ص٣٩.

(٥) انظر على سبيل المثال العدد١٣/ ٤، أخبار الأيام الأول ٤/ ٢٦، ٢٤/ ٢٧، نحميا ٣/ ٢.

(٦) اسم علم للذكور، راجع : نحميا ١٠/ ٢٢.

(٧) راجع : الملوك الثانى ١٥/ ١٠، إرمياء ٢٢/ ١١، أخبار الأيام الثانى ٣/ ١٥.

(٨) راجع : أخبار الأيام الأول ٦/ ٢٩، نحميا ١٠/ ٥.

malaka[1]. ونحو اسم العلم זכי zikki[2]، وقد أشار ليتمان إلى أن الياء الملحقة بمثل هذه الصيغة من أسماء الأعلام العبرية قد جئ بها للمبالغة فى التدليل والتلطيف[3]. ومن عرضنا السابق لوزن فَعُّول فى العربية الشمالية والعبرية والسريانية يتضح لنا استخدامه فى هذه اللغات فى باب الصفات وغيره، كما يتضح لنا انتقاله للاستعمال للتصغير فى هذه اللغات، كما يثبت لنا تحليلنا السابق لهذا الوزن استعماله فى التصغير للتحبب والتلطيف لأسماء الأشخاص فى العربية الشمالية، وبخاصة فى الأعلام المعاصرة منها، وفى أسماء الأعلام العبرية القديمة.

٥ - وزنا فعلول / فعلول

يشيع استعمال هذين الوزنين فى اللغات السامية فى الوصف بأوصاف مهينة ومزدراة وحقيرة، وذلك بتكرار الأصل الثالث، أو الثانى، أو بتكرار كلا الأصلين. ونلحظ فيهما أيضا انتقالهما للاستعمال فى التصغير للتحقير، ثم نلحظ استعمال وزن فَعْلول ـ بصفة خاصة ـ فى التصغير للتمليح والتدليل والتحبب فى أسماء الأعلام فى كثير من العاميات العربية المعاصرة.

فمن أمثلة العربية الفصحى للوصف بأوصاف مزدراة على زنة فُعْلُول، نحو عُنْجوف، وهو القصير متداخل الخلق، وربما وصفت به العجوز، ونحو: طُمروس، يقال: رجل طُمروس : كذّاب، ونحو: دُغمور، رجل دُغمور سئ الثناء، ونحو كُرْشوم: قبيح الوجه، ونحو: دُغْموظ، ونحو زُعْرور: سئ الخلق، ونحو دُرْقوع: جبان، ونحو: عُرْقوب: رجل يضرب بخُلْفه المثل[4]. وقد انتقل فى العربية الفصحى وزن فُعلول للاستعمال فى التصغير للتحقير، كما فى نحو : الجُعْسُوس: القصير الدميم، واللئيم الخلق والخُلقُ (للمذكر والمؤنث)[5]. ونحو الشُعْرور، وهو مصغر الشاعر، وهو غير النابه من الشعراء، وهو فوق المتشاعر، ودون الشُويعر[6]. ونحو الهُذْلول: التل الصغير، مسَيل

---

(١) راجع : Koehler, s. 527, 529, 530
Gesenius, s. 426, 428.

(٢) وإن صيغة العلم זכרי ترد علما للذكور لشخصيات عديدة فى العهد القديم، راجع على سبيل المثال: الخروج ٦/ ٢١، أخبار الأيام الأول ٨/١٩، نحميا ١١/ ٩.

(٣) راجع : ليتمان، المجلد العاشر، الجزء الثاني، ص٣٤، ٣٥.

(٤) راجع : جمهرة اللغة لابن دريد، جـ٢، ص١١٩٥ ـ ١١٩٩.

(٥) راجع : المعجم الوسيط، مادة : جَعُدَ.

(٦) راجع : المعجم الوسيط، مادة: الشعر. وقد ورد ذكر هذه الصيغة عند ابن رشيق فى العمدة.
Brockmann, Gründr., B.I, s. 366, 367
عبدالمنعم سيد عبدالعال، معجم الألفاظ العامية المصرية، ص١٣.

الماء الصغير، أو الرمل الرقيق، والجزء من الليل في أوله وآخره[1]. ونحو حُنجود، وهو وعاء، كالسُّفَيْط الصغير، وقد ورد في الفصيح من الشعر، ونحو عُمروس: اسم الحَمَل أو الجدي؛ لغة شامية. ونحو جُرْموز، وهو حوض صغير يتخذ للإبل، ونحو حُرقوص[2]: دُوَيْبة نحو القُراد تَلْصَقُ بالناس، ونحو جُعْرور: دُوَيبة من أجناس الأرض، وضرب من التمر لا ينتفع به يسمى جُعْروراً، ونحو قُمْعُول، وهو القعْب الصغير [3].

وفي كثير من العاميات العربية المعاصرة يستعمل وزن فَعْلول (بفتح الفاء) في التصغير للتحقير، كما في مصر في نحو البَعرور، وهو الصغير من الجمال[4]. وفي لهجة حلب يستعمل أيضا البَعْرور، ويرى خير الدين الأسدي أنه للتلطيف من البَعْر (وهو رجيع ذوات الخفّ والظلف، إلا البقر الأهلي فهو «الخَثْى»)[5]، وفي لهجة حلب أيضا الدَعْبول (بمعنى المدعبل الصغير أو اللطيف)[6]، والدَهْنون من الدهن، يقولون في حلب: ما عندو الدهنونه، يريدون: لا يملك اليسير من النعمة، أي فقير جداً[7]. وفي العراق كذلك يرد هذا الاستعمال، نحو زَعْطوط («الطفل الصغير«الرضيع»)[8]. وفي لبنان أيضا يستعمل هذا الوزن للتصغير، نحو دَعْبُوله (بلحوق تاء التأنيث): وهي الكتلة الصغيرة من جبن أو لبن مجفف مستدير، وتطلق أيضا على الحجرة الصغيرة المستديرة. ونحو دَعْثُورة، دَعْزُورة: حَجر صغير، ونحو دَلحوصه: ذَرَّة، وقطعة من الملح أو السكر[9]. وفي تونس، وشمال المغرب، تطوان وما حولها، يرد هذا الوزن

---

(1) راجع المعجم الوسيط، مادة هذاء.

(2) من أسماء العرب القديمة، منه اسم إحدى قبائل مازن. Brochelmann, Gründr., B. I, s. 366

راجع : الاشتقاق لابن دريد، جـ1، ص203.

(3) راجع : جمهرة اللغة لابن دريد، جـ2، ص1195 - 1199.

(4) راجع : معجم تيمور الكبير، جـ1، ص 131.

(5) راجع : موسوعة حلب المقارنة، جـ2، ص139، 140.

(6) السابق، جـ4، ص54

(7) السابق، ص87.

(8) راجع : Brochelmann, Gründr., B. I, s. 366, 367

(9) راجع : معجم الألفاظ العامية لأنيس فريحة، ص54، 55، 57، 129.

أيضا فى التصغير للتحقير، ولكن بإمالة أصله الأول نحو الكسر، وهذه من سمات اللهجتين. ففى تونس كما فى نحو : لِشلوشه (بلحوق التاء المربوطة) بمعنى: بَشر، ونحو :شكشوكَه بمعنى قطعة (من البطاطس). وفى لهجة شمال المغرب، تطوان وما حولها، نحو درْبوج «الطبلة الصغيرة» والصيغة مشتقة من كلمة عربية: دربج فى مشيه، بمعنى دَبَّ، ونحو دخشوش : حجرة صغيرة تخزن فيها لوازم البيت الشهرية أو السنوية [١]. وبتكرار كلا الأصلين، نلحظ هذا الوزن فى التصغير للتحقير فى العاميات العربية المعاصرة أيضا، كما فى نحو قَرقُور «حُمَيْل (الحَمَل الصغير)» فى اللهجة الدمشقية البدوية. ونحو فَسْفُوسة (ذكرها المحيط) : بَثْرة صغيرة تعلو الجلد، فى لبنان ومصر [٢]. وفى لبنان أيضا نحو: دَقْدوق: صغير دود القز، عود أو قضيب صغير، ومادقّ من الحطب والقش [٣]. ونحو بُزْبوز (بضم فاء الوزن : فُعلول) بمعنى عقب السيجارة فى اللهجة الدمشقية والبدوية السورية[٤]، وترد هذه الكلمة فى مصر بفتح الفاء: بَزبوز (فَعْلول)، كما فى نحو: بَزْبوز الصنبور، أى طرفه.

أما فى بعض اللغات السامية الأخرى فنلحظ أيضا ورود وزن (فَعْلُول) للتعبير عن المعانى المزدراة أو الحقيرة، كما يستخدم أيضا ـ بصفة خاصة فى الآرامية والسريانية ـ فى التصغير للتحقير، كما هى الحال فى العربية الشمالية. ومن حيث استخدامه كصفة مزدراة، كما فى العبرية، فى نحو: שַׁעֲרוּרָה ša'rūrā «فظيع، بشع، مروع»[٥]. ونحو : גַּבְנֻנִּי gabnūnī «أحْدَب» [٦]. ويستخدم هذا الوزن

---

(١) راجع : Brockelmann, Gründr., B I, s 366, 367

عبد المنعم سيد عبدالعال، معجم شمال المغرب تطوان وما حولها، ص٧٧، ٧٨، ٩٠

(٢) راجع : أنيس فريحه، معجم الألفاظ العامية، س ١٢٩.

(٣) السابق، ص٥٥.

(٤) راجع : Brockelmann, Gründr., B. I, s 366

(٥) راجع : Brockelmann, Gründr., B I, s 367

قوجمان، ص 970

(٦) راجع : Ibid، قوجمان، ص 93.

أيضا فى التصغير للتحقير فى العبرية، كما فى نحو : נַעֲצוּץ na'aṣūṣ، «شُجَيْرة شوكية»(١)، وفى المشنا، نحو גַּבְלוּל gablūl «قطعة عجين»(٢). أما فى الأرامية والسريانية فيكثر ورود هذا الوزن (فَعلول) فى التصغير للتحقير، كما فى نحو: marṭūṭā «رُقْعة»، ونحو azrūrā «لفُة، قُماط»، ونحو dahlūlā «فزاعة»، ونحو : tablōlā «طبلة صغيرة، ونحو partūṭā «فتات»(٣) ونحو telūltā (بجانب tellālā) «تُلَيْل، هُضَيْبة تحقيرا لـ tellā(٤) «تل»، ونحو setūtā «صُغَيْر» مصغر zōṭā(٥) ونحو petlōlā «خُيَيط» (٦). نلحظ هنا فى بعض الصيغ ميل فانها نحو الكسر، كما لحظنا ذلك فى كثير من اللهجات العربية فى التصغير. وفى السريانية الحديثة نحو : qaysūsō (بجانب qaysūnā) «قطعة خشب صغيرة، غُصَيْن» تحقيرا لـ qaysā «خشب» (٧).

أما من حيث أسماء الأعلام المصغرة، فيستعمل وزن فَعْلول فى العاميات العربية المعاصرة فى التصغير للتدليل والتحبب، وهو بهذه الوظيفة صورة موازية لوزن فَعُّول(٨). ففى سورية، نحو مريوم ومريومة، (بلحوق التاء المربوطة) تصغيرا لتدليل مريم، ونحو حَزْقوله، وبَرْهوم وبَرْهومه تصغيرا لتدليل حزقيال و ابراهيم. وتستعمل فى مصر أيضا صورة بَرْهومة تصغيرا لتدليل إبراهيم. وفى الجزائر، نحو جعفور وجَعْفورة، وحيدور تصغيرا لتدليل جعفر وحيدر، وأحيانا تستعمل ضمن أسماء الأعلام الجزائرية صور مصغرة للتلطيف على زِنة فَعلول، دون مكبر لها، نحو جعجوع، جحبوط، جحجوح، جحنوط، جحموم(٩). وفى شمال السودان أيضا يستعمل وزن (فَعْلول) فى التصغير

---

(١) راجع : Ibid، قوجمان، ص 557

(٢) راجع : Ibid، قوجمان، ص 92

(٣) راجع : Moscati,p. 82
Brockelmann, Grundr., B. I, s. 367

(٤) راجع : Ibid
Costaz p, 392.

(٥) راجع : Brockelmann, Gründr., B. I, s. 367

(٦) راجع : Ibid

(٧) راجع : Ibid
Costaz,p.319

(٨) راجع Albert Socin, s. 489

(٩) راجع : Ibid
وهذا ليس بغريب، فقد أوردت لنا كتب النحو العربى صيغا مصغرة فى العربية الفصحى، وليس لها مكبر، وذلك لشيوع استعمال المصغر دون المكبر، ويبدو ذلك فى قول سيبويه فى باب «ماجرى فى الكلام مصغرا وترك تكبيره لأنه عندهم مستصغر فاستغنى بتصغيره عن تكبيره، وذلك فى نحو قولهم : جميل وكُمَيْت...» راجع : الكتاب، جـ٣، ص. ٧٧٤

للتدليل لأسماء الأعلام، نحو جعفور ومريومه تصغيرا لتدليل جعفر ومريم. ومن الأعلام اليهودية فى العراق اسم شعشوع، وهى صورة للتحبب والتدليل، ويرى إبراهيم السامرائي أن اليهود قد استعاروا هذه الصيغة من العربية لمجاورتهم للعرب[١].

ونلحظ فى هذا الوزن ما لحظناه فى وزن (فَعُول) من لحوق التاء المربوطة به فى أعلام الذكور، نحو بَرْهُومه وحَزقوله تصغيرا لتدليل إبراهيم وحزقيال، كما لحظنا قبلا نحو حَسُّونه وعَبُّوده، تصغيرا لتدليل حسن وعَبد، وقد لحظ ذلك قبلنا بعض المستشرقين، منهم ليتمان وألبرت سوزين، وأشارا إلى أنها أداة للتدليل والتلطيف، وذكر ليتمان أن هذه الأداة ترد أيضا فى أسماء الأعلام النبطية والصفوية، كما ذكر أن مقطع (at) فى الأكدية يؤدى وظيفة التلطيف[٢]. ونحن بدورنا نتفق معهما فيما ذهبا إليه، ونضيف أنها (أى التاء المربوطة) فى وزنى فَعُول وفَعْلول هى للمبالغة فى التدليل والتلطيف،أما العنصر الأساسى فى التصغير للتلطيف والتدليل فى كلا الوزنين يكمن فى الضم الطويل المصاحب لهذين الوزنين، وتستوي فى ذلك أعلام الذكور أو الأناث، ودليلنا على ذلك استعمال الصورتين، أعنى بالتاء المربوطة أو بدونها، مع الأعلام بنوعيها للذكور والإناث، كما فى نحو عَبُود وعَبُوده، وفَطُوم وفَطُومه تصغيرا لتدليل عَبْد وفاطمة على زنة فَعُول وفَعُوله، ونحو بَرْهوم وبَرهُومه ومَريُومه تصغيرا لتدليل إبراهيم ومريم على زِنة فَعلول. فالتاء المربوطة الملحقة بأسماء الأعلام فى مثل هذين الوزنين (فَعُول/ فَعلول) هى للمبالغة فى التدليل والتمليح، وليست للتأنيث. ونرى أن الحال هنا يشبه ما أورده لنا ابن جنى فى «باب الشئ يرد مع نظيره مَوْرِدَه مع نقيضه... منها اجتماع المذكر والمؤنث فى الصفة المؤنثة، نحو رجل علاّمة، وامرأة علاّمة، ورجل نسّابة، وامرأة نسابة، ورجل هُمَزة لُمزَة وامرأة هُمَزة لُمـــزَة... »[٣]. ويفسر ابن جنى ذلك بقوله: «إن الهاء فى نحو ذلك لم تلحق لتأنيث الموصوف بما هى فيه، وإنما لحقت لإعلام السامع أن هذا الموصوف بما هى فيه قد بلغ الغاية والنهاية، فجعل تأنيث الصفة أمارة لما أريد من تأنيث الغاية والمبالغة وسواء كان ذلك الموصوف بتلك الصفة مذكراً أم مؤنثا.... »[٤].

---

(١) راجع ابراهيم السامرائى، ص٦٥.

(٢) راجع :

ليتمان، المجلد العاشر، الجزء الثانى، ص٥٢.

Albert Socin, s. 485

(٣) راجع : الخصائص، جـ٢، ص٢٠١.

(٤) السابق ص٢٠١، ٢٠٢.

وكما أثبتنا فى وزن (فَعُّول) آنفا التبادل بينه وبين أوزان أخرى، نثبت هنا أيضا ما لحظه ألبرت سوزين فى بحثه فى الجزائر من تبادل وزن (فَعْلول) فى التصغير لتدليل بعض أسماء الأعلام مع وزن (فَعلال) أو (فَعليل)، كما فى نحو شَلْغوم وشَلْغام، وسَعْيُود وسَعْياد، وقَعْمور وقَعْمير، وجَحْنوط وجَحْنيط[1]. ومن اللافت لنظرنا فيما عرضناه آنفا لوزنى (فُعلول) و(فَعلول) استخدامهما فى العربية الشمالية (فى الفصحى والعامية) وبعض اللغات السامية الأخرى فى الأوصاف المزدراة والحقيرة، كما انتقلا إلى الاستعمال فى التصغير للتحقير والازدراء. ولما انتقل أحدهما وهو (فَعْلول) إلى أسماء الأعلام فى العاميات العربية استعمل فى التصغير للتدليل والتحبب، الأمر الذى يؤيد وجهة نظرنا المذكورة آنفا القائلة إن المعنى الأساسى للتصغير هو التحقير فى العربية واللغات السامية، أما التدليل والتحبب فهو فرع عليه.

(١) راجع : Albert Socin, s.489

ثانيا: التصغير باللواحق

١- لاحقة الألف والنون : (ān)

ترد فى بعض اللغات السامية صيغ عديدة ترد أساسا للتعبير عن الأسماء، والصفات، وهذه الصيغ تنتهى بلاحقة الألف والنون، وتقابلها لاحقة الواو والنون فى بعضها الآخر، فلاحقة الألف والنون نلحظها فى العربية الشمالية،والأشورية، والأجريتية والأرامية والسريانية الشرقية، والسبئية والأثيوبية، والتيجرية، والأمهرية (فى الصفات فقط كما فى لهجة جفات)، أما لاحقة الواو والنون المقابلة فنلحظها فى العبرية (وإن كانت العبرية تمتلك أيضا لاحقه الألف والنون كما سنرى فيمايلى)، والسريانية الغربية (اليعقوبية) واللهجة السريانية المعاصرة فى معلولة (بالقرب من دمشق). ثم استعملت تلك اللاحقة ومقابلها فى كثير من اللغات السامية للتصغير، ونلمحها واضحة فى أسماء الأعلام السامية، حيث تمثل هذه اللاحقة عنصراً من عناصر التصغير للتدليل والتحبب، وهذا ما سنعرضه فى السطور التالية. ففى اللغة العربية الشمالية نلحظ وفرة من الصيغ المنتهية بلاحقة الألف والنون، التى تستعمل فى الأسماء، أوالصفات، وهى نحو صيغ فَعَلان، وفَعْلان، وفُعْلان، وفِعلان، كما فى نحو: طَيَران، وشَبَهان، وعَلَجان (وهما ضربان من النبت)[١]، ونحو يَرَقان (داء يصيب الزرع أو الإنسان)، وسَرَطان (داء يصيب الناس والدواب)[٢]، ونحو قَطَوان (وهو القصير المتقارب الخطو)، ورجل رَقَبان (أى غليظ الرقبة)، وظبى عَبَنان (أى مسنٌ)[٣]. ومن أمثلة صيغة فَعْلان، كمافى نحو غَضْبان، ظَمْآن، جَوْعان، وهى تكثر فى اللهجات العربية المعاصرة، كما فى نحو بَردان، زَعْلان. ومن أمثلة صيغة فُعْلان، نحو الحُسْبان (وهو الحساب)، والخُسْران، من الخسارة، والفُرقان، من التفريق بين الشيئين، والبُطلان، من الباطل[٤]. ومن أمثلة صيغة فِعْلان: عِرفان، إتيان، نِسْيان[٥].

(١) راجع جمهرة اللغة لابن دريد، جـ٣، ص١٢٣٧.
(٢) السابق نفسه.
(٣) السابق نفسه.
(٤) السابق، ص١٢٣٧، ١٢٣٨.
(٥) لمزيد من الأمثلة راجع أيضا: Brockelmann, Grundr., B.I, s. 390

أما فى اللغات السامية الأخري غير العربية فنلحظ لاحقة الألف والنون تشيع منذ وقت مبكر في اللغة الأشورية، كما فى نحو: dulḫānu «ذهول، فــزع»، bušānu «مرض عضال»، būnānu «شكل، هيئة»، nādinānu «بائع»، šakrānu «سكير»[١]، huršānu «جبل»[٢]. وفى الأجريتية أيضا نلمح النون كلاحقة لكثير من الأسماء، ويرى جوردون أنها غالبا ما تقابل لاحقة الألف والنون فى بعض اللغات السامية الأخرى، كما فى نحو zbln «مرض»، hršn «جبل» والأخير يقابل صيغة huršānu فى الأكدية[٣]. وفى الأرامية كذلك، نحو: ʾabdānā «هلاك»، ʿamṭānā «ظلمة، ظلام»، beṭlānā «توقف»، durhān «تذكر». وفى السريانية الشرقية، نحو taʿwānā «خطأ»، ʾawānā «سَكَن»، reʿyānā «فكرة»، nesyānā «محاولة»، garbān «جربان»، ʾarʿān «دنيوى»، lešānān «ثرثار»، gaggerān «أكول، شَرِه»[٤]. وفى السبئية يشيع أيضا استخدام الألف والنون كلاحقه للمصادر من الأفعال المجردة والمزيدة[٥]. وفى الأثيوبية، نحو resʾān «عُمر، سن»، ʿerqān «عُري»[٦] وفى التيجرية، نحو terʾān «لهفة»، hīrān «اختيار». وفى الأمهرية ترد الألف والنون كلاحقة فقط للصفات فى لهجة جفات، وكما فى نحو tekurān «أسود»، nehān «أبيض»، Kaihan «أحمر»، baltietān «امرأة مسنة»[٧].

أما فى العبرية والسريانية الغربية (اليعقوبية) واللهجة السريانية المعاصرة فى معلولة فترد فيها لاحقه الواو والنون فى مقابل الألف والنون فى اللغات السامية الأخرى، وإن هذا التغير الصوتى الطارئ /ā/>[ō]، نلحظه فى نحو qōṭēl فى العبرية، وqōṭel فى السريانية الغربية، فى مقابل (قاتل) فى العربية الشمالية. وهذا التغير

(١) Ibid, s. 393
(٢) راجع : Gordon, p. 63
(٣) Ibid
(٤) راجع : Brockelmann, Grundr., B.I, s. 390 - 394
(٥) راجع : praetorius, ZDMG, 42, s. 56 - 61 ؛ Brockelmann, Grundr., B.I, s. 390
(٦) Ibid
(٧) Ibid, 390, 392.

الصوتي قد لوحظ من قبل في كنعانية نصوص تل العمارنة، وفي اللغة الفينيقية. ويرى كاله Kahle أن صائت القامص العبري (الفتحة الطويلة)/ā/ قد تغير إلى ضمة طويلة ممالة [ō] في العبرية الفلسطينية في نفس الوقت الذي تغير فيه في السريانية الغربية، أي في القرن السابع/ الثامن الميلادي[1]. والحق أننا نلحظ أيضا التغير الصوتي: /ā/>[ō] في بعض اللهجات المعاصرة كما في وادي قديشه (شمال لبنان)، وفي شمال فلسطين، وفي الجبال السورية الشمالية. ويتصل هذا التغير الصوتي أيضا بما نلحظه في نطق ألف التفخيم الحجازية في كلمات، نحو صلوة، ذكوة[2]. أما عن أمثلة صيغتنا المنتهية بالواو والنون في العبرية، ففي الأسماء، كما في نحو: זִכָּרוֹן / זִכְרוֹן zikkārōn/zikhrōn «ذاكرة، تذكر، ذكرى»، חָרוֹן ḥārōn «غضب، سخط»، יִתְרוֹן yitrōn «أفضلية، كسب» עֵרָבוֹן ʿerābōn «عربون، ضمان»، وفي الصفات، أوالمبالغة فيها.، كما في نحو: אַחֲרוֹן ʾaḥărōn «أخير، آخر، سابق»، חִיצוֹן ḥiṣōn «خارجي»، עֶלְיוֹן ʿelyōn «الأعلى، سام»، קַדְמוֹן qadmōn «بدائي، قديم» קִיצוֹן qīṣōn «طرف، نهائي» רִאשׁוֹן rīšōn «أول، رئيسي، سابق» תִּיכוֹן tīkhōn[3]. غير أن العبرية ترد فيها أيضا لاحقة الألف والنون، ولكنها بصورة أقل من لاحقة الواو والنون، كما في نحو הָרָן hārān، وهو اسم علم أحد أخوة ابراهيم عليه السلام[2]، وهو منسوب إلى الجبل. أي الجبلي[4]، זִמְרָן zimrān، وهو من zimmer «غنّى»، أي المغني، وهو علم للذكور في العهد القديم[5]، ونحو שַׁמְרָן šamrān (محافظ) من שָׁמַר šāmar «حفظ، ضمان»[6].

---

(١) راجع : Moscati, p.51
فقه اللغات السامية، ص٥٣، رابين، ص١٩٢، كانتينو، ص ١٦٣
(٢) راجع: رابين، ص ٦٥.
(٣) راجع : Brockelmann, Grundr., B.I, s. 393
قوجمان، ص .100, 254, 276, 324, 811, 829
(٤) راجع : التكوين ١١/ ٢٦ - ٢٩.
(٥) راجع : التكوين :٢٥ /٢، أخبار الأيام الأول ١/ ٣٢
وراجع أيضا : رؤوف أبو سعده ، ج١٢، ص١٣١، ١٣٢.
(٦) راجع : قوجمان ص961, 962

ولم يقتصر استخدام لاحقه الألف والنون فى بعض اللغات السامية، ومقابلها الواو والنون فى بعضها الآخر على كونها لاحقة لبعض الأسماء، أو الصفات، بل نلحظها تؤدى وظيفة لغوية أخرى، وهى التصغير ففى العربية الشمالية نلمح الألف والنون باقية فى قليل من الأسماء لإفادة التصغير، بيد أنها تبدو بصورة أوضح كلاحقة لبعض أسماء الأعلام لإفادة التصغير للتدليل والتمليح. والحق أن سيبويه وغيره من النحاة أشاروا إلى هذه اللاحقة التى هى عندهم من الزوائد فى العربية - وهم بصدد الحديث عن شواذ التصغير، أو ما يحقر على غير بناء مكبره المستعمل فى الكلام - ممثلة فى بعض صيغ الأسماء - نحو مُغَيْربان. وعُشَيَّان، وأُنَيْسيان، وأُصَيْلان، فيقول سيبويه: «فمن ذلك قول العرب فى مغرب الشمس: مُغَيْربان الشمس، وفى العَشِىّ: آتيك عُشَيَّاناً... (وفى) إنسان، تقول: أُنَيْسِيانٌ»[1]، إلا أنه لم يصرح بأن لاحقه الألف والنون هنا لإفادة التصغير، لأنه علل المسألة بأن مُغَيربانا مقدر على أن مكبره «مَغْربان»، وأن عُشَيَّاناً مقدر على أن مكبره عَشْيان، وأن أُصَيْلانا (أو أُصَيْلالاً بإبدال النون لاما) مقدر على أن مكبره أُصْلان، وأن أُنَيْسِياناً مقدر على أن مكبره إنْسِيان[2]. وإن كنا نلمح جواز هذه اللاحقة للتصغير عند ابن برهان العُكبرى، الذى يجوز أن تكون صيغة أُصَيْلان تصغيرا لصيغة أصيل[3]، وليس أُصلان، مع إبدال النون من اللام، وذلك بقوله: «ويجوز أن يكون «أُصيلان» تصغير «أصيل» غيرّ فى حال تحقيره عما كان عليه مكبّره، وأبدلت النون من اللام، كما قالوا فى «لعَلّنا»: «لعَنّا»[4].

ونحن إذا أنعمنا النظر فى جذر (أ. ن. س) فى العربية ومقابلاته فى أخواتها السامية نرجع على الفور استعمال الألف والنون فى نحو إنسان للتصغير، وفى نحو أنيسيان للمبالغة فى التصغير. ففى الأكدية: nīšu، وفى الأجريتية nšm (مع ميم

---

(1) راجع: سيبويه، جـ٣، ص٢٨٤، ٤٢٥.

(2) السابق نفسه.

(3) راجع: المعجم الكبير، جـ١، ص ٣٣٨.

(4) راجع: شرح اللمع، جـ٢، ص٦٦٩.

الجمع)، وفى العبرية אֱנוֹשׁ ˀenōš؛ وفى الأرامية ˀenāš؛ وفى السريانية ܐܢܫܐ nāšāˀ[١] (نلحظ وجود الألف فى صدر الصيغة السريانية، ولكنها غير ملفوظة لوجود علامة المرهطانة عليها، وإن كان وجودها كتابة يشير إلى الأصل القديم). وفى العربية الشمالية ترد صيغتا «أُناس» و«نَاس»، والناس لغة فى الأُناس، إذ يقول سيبويه : «والأصل فى الناس الأُناس مخففاً، فجعلوا الألف واللام عوضا عن الهمزة»[٢]. ونلحظ فى المقابلة السابقة أن الصيغ : الأكدية، والأجريتية، و،السريانية (تلفظا) تقابل صيغة «ناس» العربية، أما الصيغتان العبرية والأرامية فتقابلان صيغة «أُناس» العربية. الأمر الذى يشير إلى أصالة كلتا الصيغتين. والإنس فى العربية، وهو البَشر، خلاف الجن، يقابله فى المؤابية والفينيقية ˀš (بسقوط النون)، وفى العبرية אִישׁ ˀīš (بسقوط النون أيضا)، ولكن أصله بالنون إذهو من صيغة אֱנוֹשׁ ˀenōš؛ والدليل على ذلك أنه يجمع على אֲנָשִׁים anāšīm[٣]. أما صيغة إِنْسان فى العربية فنلمح فى معانيها دلالة التصغير، فهى تعنى: الأُنمُلة (وهى التى فيها (الظفر)، ورأس الجَبَل، إنسان العين: ناظرها، وهو موضع البصر منها، وإنسان السيف والسهم: حدُّهما [٤]. ومقابل هذه الصيغة فى العبرية : אִישׁוֹן ˀīšōn؛ ونلحظ هنا سقوط النون أيضا، وهو ما لحظناه فى صيغة אִישׁ السابقة، كما نلحظ لحوق الواو والنون، الذي يقابل الألف والنون فى العربية. وإن سقوط النون فى الصيغة العبرية يرد أيضا فى العربية فى لغة طائية: إيسان، قال عامر بن جُوَين الطائي:

فياليْتَنى مِنْ بَعْدِ ما طافَ أهلُهَا

هَلَكْتُ ولم أُسْمع بها صوتَ إيسانِ[٥]

---

(١) راجع : المعجم الكبير، جـ١، ص ٥٤١

Gesenius, s. 53

Costaz, p. 13

(٢) نقلا عن المعجم الكبير، جـ١، ص ٥٤٤.

(٣) راجع : אבן שושן، כרך ראשון עמ׳ 82.

(٤) راجع : القاموس المحيط، مادة (الإنس)، المعجم الكبير، جـ١، ص ٥٤٧، المعجم الوسيط، مادة (أنس).

(٥) راجع : المعجم الكبير، جـ١، ص ٥٤٧

ومن المعانى القديمة للصيغة العبرية الواردة فى العهد القديم: إنسان العين (الحدقة)[1]، كما تعنى بلغة ود أو ازدراء «رُجيلا» مصغر رجل[2]. وسبقنا نولدكه، وروتسكه، وبارث فقابلوا صيغة (ʾîšôn) العبرية بصيغة (إنسان) العربية، ويرى بارث أن لاحقه الواو والنون فى الصيغة العبرية هى نفسها الموجودة فى السريانية للتصغير [3].
ومن المعطيات السابقة نرى أن صيغة (إنسان) فى العربية صيغة مصغرة بالألف والنون، مكبرها إنس، ودليلنا على ذلك: أ ـ المعانى التى تدل عليها صيغة إنسان فى العربية. ب ـ الصيغة العبرية المناظرة بلاحقة الواو والنون التى تفيد التصغير، والتى تدل على معان شبيهة.

إذا كان هذا هو تفسير (إنسان) فماذا نقول فى صيغة (أُنَيْسِيان) التى وردت فى كتب النحو والصرف على أنها تصغير لإنسان؟! تورد لنا المعاجم العربية أن صيغة إِنْسِيّ نسبة إلى الإنس، أو هى الواحد منه، وأنها تجمع على: أناسِيّ، وأناسِي، وأناسِيَة (بالتخفيف)، وآناس[4]، وهناك قراءة بتخفيف الياء، وهى قراءة يحيى بن الحارث فى قوله تعالى: «ونُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقنا أَنْعاماً وأَنَاسِيَ كثيراً» (الفرقان ٤٩)، أى أنه قد قُرِئ بتشديد الياء، أو تخفيفها[5]. ولما كان من صيغ جمع إِنْسِيّ (مفرد الإِنْس) ما هو مخفف الياء: أناسِي، وأناسِيَة، فضلا عن قراءة يحيى بن الحارث بالتخفيف فى الآية السابقة، فيمكننا ـ استناداً إلى ذلك ـ أن نفترض صيغة مخففة الياء فى المفرد، أي (إِنْسِي). وإذا صغرنا صيغة إِنْسِي تصغيرا قياسياً بصيغة (فُعَيْل)، قلنا (أُنَيْسِي). وإذا بالغنا فى تصغير هذه الأخيرة بنمط سماعى للتصغير

(١) راجع التثنية ٣٢ / ١٠، والأمثال ٧ / ٢.
(٢) راجع: אבן שושן ، כרך ראשון עמ' 84.
(٣) نقلا عن Gesenius, s. 33
(٤) راجع: القاموس المحيط، مادة الإنس، المعجم الكبير، جـ١، ص ٥٤٩، ٥٥٠.
(٥) السابق نفسه.

بلاحقة الألف والنون، قلنا (أُنَيْسِيان)، وهى ضالتنا المنشودة التى أوردتها لنا كتب النحو والصرف على أنها تصغير إنسان. وهى أيضاً التى اعتبرها سيبويه وغيره من شواذ التصغير، وذلك لاعتبارهم الألف والنون هنا زائدين، ولعدم إقرارهم بأداء الألف والنون لوظيفة التصغير. ثم أخذ سيبويه يؤول مكبرا لها غير موجود فى الاستعمال ليمكنه ذلك من تطبيق قاعدته فى التصغير، فيقول إنَّ: «أُنَيْسياناً مقدر على أن مكبره إنْسيان»[1]. وبناء على ما توصلنا إليه فى تفسير صيغة (أُنَيْسِيان) يمكننا أن نفسر بسهولة صيغ: مُغَيْرِبان، عُشَيَّان، أُصَيْلان، لا على أنها من شواذ التصغير كما قال سيبويه وغيره من النحاة، بل على أنها مبالغة فى التصغير بنمط سماعى وهو لاحقة الألف والنون، التى لحقت بصيغة مصغرة تصغيرا قياسيا. ومن ثم فإن مُغَيْرِباناً (مُغَيْرِب + ان) مبالغة فى تصغير مَغْرِب، وعُشَيَّاناً (عُشَيّ + ان) مبالغة فى تصغير عَشِيّ، وأُصَيلانا (أُصَيْل + ان) مبالغة فى تصغير أُصُل (جمع أَصِيل)، لا تصغير أَصِيل أو أُصْلان كما ذهب العُكبرى.

ومن صيغ الأسماء القليلة فى العربية المحتوية على هذه اللاحقة لإفادة التصغير، نحو: الحُلاَّن، أو الحُلاَّم، بالنون والميم، وهو الجدى يوجد فى بطن أمه، أو هو صغار الغنم[2]. ونحو العُثْمان: فَرْخ الحُبَارى، فَرْخُ الثعبان[3]. وقد أشار بروكلمان – نقلا عن الدميرى – وتبعه فى ذلك موسكاتى إلى أن صيغة (عَقْرَبان)، بفتح العين، تعنى: أبو مِقص، وهو فى الأصل عقرب صغير[4]، ولكننى برجوعى إلى كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميرى الذى استند إليه بروكلمان

---

(١) راجع: سيبويه، جـ٣، ص ٤٢٥.

(٢) راجع: الدميرى، جـ١، ص ٣٤٧، القاموس المحيط، مادة (حلّ).

(٣) راجع: السابق، مادة (عَثَم).

(٤) راجع: Brockelmann, Gründr., B.I, s. 394
Moscati, p. 82

لم أجد سوى صيغة عُقْربان، بضم العين، وهو ذكر العَقْرب، أو هو من الدواب ذات الأرجل الطوال، والتى ذنبها ليس كذنب العقارب.[1] ومن المحتمل أن ما قصده بروكلمان وموسكاتى هو المعنى الثانى، ويدلنا على ذلك ورود هذه الصيغة (عُقْربان) بضم العين، عند الجاحظ أيضا، وجلاَّها عبدالسلام هارون بأنها تعنى ذكر العقارب، أو هى دويبة صفراء طويلة كثيرة القوائم تسمى فى مصر (أم أربعة وأربعين).[2] ويوافق هذا المعنى أيضا ما أورده القاموس المحيط من أن العُقْربان (بالضم)، ويشدد: «دَخَّالُ الأذُن، والعقرب أو الذكر (منه)».[3]

أما فى بعض أسماء الأعلام العربية القديمة[4] والمعاصرة فإننا نلحظ بوضوح لاحقة الألف والنون لإفادة التصغير للتدليل أو التحبب، وهى بذلك إما أن تكون بمفردها لأداء هذه الوظيفة اللغوية، أو تكون لاحقة لأعلام مصغرة تصغيراً قياسياً، فتكون بذلك مبالغة فى تصغير العلم. أما كونها مفردة لإفادة التصغير مع بعض الأعلام العربية، فمن الأعلام العربية القديمة: عُثْمان، وهو فَرْخ الحُبَارى أو الثُّعبان، وقد سمى به عشرون صحابيا،[5] منهم عثمان بن عفان رضى الله عنه. ومن اللافت لانتباهنا- بالنظرة المتأنية فى كتاب الجمهرة لابن دريد- ورود أمثلة عديدة لصيغتين متجاورتين لعلم بعينه مشتقتين من مادة واحدة، إحداهما مصغرة تصغيرا قياسياً، والأخرى على زنة فَعْلان، أو فُعْلان، أو فِعْلان (أى بفتح الفاء، أو ضمها أو كسرها) وقد أوحت لنا هذه المصاحبة الاشتراك الوظيفى للصيغتين (أى المصغرة تصغيرا قياسيا، وتلك التى ألحق بها الألف والنون)، ومن ثم فنحن أمام نوعين من التصغير: تصغير قياسى تمثله الصيغة الأولى، وتصغير سماعى تمثله الصيغة الثانية. ومن أمثلة ذلك: نحو: الدَّحْم: الدفع الشديد، وبه سُمىَ الرجل دَحْمان ودُحَيْماً[6] ونحو:

(١) راجع: الدميرى، جـ٢، ص٤٢، ٤٣.

(٢) راجع: كتاب الحيوان للجاحظ، جـ٤، ص٢٥٩، وهامش ٧ من نفس الصفحة.

(٣) راجع: القاموس المحيط، مادة (عَقْرب).

(٤) ترد أيضا هذه اللاحقة فى كثير من أسماء الأعلام والأماكن، وقد ذكر ابن دريد كثيرا منها، نحو: رَدَفان، شَذَوان، خَفَدان، رَدْمان، ولكننا نهتم هنا بالدرجة الأولى بأسماء أعلام الأشخاص.

(٥) راجع: القاموس المحيط، مادة: عَثَم.

(٦) راجع جمهرة اللغة، جـ١، ص٥٠٦.

«الدُّغْمَة: لون، من قولهم: فرس أدْغَمُ، ... وقد سمت العرب دُغْمان ودُغَيْماً»(1). ونحو: «دقَمْتُ فَمَ الرجل أدْقُمه دَقْماً ودقوما، إذا هتمته ... وقد سمت العرب دُقَيماً ودُقْمان»(2). ونحو: «ذَهِلَ عن الشىء يَذْهَل ذَهْلا، وذَهَلَ أيضا يَذْهَل، إذا سلا عنه ونسيه، فهو ذاهل... وقد سمت العرب ذُهَيْلاً وذُهْلان»(3). ونحو: «الرَّدْح من قولهم: ردحتُ البيت بالطين أردَحه رَدْحًا، وأرْدَحْتُه إرداحاً، لغتان فصيحتان، إذا كاثفت عليه الطين ... وقد سمت العرب رُدَيْحاً ورَدْحان»(4). ونحو: «الرُّعام، وهو مخاط الخيل والشاة الرُّعوم: التى يسيل مخاطها ... وقد سمت العرب رَعُوماً ورَعْمان ورُعَيْماً»(5). ونحو: «الزَّرْع: كل ما زرعته من نبت أو بقل ... وقد سمت العرب زُرْعَه وزُرَيْعاً وزَرْعان»(6). ونحو: «السُّحْمَة: السواد، رجل أسْحَمُ وامرأة سَحْماء ... وقد سمت العرب سُحَيْما وسُحْمان»(7). ونحو: «السِّلْك: الخيط الذى يُغزل والجمع سلوك ... وقد سمت العرب سُلَيْكاً وسِلْكان»(8). ونحو: «السِّمع: سَبُع بين الذئب والضَّبُع، وقد سمت العرب سُمَيْعاً وسِمْعان»(9). ونحو: الشُّقْرة فى الإنسان: حُمْرَة تعلو البياض، والشُّقْرَة فى الخيل: حُمْرَة صافية يحمرّ معها السَّبيب المَعْرَفَة والناصية، ... وقد سمت العرب شقران وشُقَيْراً»(10). أما فى اللهجات العربية المعاصرة فترد أيضا هذه اللاحقة لتصغير التدليل والتحبب فى أسماء الأعلام، وهى شائعة عند بادية نجد، كما فى نحو شِبلان تصغيرا لشبل، وجِروان تصغيرا لجرو، وضِبعان تصغيرا لضبع، وغزلان تصغيرا

---

(1) السابق، جـ٢، ص٦٧٠.
(2) السابق، ص٦٧٥.
(3) السابق، ص٧٠٢.
(4) السابق، جـ١، ص٥٠٢.
(5) السابق، جـ٢، ص٧٧١.
(6) السابق، ص٧٠٥.
(7) السابق، جـ١، ص٥٣٥.
(8) السابق، جـ٢، ص٨٥٤.
(9) السابق، ص٨٤٢.
(10) السابق، ص ٧٣٠.

لغزال[1]. وفى قطر أيضا نلحظ هذه اللاحقة فى تصغير التدليل للأعلام، كما فى نحو تصغير خالد على خلدان أو خَلُّود (عَلى زنة فَعُّول)[2].

أما عن ورود الألف واللام كلاحقة لأسماء أعلام مصغرة تصغيراً قياسيا، ثم كونها بذلك مبالغة فى التصغير، فنلحظه ممثلا فى أعلام عربية قديمة ومعاصرة. فمن الأعلام القديمة نُعَيْمان، والعلم بهذه الصيغة يحتوى على نوعين للتصغير، أولهما قياسى وهو نُعَيْم على زِنة (فُعَيْل)، والثانى سماعى بلاحقة الألف والنون. ويتضح لنا ذلك من عبارة القاموس المحيط: «... ونُعَيْم كَزُبَيْر: ستة عشر صحابيا، ونُعَيْمان مصغراً»[3] وممن سمى بذلك ابن عمرو، وهو أحد الأنصار، وكان مزاحا يضحك النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا.[4] وربما يكون من هذا النمط من الصيغ أيضا صنف من الذَّر، ورد عند الجاحظ، وهو (العُقَيْفان) ودلّل عليه ببيت ابن نجُيَم:

سلَّط الله فازِراً وعُقَيْفا ... نَ فجازاهُمُ بدار شطون

وهو «النّملُ الطويل القوائم، يكون فى المقابر والخرابات».[5] وأشار بروكلمان إلى أن من أسماء الخيل فى الصحراء العربية السورية: كُحَيْلان، وعُبَيْان.[6] ويشيع هذا النمط من الصيغ المصغرة تصغيرا مبالغاً فيه فى الأعلام العربية المعاصرة عند بادية نجد، كما فى نحو عِبيدان مبالغة فى تصغير عَبْد، وحِميدان مبالغة فى تصغير حَمْد، ونِخيلان مبالغة فى تصغير نخل، وسِعيدان مبالغة فى تصغير سعد، وفِهيدان مبالغة فى تصغير فَهد، وعِنيزان مبالغة فى تصغير عنز ...[7]. ونلحظ فى نطق مثل هذه الصيغ أن فاء المصغر تنطق بالإمالة نحو الكسر بتأثير اللهجة النجدية المعاصرة وهو ما لحظناه فى أكثر من لهجة عربية معاصرة، وله أصوله القديمة، ويستتبع ذلك إمالة

---

(١) راجع: ليتمان، المجلد الحادى عشر، الجزء الأول، ص٧، ١٣-١٥.
(٢) راجع: عيسى العرادى،ص١٣٢.
(٣) راجع القاموس المحيط، مادة (النَّعيم).
(٤) السابق نفسه، وراجع أيضا: الإصابة ٥٦٩/٣.
(٥) راجع: كتاب الحيوان للجاحظ، جـ٤، ص١٣، القاموس المحيط، مادة (العَقْف).
(٦) راجع: Brockelmann,Gründr.,B.I,S.394.
(٧) سبق أن أشار ليتمان إلى مثل هذا النمط من الصيغ المصغرة، وذكر أنه مضاعفة فى التصغير، أو تصغير التصغير، ومثل له كما فى نحو: توسان تصغيرا لتيس.
راجع: ليتمان، المجلد الحادى عشر، الجزء الأول، ص١٥.

عين الاسم نحو الكسر، وذلك بفعل المخالفة التقدمية، إذ خولفت فتحة عين الاسم إلى الكسرة الممالة بتأثير الكسر الممال السابق فى فاء الاسم، فنطق نحو صيغة عبيدان، هكذا ʿebedān بدلا من عُبَيْدان، ونحو صيغة حميدان هكذا ḥemedān بدلا من حُمَيْدان.

وليست العربية الشمالية فقط هى التى تستخدم الألف والنون كلاحقة للتصغير، فضلا عن استخداماتهما الأخرى فى الأسماء والصفات. فالأكدية أيضا يرد فيها هذا الاستخدام لهذه اللاحقة، كما فى نحو: mīrānu «الصغير من الحيوان».(١) وفى اللغة الأجريتية يشيع ورود النون(٢) كلاحقة فى أسماء الأعلام كما فى نحو اسم العلم nʿmn. وهو منقول عن اسم المصدر nʿm «سحر، جمال، فتنة».(٣)، ونحو ʿṯtrn وهو منقول عن اسم الإله ʿṯtar وهو هنا إله ذكر مثل ʿṯtr فى العربية الجنوبية القديمة.(٤) وترد صيغة ʿṯtrn (بالنون) بجانب صيغة ʿṯtry(٥) (بياء النسب)، ويبدو هنا أن ياء النسب استخدمت كأداة للتدليل فى الاسم كما لحظناها قبلا فى العربية والعبرية. ونحو: bn yʿrn. وهو من أسماء الأعلام المركبة تركيباً إضافياً، وصيغة yʿrn منقولة عن الاسم yʿr «غابة»، وهو يقابل العلم العبرى יָעִיר yāʿīr(٦)، ومادة هذا الاسم سامية مشتركة.(٧) وكثيرا ما نلحظ فى الأعلام الأجريتية وجود صيغتين لنفس العلم، واحدة بدون النون، والأخرى بها وكأن هذه الظاهرة إشارة إلى وجود صيغتين للعلم، إحداهما مصغرة، والأخرى مكبرة، كما فى نحو اسم العلم bn ḥdṯ بجانب ḥdṯn. وهو

---

(١) راجع: Moscati, p: 82

(٢) وهى المقابلة للألف والنون فى لغات سامية أخرى مثل العربية الشمالية.

(٣) راجع: Gordon, P.63, 445.

(٤) يقابل ذلك صيغة עַשְׁתֹּרֶת عشترت، الواردة جمعا עַשְׁתָּרוֹת فى العهد القديم، وهى عشتر فى بلاد الرافدين، وهى إلهة البكارة والخصوبة، وهى ترد فى الروايات السامية الدينية مع الإلهة عنت بجانب بعل، وهو العنصر المذكر فى مجموعة آلهة الدورة النباتية.
راجع: Gesenius, s.627، الحضارات السامية، ص١٢٨.

(٥) راجع: Gordon, P. 63, 462, 463.

(٦) راجع: أخبار الأيام الأول ٢٠/٥ وقارن ذلك بصيغة العلم العبرى יָעִיר، فى صموئيل الثانى ٢١/١٩.

(٧) فهى في العربية الشمالية: وَعْر، وفى الأكدية aʾaru، وفى العبرية יַעַר، وفى السريانية yaʿrā «غابة».
راجع: Gesenius, S. 308.

منقول عن hdṯ المقابلة لـ חָדָשׁ (١) ḥādāš «جديد» في العبرية ونحو اسم العلم: ˀarsw بجانب ˀarswn ونحو bd بجانب bdn ؛ ونحو bn špš بجانب bn špšn.(٢)

أما في العبرية، والأرامية الغربية (اليعقوبية) والسريانية في معلولة، والمندعية فتستخدم الواو والنون كلاحقه للتصغير في مقابل الألف والنون في اللغات السامية المذكورة آنفا. ففي العبرية كما في نحو אִישׁוֹן ˀīšōn «رُجَيْل، أو بؤبؤ (العين أو إنسانها)، مصغر אִישׁ ˀīš «رَجُل»(٣)، شַׂהֲרֹנִים saharōnīm «أهلة» مصغر סַהַר sahar «قمر، هلال»(٤)، و יְהוּדוֹן yehūdōn «كناية استهانة باليهودي»، أي هي تصغير تحقير لكلمة יְהוּד yehūd «تهويد، إدخال شخص إلى الدين اليهودي».(٥) ونحو עַפְעַפּוֹן ˁapīpōn «طائرة ورقية» مصغر עַפְעַף ˁapīp «طيار، طائر»(٦). وفي السريانية الغربية نحو ܟܬܒܘܢܐ ketābōnā «كُتَيِّب» مصغر ܟܬܒܐ ketābā «كتاب»، ونحو: ܒܪܘܢܐ berōnā «بُنَيّ» مصغر ܒܪ bar «ابن».(٧) وفي المندعية نحو: bezzōnā «شُقَيْق»، ونحو dirdeqōnē «الصغار من الأطفال»(٨) وفي العبرية نلحظ عدد غير قليل من أسماء أعلام الأشخاص أو الأماكن، وقد لحقت بها الواو والنون، ونرى في بعضها إمكانية أن تكون للتصغير، وفي بعضها الآخر يتعذر علينا الجزم بذلك. فمن أعلام الأشخاص שִׁמְשׁוֹן šimšōn، وهو أحد أعلام الذكور المذكورين في العهد القديم،(٩) وهو مشتق من שֶׁמֶשׁ šemeš «شمس»، ويرى

---

(١) راجع: Gordon, P. 63, 462, 395.

(٢) Ibid.

(٣) راجع: Gesenius, s. 33

وراجع أيضا حديثنا الطويل عن صيغة انسان ومقابلها العبري في السطور السابقة.

(٤) راجع: اشعيا ١٨/٣.

راجع أيضا: Moscati, p. 82. Brockelmann, Gründr, B.I, s. 394.

(٥) راجع: אבן שושן، כרך שלישי، עמ׳ 942.

(٦) راجع: قوجمان، ص 662.

(٧) راجع: Costaz, p. 36, 37, 165.

(٨) راجع: Brockelmann, Gründr, B.I, s. 393.

(٩) راجع: القضاة ٢٤/١٣.

نولدكه إمكانية أن يكون مصغرا لـ שֶׁמֶשׁ ، أي «شُمَيْس»، ويرى أن الأصل فى صيغة العلم بفتح فائه: שִׁמְשׁוֹן šamšōn[١] وتكتب الصيغة المقابلة لصيغة هذا العلم فى البابلية هكذا: šamšānu[٢]، أى بلاحقة الألف والنون.

ومن الأعلام العبرية المشهورة المنتهية بالواو والنون: אַהֲרֹן ʾaharōn[٣] وهو الكاهن الأكبر، أخو موسى كليم الله عليه السلام، وهو الدخيل فى العربية عن طريق اللهجة الفلسطينية المسيحية بصيغة هارون.[٤] ولم تذكر لنا نصوص العهد القديم تفسيرا لصيغة هذا العلم. ومن اللغويين من أشار إلى أن اشتقاقه اللغوى غير معروف، وربما تكون مادة har مصرية الأصل.[٥] غير أن بعض اللغويين من أصحاب المعاجم قد تناولوا تفسيره استنادا إلى اللغة العبرية، وتباينت تفسيراتهم على ثلاثة أوجه:[٦] الوجه الأول يذهب إلى أن صيغة العلم مشتقة من المادة العبرية אָרַן ʾāran، وهى تقابل فى العربية: أرِنَ، بكسر العين، أى: خفّ، نَشِط، مَرِح، فيكون معنى الصيغة: الخفيف النّزِق، وتكون الألف فى «أهارون» أصلية، والهاء زائدة. والوجه الثانى يرى أن الصيغة مشتقة من הָרָה hārā، الذى إن أسند إلى المرأة، أى הָרְתָה يكون معناه: حَبلت،[٧] وإن أسند إلى فاعل ذكر يكون معناه: فَكَّر وقَدَّر، فيصير معنى الصيغة بذلك: الفكِّير المَكير. أما الوجه الثالث فيذهب إلى أن الصيغة مشتقة من جذر عبرى ممات، وهو יהר yhr، ومنه صيغة יָהִיר yāhīr، وتعنى المتكبر والمتعجرف،[٨] ويفترضون أن יהר بمعنى: علا، ومنه صيغة אַהֲרֹן (أهارون) مزيدة بالواو والنون على الفاعلية، فتصير بذلك יַהֲרֹן yaharōn، ثم يؤولونها بحذف الياء البادئة إلى הֲרֹן harōn، ثم تضاف ألف التحلية، فتصبح الصيغة: אַהֲרֹן ʾaharōn وهى الموجودة فى العهد القديم.[٩] فيصير معنى الصيغة بذلك: عَلِىّ أو متعال.

---

(١) راجع: Nöld. Bs, s 105, n. 2.
(٢) راجع: Gesenius, s. 849, 850.
(٣) راجع: الخروج ٤/١٤، ٦/ ٢٠، التثنية ١٠/٦.
(٤) راجع: Jeffery, P. 283, 284.
(٥) Ibid.
(٦) نعرض هذه الأوجه الثلاثة بتصرف، نقلا عن: رؤوف أبو سعده، جـ٢، ص٢٩، ٣٠.
(٧) راجع: [illegible]، עמ׳ 579.
(٨) السابق، [illegible]، עמ׳ 943.
(٩) راجع على سبيل المثال: الخروج ٤/١٤، التثنية ١٠/٦.

ويرفض رؤوف أبو سعده الوجوه الثلاثة السابقة فى تفسير صيغة هذا العلم، ويفسر الصيغة استنادا إلى منهجه الجديد المبتكر فى تفسير العلم الأعجمى فى القرآن، الذى من أدواته ملاحظته المتأنية لتفسير القرآن أعلامه الأعجمية بإيراد معناها على التجاور فى ثنايا الآية المذكور فيها العلم الأعجمى، وقد وجد ذلك مطردا فى كل القرآن.(١) ويقول إن: «القرآن لا يفسر على منهجنا فى هذا الكتاب الاسم هارون بأى من هذه المعانى الثلاثة... وإنما هو يجانسه على معنى القوة والشدة فى مثل قوله عز وجل على لسان موسى: «وَاجْعَل لِيَ وَزِيراً مِنْ أَهلي. هَرُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِى» (طه ٢٩-٣١)، «وأخِي هَرُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنيَ لِسَاناً فَأَرْسِلْه مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِيَ أَخَافُ أن يُكَذِبونِ. قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لكُما سُلطَانا فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنا أَنتُما وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الغَالِبُونَ» (القصص ٣٤-٣٥) «وَلَقَدْ آتينا مُوسَى الكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هارونَ وزيراً» (الفرقان ٣٥).(٢) ويستنتج من ذلك أن هذه المجانسات القرآنية على الاسم «هارون» والتى تحدد علة استنصار موسى بأخيه، لا تخرج عن معنيين: الفصاحة واللَّسن، وأيضا القوة والشدة، فشد أزره، وشدّ عَضُده، يعنى قواه... أما تفسير «هارون» على معنى الفصاحة واللَّسن، فهو مردود بامتناع تأصيله على أحرف «هارون» فى العبرية. وأما تفسيره على معانى القوة والشدة والوَزر، فهو سلس قريب،(٣) ومن ثم يرى أنه «من هار [הר] العبرية بمعنى «جبل» زيد بالواو والنون إما على الصفة المشبهة... وإما على التصغير تودداً وتحببا، فهو «جُبَيلٌ»، وأما الألف الملصقة بهذ الاسم فى العبرية «أهارون» فهى زائدة»(٤)، وقد اصطلح على تسميتها بمصطلح «ألف التحلية» ترجمة للمصطلح الإنجليزى Aleph Prosthetic، وهى تضاف إلى أوائل بعض الأسماء فى العبرية، ولا تؤدى إلى زيادة معنى.(٥)

ومن الأعلام الأعجمية فى القرآن (سُلَيْمان)، وهو اسم نبى الله ابن داود عليهما السلام، وصيغة هذا العلم وردت فى عبرية العهد القديم بدون النون هكذا שְׁלֹמֹה Šelomō(٦) وقد حذفت النون هنا طلبا للخفة، أى أن الأصل فى الصيغة لحوق النون

---

(١) راجع: رؤوف أبو سعده، جـ١، ص٤٠.
(٢) السابق: جـ٢، ص٣١.
(٣) السابق نفسه.
(٤) السابق نفسه.
(٥) راجع: السابق، جـ١، ص١٣١.
(٦) راجع: صموئيل الثانى ٥/٤، ١٢/٢٤، الملوك الأول ٢-١١، الأمثال ١/١...

بهـا، ويدلنا على ذلك ورود الصيـغـة بالنون فى السـريانيـة: ܫܠܝܡܘܢ Šelēmōn (١). كما ترد بغير النون أيضا فى السريانيـة: ܫܠܝܡܘ Šelēmō.(٢) وترد بالنون فى اليـونانيـة: Solomon(٣)، وفى الحبشيـة أيضا: ሰሎሞን Salomōn، ونلحظ هنا إبدال السين من الشين، وهذا مطرد فى الرسم اليونانى لصيغ العهد القديم المحتوية على الشين، لأن اليونان لا ينطقون الشين.(٤) وإن صيغة هذا العلم تعود إلى مادة سامية مشتركة، فهى فى العبرية שָׁלַם Šālam المقابلة فى المعنى لمادة: سَلِمَ العربيـة، ومن مشتقات هذه المادة فى العبرية: שָׁלוֹם Šālōm، وهى على زنة المصدر وتعنى: السلام، والأمان، والسِّلم،(٥) وفى العربية السِّلم (بالفتح والكسر): المُسالم، والصُّلح، والسلام، والاستسلام،(٦) ومن ثم فإننا نرى أن صيغة العلم فى العبرية مشتقة من שָׁלוֹם Šālōm، وصيغة العلم فى العربية مشتقة من السِّلم، وكلتاهما بمعنى واحد. وقد تصدى رؤوف أبوسعده- وفقا لمنهجه الجديد فى تفسير الأعلام الأعجمية الواردة فى القرآن الكريم- إلى تفسير اسم العلم سُلَيْمان، فذكر أن شْلومُو (شْلومُون)، على التصغير من «شَلُوم» العبرى الصفة لا المصدر... فهو مُصَغر «شَلُوم» يعنى السِّلم أو سَلْمان على الصفة، إنْ صغّرت «شَلُوم» قلت «شْلُومون» وإن صغرت «سَلْمان» قلتَ «سُلَيْمان».(٧) ويستشهد بما ورد فى القرآن الكريم ليدرك المعنى المخصوص الذى يفهم من القرآن الكريم من صيغة هذا العلم من بين المعانى المختلفة لمادة (سَلِمَ) فيورد قوله تعالى فى شأن بلقيس ملكة سبأ: «قَالَتْ يا أَيُّها المَلأُ إِنِّى أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتابٌ كَرِيمٌ. إِنَّهُ مِن سُلَيْمانَ وإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ» (النمل ٢٩-٣١)، فالمعنى هنا أى «جيئونى سَلْماً مُسالمين».(٨) ولإثبات هذا المعنى المقصود من نصوص العهد القديم، يستأنس رؤوف أبو سعده بقصة النبى داود عليه السلام مع (بَتْشبع) امرأة ضابطه (أوريا الحثى)(٩)، التى زنا بها وزوجها فى القتال،

(١) راجع: Jeffery, P. 178.
(٢) راجع: Costaz, P. 419.
(٣) راجع: رؤوف أبو سعده، جـ١، ص١١٦.
(٤) راجع: رؤوف أبو سعده جـ١، ص١١٦.
(٥) راجع: قوجمان ص 948، 952.
(٦) راجع القاموس المحيط، مادة: (السِّلْمَ)، المعجم الوسيط، مادة: (سَلِمَ).
(٧) راجع: رؤوف أبو سعده، جـ٢، ص١٦٢.
(٨) السابق، ص١٦١.
(٩) السابق، ص١٦٢، ١٦٣.
وراجع: صموئيل الثاني ١١/ ٤، ١١/ ١١، ١١/١٢، ١١/ ١٥، ١٢/ ٢٣-٢٥.

ثم غفر له الله إثمه بعد ذلك، وذلك ليدلل على أن صيغة العلم שלמה Šelomō قد جيء بها على التصغير للتحبب والتودد (بلاحقة الواو والنون)، وكأنما قد كان مولد سليمان لداود علامة على السِّلم والسلام مع الله عز وجل الذى غفر له ما فَعَل».[1]

ونحن نتفق مع منهج رؤوف أبو سعده الجديد فى تفسير الأعلام الأعجمية الواردة فى القرآن الكريم، ونراه فتحا من الله سبحانه وتعالى عليه، وقد أوصله إلى معرفة المعنى المخصوص لصيغة هذا العلم، فضلا عن معرفة بنيته. وإن كنا لا نوافقه على أن صيغة (سُلَيْمان) الواردة فى القرآن الكريم هى تصغير لسَلْمان، بل نرى أنها مبالغة فى تصغير (السِّلم) المقابل لصيغة שָׁלוֹם Šalōm، أما الصيغة العربية المقابلة للصيغة العبرية Šelomōn (على أساس أن النون أصلية، ولكنها حذفت طلبا للخفة) فهى صيغة (سَلْمان)، وهى ليست على الصفة كما ذكر رؤوف أبو سعده، بل هى على التصغير، أى أن (سَلْمان) مصغر السِّلم. وإن كنا لا ننكر أن لاحقة الألف والنون تأتى للدلالة على الصفة، بل وتأتى أحيانا مع الأسماء المجردة، وقد أشرنا إلى ذلك فى سطور سابقة من دراستنا هذه، ولكننا لا نراها فى صيغة هذا العلم بالذات للدلالة على الصفة، بل هى هنا لإفادة التصغير، ودليلنا على ذلك ما يلى:

١- أثبتنا فى السطور السابقة أن لاحقة الألف والنون فى العربية وفى لغات سامية أخرى مثل الأشورية والأجريتية، تأتى لإفادة التصغير أيضا، وخاصة مع أسماء الأعلام، ويقابلها لأداء نفس الوظيفة لاحقة الواو والنون فى لغات سامية أخرى مثل العبرية. ٢- يرد من نفس مادة هذا العلم فى العربية ما يشير إلى أداء لاحقة الألف والنون للتصغير، وذلك فى: «أبو سَلْمان دُوَيْبَّة مثل الجُعَل»[2]. ٣- الصيغتان الأخريان غير (صيغة (سَلْمان) العربية) المقابلتان للصيغة العبرية، هما الصيغة اليونانية solomon، والصيغة الحبشية salomōn، أى أن كلتيهما تصغير وليستا مبالغة فى التصغير. ٤- إن الصيغة السريانية: ܫܠܡܘܢ Šelēmōn الأصل فيها هكذا: ܫܠܝܡܘܢ Šelaymōn،[3] أى هى تحتوى على نوعين من التصغير، الأول على وزن فُعَيْل،[4] والثانى بلحوق الواو

---

(١) راجع: رؤوف أبو سعده، جـ٢، ص١٦٣.

(٢) راجع القاموس المحيط، مادة (السِّلم)، والمعجم الوسيط، مادة (سَلَمَ).

(٣) حدث هنا تغير صوتى للصوت المزدوج /ay/ إلى الإمالة الطويل [ē]، وهو من التغيرات الصوتية الحادثة فى اللغات السامية، راجع: ص.   من هذه الدراسة.

(٤) سبق أن أشرنا إلى أن السريانية تعرف صيغة (فُعَيْل) للتصغير راجع ص.   من هذه الدراسة.

والنون، ومن ثم فهى من صيغ المبالغة فى تصغير أسماء الأعلام. والصيغة العربية الواردة فى القرآن الكريم (سُلَيْمان) مثلها مثل الصيغة السريانية، وكلتاهما تذكرنا بنحو صيغ: أُنَيْسيان، مُغَيْرِيَان، عُبَيْدان السابق ذكرها. ولذلك فإننا نرجح أن صيغة هذا العلم قد دخلت إلى العربية عن طريق السريانية،[1] باستثناء إبدال الشين السريانية سينا فى العربية، وهذا قانون صوتى مطرد بين العربية والسريانية. ونستنتج مما سبق أن صيغة العلم الواردة فى العهد القديم ومقابلتيها اليونانية والحبشية هى من قبيل التصغير للتحبب والتدليل فى أسماء الأعلام، أما الصيغتان السريانية والعربية (الواردة فى القرآن الكريم) فهما من قبيل المبالغة فى التصغير للتحبب والتدليل فى أسماء الأعلام.

ومن الأعلام العبرية المنتهية بالواو والنون والواردة فى العهد القديم ونرجح أنها مصغرة بلاحقة الواو والنون اسم العلم עגלון ʿeglōn وهو اسم أحد ملوك مؤاب،[2] وهو منقول عن עגל ʿegel، «عجل»[3]، ثم ألحقت به لاحقة الواو والنون، كما أن عِجْلون أيضا اسم مكان بالقرب من يهوذا،[4] يسمى الآن عَجْلان (تل عيتون/ عاتون).[5] ومن اللافت لنظرنا هنا أن العلم العبرى للمكان عِجلون تقابله الصيغة العربية: عَجْلان، أى أن لاحقة الواو والنون العبرية تقابلها لاحقة الألف والنون العربية. وهناك لغات سامية أخرى غير العبرية قد اشتقت أعلاماً من هذه المادة السامية المشتركة، فمن أعلام الذكور فى الأكدية: Ig/klānu[6] (وهذه الصيغة أيضا [illegible] الألف والنون المقابلة للواو والنون فى العبرية). ومن أعلام الذكور والإناث فى التدمرية:[7] ʿgylw.[8] ونلحظ فى الصيغة التدمرية سقوط النون، ربما يكون ذلك طلبا

(١) أشار إلى ذلك قبلنا نولدكه، ولكنه لم يستند إلى ما استندنا إليه.
نقلا عن: Jeffery, P. 178.

(٢) راجع: القضاة ٣/١٢.

(٣) هذه المادة سامية مشتركة، فهى فى الأجريتية والفينيقية: ʿgl وفى الآرامية: ʿeglā، وفى العربية عِجْل، وفى الحبشية ʿegwal.
راجع Koehler S. 679، Gesenius, s. 563.

(٤) راجع: يوشع ١٠/٣، ٥، ٢٣، ٣٤...

(٥) راجع: Koehler S. 679، Gesenius, s. 563.

(٦) Ibid.

(٧) اللغة التدمرية نسبة إلى مدينة تدمر التى كانت مركز دولة مستقلة وموقعا مهما على الطريق الحيوى الذى يربط سوريا بأرض الرافدين، وقد كان لهذا الموقع أهميته الدبلوماسية والتجارية لوجوده بين امبراطوريتى الفرس والرومان المتصارعتين، وقد اتخذت دولة تدمر مع البتراء قبلها اللغة الآرامية الغربية لغة لهما، وذلك قبل الإسلام، وكانت قوتها بدأت فى الازدياد خلال النصف الأول قبل الإسلام، ثم قضى عليها الإمبراطور الرومانى أورليان عام ٢٧٢م.
لمزيد من التفاصيل راجع: الحضارات السامية، ص١٨١، ١٨٢، ٢٠٣.

(٨) راجع: Gesenius, s. 562, 563، Koehler S. 679.

للخفة، وقد بقيت الواو للإشارة إلى الضم الطويل، كما وجدنا ذلك في صيغة Šelomō العبرية، ونلحظ في الصيغة التدمرية أيضا وجود الياء قبل اللام، ويبدو أنها ياء التصغير التي نجدها في العربية في صيغة (عُجَيْل) المقابلة، وإذا صح ما نرجحه ففي الصيغة التدمرية مبالغة في التصغير للتدليل في اسم العلم، إذ تحتوى على نوعين من التصغير، الأول على وزن (فُعَيْل)، والثانى بلحوق الواو والنون (على الأصل)، وهي تشبه بذلك صيغة Šelēmōn السريانية الغربية، وصيغ أُنَيْسِيان، عُبَيْدان، وسُلَيْمان العربية. والعرب أيضا اشتقت من هذه المادة صيغ أعلام مختلفة، منها صيغتا العَجْلونى والعَجْلانى،[1] وفي هاتين الصيغتين نلحظ أن إحداهما تسير وفق التغير الصوتى بين العربية والعبرية، وهي صيغة العَجْلانى (بعد إسقاط أداة التعريف والياء)، أي بوجود لاحقة الألف والنون التى تقابل الواو والنون في العبرية. أما الصيغة الثانية، وهي العَجْلونى، فتخالف ذلك التغير الصوتى، أي بموافقتها للصيغة العبرية.[2]

ومن الأعلام العبرية أيضا و الواردة في العهد القديم ومنتهية بالواو والنون: עֶפְרוֹן ʿeprōn؛ وهو اسم أحد الحيثيين،[3] وهو منقول عن: עֹפֶר ʿōper «ولد الظبية والوعل»،[4] وقد لحقت به الواو والنون ربما لتصغير التدليل والتحبب. وصيغة עֶפְרוֹן ʿeprōn أيضا اسم علم لمدينة على الحدود الشمالية لمدينة بنيامين،[5] وهو اسم إحدى سلاسل الجبال الواقعة على حدود يهوذا وبنيامين[6] ويرى جزينيوس أنه ربما تتصل هذه الصيغة بصيغة اسم المكان עָפְרָה ʿoprā؛[7] وإذا

(١) راجع: لسان العرب، مادة (عجل)، Nöldeke, NBsS, s. 83.

(٢) سنتناول مثل هذه الصيغة ضمن تناولنا للتصغير بلاحقة الواو والنون فيما يلي.

(٣) راجع: التكوين ٨/٢٣، Nöldeke, NBsS, s 84.

(٤) مقابلها في العربية: الأعْفَر والعُفْر من الظباء، الذى تعلو بياضَهُ حُمْرَة.

راجع: لسان العرب، مادة (عفر).

(٥) راجع: أخبار الأيام الثانى ١٩/١٣.

(٦) راجع: يوشع ٩/١٥، Gesenius, s. 608.

(٧) راجع: يوشع ٢٣/١٨، 2971، Gesenius, s. 608، Koehler, s. 724

دافيد ساغيف، ص١٣٥١.

صحت هذه الصلة فنحن امام صيغتين لاسم علم واحد للمكان، إحداهما بلاحقة الواو والنون، والثانية بدونها. ومن عرضنا السابق للاحقة الألف والنون فى العربية الشمالية وبعض اللغات السامية الأخرى، ولمقابلتها لاحقه الواو والنون فى العبرية والسريانية الغربية يتضح لنا استعمالهما للتصغير بجانب وظيفتهما الأساسية فى التعبير عن الأسماء والصفات. وقد توصلت دراستنا المقارنة فى السطور السابقة إلى تأصيل جديد- مغاير لوجهته نظر جمهور النحاة العرب القدامى ومَنْ حذا حذوهم - لصيغ إنسان، وأُنَيْسِيان، ومُغَيْرِبان وعُشَيَّان، وأُصَيْلان، كما أثبتت هذه الدراسة ظاهرة المبالغة فى التصغير للتدليل والتحبب فى أسماء الأعلام العربية القديمة والمعاصرة باستعمال لاحقة الألف والنون فى مقابل استخدام لاحقة الواو والنون فى الأعلام العبرية لإفادة التصغير للتدليل (بدون مبالغة). وقد أوضحت هذه الدراسة تفسيرا جديدا لصيغة سُلَيْمان الواردة فى القرآن الكريم.

٢ - لاحقة الواو والنون (ūn)

وبالإضافة إلى صيغ الأعلام العربية المنتهية بالألف والنون (ān)، هناك طائفة من أسماء الأعلام العربية، سواء كانت أعلاماً لأشخاص أو أمكنة- تنتهى بالواو والنون (ūn) (أغلبها على زنة فَعْلُون)، نحو حَمْدُون، بَدْرُون، خَلْدُون، بَيْنُون... نلحظها فى الوقت الحاضر مألوفة فى بلاد المغرب العربى ، ولكنها لم تكن هكذا قديما، بل كانت منتشرة فى المشرق والمغرب على حد سواء. وللتدليل على ذلك نمثل فى السطور التالية لبعض الأعلام المرتبة ترتيبا زمنيا، وهى التى عرضها كامفماير فى قائمة تشمل سبعة وثلاثين علماً، والتى استند فى جمعها إلى مصادر عديدة- عربية وغير عربية- فى التراجم والأنساب والتاريخ.[١]

(١) راجع: Kampffmeyer, ZDMG., S. 634- 638.

قصدنا هنا عرض هذه القائمة، على الرغم من معرفتنا لغيرها الأقدم زمنيا، وذلك لأننا سنستأنس بتلك الأقدم فى إبداء رأينا فى هذا النمط من الأعلام.

ا-أسماء أعلام استعملت فى المغرب العربى:

من بين الأعلام التى يعود تاريخها إلى القرن الثالث الهجرى[1]، نحو: سَحْنون ابن سعيد الإفريقى، قاضى مالكى (حوالى سنة ٢٤٠ أو ٢٤١هـ). ونحو: عمر بن حَفْصون، الثائر المشهور فى وجه بنى أمية فى الأندلس، قدم أسبانيا (حوالى ٢٧٣هـ). ونحو بنى خَلْدون، من أصل يمنى فى أشبيليه، مقر قيادة اليمنيين الأسبان، كانوا تحت حكم ثورة الأمير عبدالله (٢٧٥- ٣٠٠هـ). ومن بين الأعلام التى يعود تاريخها إلى القرن الرابع الهجرى، نحو محمد بن إبراهيم بن حَيُّون الحجارى (حوالى سنة ٣٠٥هـ). ونحو على بن حَمْدون الأندلسى (حوالى ٣١٥هـ)، ونحو أبى عبدالله بن عَبْدون الجبلى العدوى العذرى القرطبى، كان عالما فى الرياضيات ثم طبيباً ماهراً فى قرطبة، سافر سنة ٣٦٠ إلى الأندلس. ونحو أبى على جعفر بن على بن أحمد بن حمدان بن غَلْبون الأندلسى، أمير الزاب من أعمال إفريقية (حوالى سنة ٣٦٤هـ). ومن بين الأعلام التى يعود تاريخها إلى القرن الخامس الهجرى، نحو أبى الوليد أحمد بن عبدالله ابن أحمد بن غالب بن زَيْدون المخزومى الأندلسى القرطبى، الشاعر المشهور (حوالى٤٦٣هـ). ونحو عبدالجليل بن وَهْبون المرسى (حوالى سنة ٤٨٠هـ). ومن بين الأعلام التى يعود تاريخها إلى القرن السادس الهجرى نحو أبى عمر يوسف بن عبدالله بن خَيرون القضاعى الأُنْدى، نسبة إلى أُنْده من أعمال فالنسيا فى جنوب أسبانيا، قدم سنة ٥٠٤هـ إلى بغداد. ونحو أبى محمد بن عبدالمجيد بن عبدالله بن عَبْدون الفهرى اليابُرى (حوالى سنة ٥٢٩ أو ٥٢٠هـ). ونحو أبى مروان عبدالملك بن عبدالله بن بَدْرون الشِلبى، ينتسب إلى أسرة عربية قديمة من حضرموت، ولد فى شِلب، الجزء الجنوبى الضيق من البرتغال، شرح قصيدة ابن عبدون فى الفترة من ٥٥٨ إلى ٥٨٠هـ.

---

(١) من الأعلام المغربية أيضا، وترجع إلى بداية القرن الثالث الهجرى: شُبْطون بن عبدالله الأنصارى الطليطلى، روى عن مالك، وسمع منه الموطأ، وولى قضاة بلدة طليطلة (توفى سنة ٢١٢هـ). وهذا العلم من حيث التاريخ يرجع إلى فترة زمنية أقدم من أقدم اسم علم ذكر، كامفماير فى قائمته.
راجع: الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية.

ومن بين الأعلام التى يعود تاريخها إلى نهاية القرن الثامن[1] الهجرى وبداية القرن التاسع الهجرى المؤلف المشهور، أبوزيد، أو محمد بن عبدالرحمن بن خُلدون الحضرمى عبدالرحمن بن أحمد بن خلدون ولى الدين الحضرمى الاشبيلى (٧٣٢-٨٠٨هـ)، يُعزى نسبه إلى الأمير العربى الجنوبى وائل بن حُجْر، أحد الصحابة وهو على أية حال منتسب إلى حضرموت، فيرجع أصله إلى عائلة عربية من حضرموت. نزحت منذ بداية الفتح الإسلامى لشبه الجزيرة الايبريه إلى بلاد الأندلس، واستقرت فى مدينة اشبيلية. ويشير ابن خلدون بنفسه إلى ذلك، وهو بصدد التعريف بنفسه، ما نصه: «ولما دخل خلدون بن عثمان جَدّنا إلى الأندلس بقرمونه... ثم انتقل أفراد العائلة الخلدونية إلى اشبيلية»[2].

ب- أسماء أعلام استعملت فى المشرق العربى:

من بين الأعلام التى يعود تاريخها إلى القرن الثالث الهجرى نحو حَمْدون بن إسماعيل النديم، نحو سنة ٢٤٠هـ عُيِّن من قبل الخليفة المتوكل واليا على منطقة فى أذربيجان. ونحو حمدان بن حمدون بن الحارث التغلبى (نحو سنة ٢٥٠، ٢٩٧هـ)، مؤسس الأسرة الحمدانية فى بلاد ما بين النهرين، كان أحد شيوخ قبائل تغلب، التى كانت تسكن فى شمال غرب الموصل فى ربوع ديار ربيعة. ومن بين الأعلام التى يعود تاريخها إلى القرن الرابع الهجرى، نحو أحمد بن محمد بن حَمْدون بن بندار أبى الفضل الشرمقانى، الفقيه الأديب (نحو سنة ٣١٦هـ) (جَيْرمقان تقع فى خوارسان، على مسيرة أربعة أيام من نيسابور). ونحو أبى إسحاق إبراهيم بن هلال (هليل) بن إبراهيم بن زَهْرون الحرّانى الصابى (حوالى ٣٨٤هـ). ومن بين الأعلام التى يعود

---

(١) من أعلام القرن السابع الهجرى، والتى لم ترد أمثلة لها فى قائمة كمفماير، نحو: ابن سَلْمون، فقيه مالكى، ونحو ابن حَزْمون. شاعر أندلسى.

راجع: عبدالله كنون، ص٤٨.

(٢) ورد هذا النص فى ترجمة ابن خلدون لنفسه المذكورة في صدر كتاب المقدمة. ولمزيد من أمثلة الأعلام الواردة من المغرب العربى على هذا الوزن.

راجع: عبدالعزيز بلعبدالله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية.

تاريخها إلى القرن الخامس الهجرى، نحو: أبى الحسن محمد بن الحسين بن حَمْدون اليعقوبى (حوالى ٤٣٠هـ)، كان قاضى مدينة يعقوبا فى شمال بغداد. ونحو أبى عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر بن على بن حَكْمون القضاعى (حوالى سنة ٤٥٤هـ)، كان قاضياً ومؤرخاً فى بغداد ثم فى مصر. ونحو أبى الحسن المختار بن الحسن بن عَبْدون بن سَعْدون بن بطلان، كان طبيبا مسيحيا فى بغداد، سافر سنة ٤٣٩هـ إلى مصر، ثم سافر سنة ٤٥٥هـ إلى أنطاكية. ومن بين الأعلام التى يعود تاريخها إلى القرن السادس الهجرى، نحو ابن عمرون، كان فى شمال الشام حوالى سنة ٥٢٧هـ. ونحو شرف الدين أبى سعد عبدالله بن هبة الله بن أبى عَصْرون، الفقيه الشافعى (حوالى سنة ٥٨٥هـ)، وكان قاضيا فى دمشق. وفضلا عن أسماء أعلام الأشخاص الواردة من هذا النمط، هناك عدد كثير من أسماء أعلام الأماكن فى المشرق العربى وردت بهذه اللاحقة، وهى ملحوظة على وجه التحديد فى جنوب الجزيرة العربية، وبصفة خاصة فى منطقة حضرموت. ومنها: أَصْبَعُون، قرية فى حضرموت (وادى مِبْفَعَه، ونحو غَيْبون، ونحو هَلْفون.(١) ونحو بَيْنون، وهى اسم مدينة باليمن، وكانت حصنا عظيما بالقرب من صنعاء اليمن، ويرجع تاريخها إلى العصور الحميرية، إذ ورد ذكرها فى أخبار حِمْيَر مع مدينة سَلْحين، وقد كانت هذه أيضا حصنا عظيما للتبابعة ملوك اليمن.(٢)

آراء الباحثين السابقين ومناقشتها

وبعد أن اتضح لنا من الأمثلة السابقة استعمال هذا النمط من الأعلام فى كل من المغرب العربى والمشرق العربى على حد سواء، نتساءل الآن عن الأصل فى هذه اللاحقة ووظيفتها اللغوية. وللإجابة عن هذا التساؤل نجد أنفسنا أمام آراء متباينة لباحثين قبلنا تناولوها بالبحث. فمن الباحثين من يرى أنها أحد مؤثرات اللغة الأسبانية فى بلاد الأندلس، ومنهم من يرى أنها ذات تأثير حميرى، ومنهم من يرى

(١) لمزيد من الأمثلة، راجع: Kampffmeyer, S. 639, 640.

(٢) راجع: معجم البلدان لياقوت الحموى، جـ١، ص٥٣٥، ٥٣٦، جـ٣، ص٢٣٥.

أنها عربية أصيلة ولها شواهدها واستعمالاتها منذ العصر الجاهلي، ومنهم من يرى أنها للتصغير، ودليلهم على ذلك إفادتها للتصغير في كل من العبرية والسريانية. وللوقوف على حقيقة هذه اللاحقة من بين هذه الآراء المتباينة، يلزمنا أن نعرض بإيجاز لكل رأي من تلك الآراء موضحين علله وأسانيده، ثم ننظر في جواز قبوله أو ترجيحه على غيره من الآراء. وأثناء صنيعنا هذا لا يفوتنا النظر في معطيات استعمالنا اللغوي سواء كان ذلك على المستوى الفصيح أو الاستعمال اللهجي، ربما يُعيننا ذلك على الوقوف على كُنْه هذه اللاحقة.

فممن يرى أنها ذات تأثير إسباني رينهرت دوزي، ودي لاجرد، وكلاهما يرى أن الواو والنون في مثل حَفْصون، وزَيْدون، وحَمْدون من الأعلام العربية الأندلسية هي لاحقة التعظيم أو التكبير التي تلحق ببعض الأسماء الإسبانية، وهي الضم الممال والنون (on) للمذكر، والضم الممال والنون والفتحة (ona) للمؤنث، كما في نحو hom-bron (امبرون) في hombre (أمبري) للرجل الضخم، و mujerona (موخيرونا) في moujer (موخير) للمرأة الضخمة، ويرى دوزي أن أبناء الأسر العربية في الأندلس قد أخذوا هذه اللاحقة ليدلوا بها على الجد الأكبر الذي ينتسبون إليه، فهم إذا قالوا ابن حَفْصون مثلا يقصدون بذلك ابن حَفْص الأكبر وهكذا في مثل هذا النمط من الأسماء. وكأن هذه اللاحقة بذلك تفيد معنى النبل والشرف للأعلام التي تلحق بها.(1) أما عبدالله كنون فيرفض هذا الرأي لدوزي وأنصاره، وأخذ يفنده فيرى لاحقة الواو والنون الإسبانية لاترد إلا في أسماء الأجناس، بينما اللاحقة العربية ترد في أسماء الأعلام، فإنه لا يقال نحو Fernandon (فرناندون) في Fernando، أو Mariona (ماريونا) في Maria،(2) ويذهب إلى أنه: «ليس واحد منها [أي من الأعلام العربية] من قبيل اسم الجنس، ولم يسمع بكلمة غير علم من هذا النمط عند عرب الأندلس ولا عند غيرهم».(3) ويرى أنه

(1) نقلا عن: Kampffmeyer, S. 640.
عبدالله كنون، هل اسم كنون ونحوه مكبر على الطريقة الإسبانية، ص44.
(2) راجع: عبدالله كنون، ص44.
(3) السابق نفسه.

على الرغم من أن اللاحقة الإسبانية لها صيغتان، إحداهما للمذكر (on)، والأخرى للمؤنث (ona)، فإن عرب الأندلس لم يأخذوا بالصيغة الثانية مطلقا، بل نراهم يسمون الأنثى بصيغة المذكر، مثل نَزْهون الشاعرة الأندلسية، في حين أن عرب الشرق يسمون بالمؤنث للإناث، نحو حَمْدونه بنت الرشيد، ويستنتج عبدالله كنون من ذلك أنه لو كانت اللاحقة في مثل هذا العلم نقلا عن اللاحقة الإسبانية للحقتها التاء في الأندلس لا في بغداد.[1] ويرد عبدالله كنون على القول بأن أبناء الأسر العربية في الأندلس أطلقوا تلك الأسماء على أجدادهم ليتميزوا بها، بأنه قول يعوزه الدليل، ويستشهد على بطلانه بنص ابن خلدون السابق ذكره، والذى نفهم منه بجلاء، أن جده الأعلى الذى ينتسب إليه، وهو الداخل إلى الأندلس كان معروفا بهذا الاسم عند دخوله، وما قيل في ابن خلدون يقال في غيره من الأعلام من هذا النمط.[2] ويضيف عبدالله كنون رداً على أن مثل هذه الصيغة وضعت علما للجد الأعلى أو الأكبر بتعبير دوزى ليتحقق منها معنى التكبير أو التعظيم، بأن كثيرا من الأعلام يخالف ذلك، مثل «ابن حَفْصون، هو عمر بن حَفْصون بن عمر بن جعفر، الذى كان أول من أسلم من أسرته، فهو جده الأعلى إذن. ولو اطردت القاعدة لقيل ابن جَعْفرون ولكنهم لم يقولوها».[3] ثم يضيف عبدالله كنون مفندا هذا الرأى بأن مثل هذه الصيغة من الأعلام قد استعملت في المشرق العربى والمغرب العربى على حد سواء، واستشهد بأمثلة من الأعلام تناهز العشرين علما في كل من المشرق والمغرب العربى، فضلا عن بعض أسماء الأماكن الواردة على زنة فَعْلون مثل بَيْنون وغيرها. ويخلص من كل ذلك إلى بطلان هذا الرأى.[4] ومن الرافضين أيضا لرأى دوزى وأنصاره كامفماير، الذى يستبعد أن تكون هذه اللاحقة بتأثير إسبانى، لأنه من غير الممكن أن يكون التأثير الإسبانى قد وصل إلى جنوب الجزيرة العربية متمثلا في تلك الصيغ من هذا النمط الواردة بوضوح في الأعلام الجنوبية ومن ثم فلا يستبعد كامفماير إمكانية تفسير تلك اللاحقة بكون العرب المقيمين في بلاد الأندلس كانوا قد أخذوها من السريانية، ثم أتوا بها إلى بلاد الأندلس. ويستدل على ذلك بالصلة الوثيقة التى كانت بين العرب والأراميين قبل الإسلام. وتتضح لنا تلك الصلة بالنقوش النبطية والتدمرية، كما تبدو واضحة أيضا من

(١) السابق، ص٤٥.
(٢) السابق نفسه.
(٣) السابق، ص٤٦.
(٤) السابق، ص٤٦-٤٩.

خلال تاريخ اللخميين فى الحيرة، وتاريخ الغساسنة فى الشام. ولما كان عدد كبير من العرب النازحين إلى إسبانيا. قد جاءوا من الشام وبلاد الرافدين، فلا غرابة فى أن يأتوا معهم بما تتميز به لغتهم من نحو هذه الصيغ المنتهية بهذه اللاحقة.(١)

وأشار دوزى فى كتابه عن تاريخ الموارنة فى إسبانيا أن العرب الإسبان كانوا ينطقون حَفْصون بالضمة الممالة قبل النون هكذا Haffsōn، ويكتب كل من موللر، فى كتابه عن تاريخ الإسلام، ولاجرد فى كتابه عن بنية الأسماء، نحو تلك الأسماء المنتهية بهذه اللاحقة بالضمة الممالة قبل النون مثل: Ibn Zaidōn ، Ibn haldōn.(٢) كما تثبت الكتابة الصوتية اليونانية فى العصور الوسطى، لمثل هذه الصيغ التى ترد لدى Cusa ، أن هذه اللاحقة كانت تكتب بالضمة الممالة قبل النون.(٣) وجدير بالملاحظة أن نطق هذه الواو فى تلك اللاحقة فى العربية المعاصرة، وبصفة خاصة فى أسماء الأماكن فى جنوب الجزيرة العربية يتم بالواو الصريحة وليست الممالة.(٤) ومن ثم فنحن أمام نطقين للواو، التى تمثل العنصر الأول من عنصرى هذه اللاحقة، أحدهما بالضم الممال، وهو نطق العرب فى الأندلس، والثانى بالضم الصريح وهو نطق غيرهم من العرب فى غير الأندلس. وإن هذا الخلاف الصوتى فى نطق الواو ليوضح لنا حقيقة أمرين، أولهما: استبعاد الرأى القائل إن هذه اللاحقة أصلها لاحقة التكبير أو التعظيم الأسبانية لعدم نطق الواو ممالة عند العرب فى غير منطقة الأندلس. وثانيهما: وضوح تأثير سمات مجموعة اللغات الرومانية نحو (الإسبانية، والفرنسية، والإيطالية) فى نطق الواو ممالة على لسان العرب الإسبان دون غيرهم، ودليلنا على ذلك عدم نطقها ممالة على لسان غيرهم ممن يقطنون فى غير بلاد الأندلس، وهكذا فإن كان هناك تأثير إسبانى فى هذه اللاحقة فلا نجده إلا فى إبدال الضمة الصريحة /ū/ التى قبل النون ضمة ممالة [ō] على لسان العرب فى الأندلس.

أما عن الرأى القائل بأن هذه اللاحقة ذات تأثير حميرى فصاحبه كمفماير الذى يستبعد التأثير اليونانى، كما يرفض كونها للتصغير كما هو الحال فى العبرية والسريانية،(٥) على الرغم من عدم استبعاده لهذا كما رأينا فى السطور السابقة. ولكنه يرى أنها تمثل أداة التعريف فى العربية الجنوبية القديمة.(٦) ويستند كمفماير فى رأيه

---

(١) راجع Kampffmeyer, S. 641, 642.
(٢) Ibid, S. 640.
(٣) نقلا عن Socin, S. 496.
(٤) راجع: Kampffmeyer, S. 641, 642.
(٥) Ibid, S. 643, 644.
(٦) Ibid, S. 646, 648.

هذا إلى ملاحظته لكثرة وجود مثل هذا النمط من أسماء الأعلام - سواء كانت للأشخاص أو للأماكن - في جنوب الجزيرة العربية، وبصفة خاصة في منطقة حضرموت، إلى ما لحظه من ورود تبادل بين بعض هذه الصيغ المنتهية بلاحقة الواو والنون وغيرها التي بدونها، كما في نحو حَفْص «ولد الأسد» وحَفْصون، وخالد وخَلْدون، وغالب وغَلبون، وبَدْر وبَدْرون، وإلى ما لحظه من التبادل بين بعض الصيغ المنتهية بلاحقة الواو والنون مع بعض الصيغ المنتهية بلاحقة الألف والنون في المنطقة نفسها.(١) نحو حيُّون وحيَّان، وعَبْدون وعَبْدان، وعِمْرون وعِمْران، وإلى ما لحظه من التبادل بين لاحقتي الألف والنون والواو والنون في مثل هذا النمط من الأعلام، نحو رِشْدان ورِشدين، وحمدان وحمدين.(٢) ويستنتج كمفماير من تلك المعطيات السابقة أن هذه اللاحقة ليست إلا أداة التعريف في اللغة العربية الجنوبية القديمة، ويرى أن التبادل الحادث لهذه اللاحقة مع غيرها من اللواحق يشير إلى الحالة الإعرابية، فهي في الرفع بالواو والنون (ūn)، كما في نحو حَمْدون، وفي النصب بالألف والنون (ān)، كما في نحو حمدان، وفي الجر بالياء والنون (īn)، كما في نحو حمدين. وهذه اللواحق -في رأيه- ناشئة عن اللواحق الأقدم، وهي لواحق التميم السامية: ūm، ām، īm. ومن ثم فهو يرى أن لاحقة الواو والنون عند عرب الجنوب تقابل سابقة التعريف «ال» عند عرب الشمال، أي من سُمِّي خلدون عند عرب الجنوب، يقابل مَنْ سُمِّي الخالد عند عرب الشمال.(٣) ومحاولة منه لتدعيم أسانيد رأيه هذا يستشهد كمفماير ببعض الأمثلة المعاصرة من أغان طرابلسية- تونسية، كان قد جمعها Stumme، وهي تنتهي بالألف، أو بواو المد، ونادراً ما تكون منتهية بالألف والنون: ويذهب إلى أنها من بقايا أداة التعريف في العربية الجنوبية القديمة.(٤) غير أن رابين يعارض كمفماير فيما ذهب إليه، اعتمادا على أنه لا يوجد ما يشير إلى أي أثر من هذه اللاحقة الأداة، ومن ثم فإنه من غير المحتمل أن تكون هذه اللواحق (الواو والنون، والألف والنون، والياء والنون) ذات علاقة بلاحقة التعريف في العربية الجنوبية القديمة.(٥) ويرى أنه من

---

(١) أشار سوزين إلى ذلك أيضا راجع Socin, S. 497.

(٢) راجع: Kampffmeyer, S. 645.

(٣) راجع: Ibid, S. 650.

(٤) راجع: Ibid, S. 652- 656.

(٥) راجع: رابين، ص٦٦.

الأفضل ربط هذا التغير الحادث فى اللاحقة بمقابله الحادث فى الأعلام العبرية المنتهية بلاحقة الواو والنون (ōn)، والسريانية المنتهية بلاحقة الواو والنون (ōn)، أو الياء والنون (īn).(١) ونحن بدورنا أيضا لا نتفق مع كمفماير فى رأيه القائل بأن هذه اللاحقة هى أداة التعريف فى العربية الجنوبية القديمة، ففضلا عما ذكره رابين نضيف- رفضاً لهذا الرأى- أن هذه اللاحقة (الواو والنون) لم تلحق بأسماء الأعلام المنتسبة إلى قبائل عربية جنوبية فقط، بل لحقت بأسماء أعلام أخرى تنتسب إلى قبائل عربية غير جنوبية، مما يدحض كونها أداة التعريف فى العربية الجنوبية القديمة، وأن قائمة الأعلام التى استشهد بها كمفماير نفسه لتثبت لنا ذلك،(٢) فمن بين أعلامها ما نجده منتسبا إلى قبائل عربية جنوبية، نحو ابن بَدْرون (أبو مروان عبدالملك عبدالله بن بَدْرون الشبلى) (القرن السادس الهجرى)، ينتسب إلى أسرة عربية قديمة من حضرموت،(٣) ونحو ابن خلدون (أبو زيد، أو محمد بن عبدالرحمن بن خلدون الحضرمى عبدالرحمن بن محمد بن خلدون ولى الدين الحضرمى الأشبيلى) (أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجرى)، ينتسب إلى أسرة من حضرموت.(٤) كما ترد بعض الأعلام الأخرى التى تنتسب إلى قبائل عربية جنوبية أخرى، نحو قُضاعة، ولخم، ولكن بجانب تلك الأعلام نجد أيضا أعلاما أخرى تنتسب إلى قبيلة تغلب، نحو حمدان بن حمدون بن الحارث التغلبى (القرن الثالث الهجرى).(٥) ومنها ما ينتسب إلى قبيلة تميم، نحو: أبى بكر محمد بن سَعْدون التميمى الجزرى الزاهد،(٦) ومنها ما ينتسب إلى قبيلة مخزوم، نحو: أبى الوليد أحمد بن عبدالله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومى الأندلسى القرطبى (القرن الخامس الهجرى).(٧) الأمر الذى يوضح لنا أن هذه اللاحقة لم تكن مقصورة على أسماء الأعلام الجنوبية فقط، بل كانت منتشرة فى المنطقة العربية بصفة عامة، ومن ثم فإن هناك مصدراً آخر لهذه اللاحقة غير ما ذهب إليه كامفماير.

أما الرأى القائل بأن لاحقة الواو والنون فى نحو مَيْسون، وحَمْدون وخلْدون عربية أصيله، فأنصاره كثيرون، وقد صدر بشأن نحو تلك الأعلام قرار من مجمع اللغة

---

(١) السابق نفسه.
(٢) راجع: Kampffmeyer, S. 634-638.
(٣) راجع: Ibid, S. 636.
(٤) Ibid.
(٥) راجع: Ibid, S. 637.
(٦) راجع: Ibid, S. 635.
(٧) Ibid.

العربية بالقاهرة، ونصه: «صيغة فَعْلون وكونها عربية، وإعرابها: ما كان من الأعلام منتهيا بواو ونون زائدتين، نحو ميسون وحمدون وخلدون، له أمثلته منذ أقدم العصور العربية، فصيغته عربية، وعليها صِيغَ ما ورد من أعلام أهل المغرب. وهو يعرب إعراب المفرد بالحركات على النون مع التنوين ومع لزوم الواو، فإن كان علما لمؤنث، منع من الصرف للعلمية والتأنيث، ويأخذ هذا الحكم ما كان من الأعلام منتهيا بياء ونون زائدتين».[1] وصدر ذلك القرار في إثر بحوث قدمت للجنة الأصول بمجمع اللغة العربية بالقاهرة. أولها بحث قدمه العضو عبدالله كنون في الجلسة الثالثة من المؤتمر الحادي والثلاثين لسنة خمس وستين وتسعمائة وألف، عنوانه: «هل اسم خلدون ونحوه مكبر على الطريقة الإسبانية»،[2] وقد ردَّ الباحث في بحثه هذا على رينهرت دوزي في قوله إن لاحقة الواو والنون في أعلام المغرب العربي نحو خلدون وغيره مأخوذة من لاحقة التعظيم في الإسبانية التي تلحق بالأسماء، وأثبت الباحث بطلان هذا الرأي بتفنيده إياه في الإسبانية،[3] ثم بإثباته استعمال العرب للواو والنون في أعلامهم منذ العصر الجاهلي في المشرق والمغرب العربي على حد سواء، كما تناول الباحث وجوه إعراب صيغة فَعلون، وانتهى الباحث إلى أن صيغة فَعْلون ونحوها تسمية بالجمع لقصد التعظيم، إذ يقول: «والنكتة في ذلك قصد التعظيم كما قالوا في قوله تعالى «قال رب ارجعون» جاء في تفسير الكشاف لهذه الآية ما نصه: «خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم... فاستعمال صيغة الجمع في المفرد يفيد التعظيم بمجرده في العربية... وأنه [أي اسم خلدون وما أشبهه] يفيد التعظيم بدلالته الجمعية في الأصل فلا حاجة إلى اصطناع قاعدة لغة أجنبية [أي الإسبانية] للوصول إلى هذه الغاية»[4] ومما سبق يتضح لنا أن كلا من دوزي وعبدالله كنون يتفق في دلالة لاحقة الواو والنون على التعظيم في اسم خلدون وما أشبهه، غير أنَّ الأول يراها مأخوذة من الإسبانية، أما الثاني فيراها مأخوذة من دلالة جمع المذكر السالم في العربية. ثم قدم حامد عبدالقادر بحثا في: صيغة «فَعْلون» في غير اللغة العربية من اللغات السامية، يرى فيه أيضا

---

(١) راجع: كتاب في أصول اللغة، ص١١٣.

(٢) نُشر مع التعقيبات عليه ضمن بحوث ومحاضرات مؤتمر الدورة الحادية والثلاثين ١٩٦٤- ١٩٦٥، ص٤٣-٥٦.

(٣) سبق أن أشرنا إلى ردوده على دوزي في عرضنا للرأي الأول في هذه اللاحقة المذكور آنفا.

(٤) راجع: عبدالله كنون، ص٥٠، ٥١.

أن زيادة النون تكون فى الغالب للدلالة على التعظيم أو التكبير أو المكان، ومثل لذلك بأمثلة من الأعلام العبرية.(١)

ومن الذين يرون أن لاحقة الواو والنون تفيد التعظيم أحمد حسن الزيات، ويدلل على ذلك- وهو بصدد التعقيب على عبدالله كنون فى بحثه المشار إليه آنفا- بنص (من نفح الطيب) لم يذكره، يقول إن الواو والنون تزاد للتعظيم، ومثل لذلك بقوله: «إذا كان لك عند الكلب حاجة، فقل له يا كلبون».(٢)

ثم قدم عطية الصوالحى بحثا عنوانه: إعراب مثل «خلدون» أو «إعراب أسماء الأعلام المنقولة من صيغة جمع المذكر السالم»،(٣) ذكر فيه الوجوه الخمسة لإعراب تلك الأسماء، الأول يعربها بالحروف إجراء لها على ما كانت عليه قبل التسمية بها: «فيقال فى «حمدون» اسم شخص هذا حمدون، وأكرمت حمدين وعطفت على حمدين... [والثانى] إلزامها الياء، وإعرابها بالحركات الظاهرة على النون مصروفة إن كانت لمذكرين، وممنوعة من الصرف إن كانت لمؤنثات، فيقال فى «حمدون» علما: هذا حمدين وأكرمت حمديناً وعطفت على حمدينٍ، بالتنوين فى كل، ويقال فى (نصيبين) هذه نصيبين ودخلت نصيبين ومررت بنصيبينَ، ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث... [والثالث] لزوم الواو، والإعراب على النون غير منونة للعلمية وشبه العجمة... وهذا المذهب اشتهر بين المعربين... [والرابع] لزوم الواو، والإعراب بالحركات الثلاث على النون منونة، فيقال فى (حمدون) علما: هذا حمدونٌ، وأكرمت حمدوناً، وعطفت على حمدونٍ... وهو مطعون... [والخامس] لزوم الواو، وفتح النون على الحكاية التى هى أشرف أحوال الاسم، فيقال فى (حمدونَ) هذا حمدونَ، وأكرمت حمدونَ، وعطفت على حمدونَ»(٤)

أما عن رأينا فى كون لاحقة الواو والنون تزاد فى العربية للتعظيم، فنحن نرى ذلك أيضا، ولكنه قليل وهو للمبالغة فى الصفة، لا فى التعظيم للعلم، كما فى نحو: شَيْخون، فقد وردفى القاموس المحيط: « الشَّيْخُ والشَّيَخُون: من اسْتَبانَتْ فيه السِّنُّ، أو من خَمْسينَ أو إحدى وخَمْسين إلى آخر عُمره أو إلى الثمانين»،(٥) وعقب الشارح على قوله الشيّخ والشّيْخون بقوله: «قالَ شيخنَا: الثانى [أى الشيخون] غريب غير

(١) نشر هذا البحث فى كتاب فى أصول اللغة، ص١١٤، ١١٥.
(٢) راجع: مؤتمر الدورة الحادية والثلاثين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص٥٥.
(٣) نشر هذا البحث فى كتاب فى أصول اللغة، ص١١٧- ١٢٠.
(٤) السابق نفسه.
(٥) راجع: القاموس المحيط، مادة (الشَيخ).

معروف فى الأمهات المشهورة، وأورده بعض شراح الفصيح وقالوا: هو مبالغة فى الشـيخ اه»[1] وكما فى نحو مَيْسُون، وهو الغُلام الحَسَنُ القد والوجه، وهو مبالغة للمَيْسُ: التَّبَخْتُر،[2] ونحو الحَيْزبون، وهى العجوزة، وقيل الشهمة الذكية.[3] وإننا لنرى استعمال الواو والنون فى العربية الشمالية للمبالغة فى الصفة مقابلاً للواو والنون فى العبرية والسريانية لنفس الوظيفة. كما رأيناها فى العبرية فى نحو: עֶלְיוֹן ʿelyōn «الأعلى، عالى المقام، الله»، وهذه الصيغة هنا مبالغة فى صيغة עִלִּי ʿillī «علوى، أعلى، فوقى».[4] ونحو קִיצוֹן qīṣōn «أقصى، أخير، نهائى»، وهذه الصيغة هنا مبالغة فى صيغة קֵץ qēṣ «آخِر، طرف».[5] ومن الجدير بالملاحظة هنا أننا نجد العربية الشمالية قد استعانت بلاحقة الواو والنون للمبالغة فى الصفة، كما فى نحو شَيْخون، وإن كان هذا قليلا، وذلك بجانب لاحقة الألف والنون التى نراها تدل على ذلك بكثرة، كما فى نحو غَضْبان، ظمآن، وسكران...، ونفس الأمر نلحظه فى العبرية التى استعانت بالألف والنون للدلالة على المبالغة فى الصفة، كما فى نحو זַמְּרָן «مُغَنى»، وهو من זִמֵּר Zimmēr غَنَّى،[6] وذلك بجانب الواو والنون كما فى نحو עֶלְיוֹן ʿelyōn.

أما عن الرأى القائل بأن لاحقة الواو والنون فى نحو (خلْدون) وما أشبهه قد جىء بها لإفادة التصغير، والدليل على ذلك إفادتها لذلك فى كل من العبرية والسريانية الغربية،[7] فأصحابه أيضا كثيرون، منهم الباحثون المستشرقون، ومنهم الباحثون العرب. فمن أولئك المستشرقين بروكلمان، وقد مثل لذلك بوجود هذه اللاحقة للتصغير فى بعض اللهجات العربية المعاصرة فى غير أسماء الأعلام أيضا، كما فى لهجة عُمان فى نحو صيغة شويونة Šweyyūne، من شويه Šweyye، ونحو صيغة tiššūne بجانب صيغة tiššūte (قليل)، وأشار بروكلمان إلى أن العنصر الأول من هذه اللاحقة فى المهرية يميل نحو الكسر قبل النون (ēn) بدلا من الضم (ūn)، وذلك فى

---

(١) السابق نفسه.
(٢) راجع: السابق، مادة (المَيْس).
(٣) راجع: تاج العروس، جـ١، ص ٢١٠. لسان العرب، مادة (حزب).
(٤) راجع: قوجمان، ص 649, 650.
(٥) راجع: السابق، ص 811, 829.
وراجع: ص من هذه الدراسة.
(٦) Gesenus, s.201.
(٧) راجع: Brockelmann, Gründr, B.I, S. 394.

نحو gāyēn «غلام، حَدَث» مصغر gayj «رُجُل»، ونحو ṭayrēn «الصغير من الطير»، ونحو waqtēn «وقت قصير».(1) وأشار ليتمان أيضا إلى بعض صيغ الأعلام من هذا النمط فى اللهجات العربية المعاصرة، وخاصة فى منطقة نجد، نحو سمرون من اللون الأسمر، وذلك بجانب (سمران)، ونحو زيدون، وغيرهما. ولكنها قليلة الورود إذا قورنت بما يستعمل فى المغرب العربى فى الوقت الحاضر. وسبق أن رأينا رابين يفضل ربط هذه اللاحقة مع هذا النمط من الأعلام بما هو موجود فى أسماء الأعلام العبرية والسريانية الغربية.(2) ومن الباحثين العرب المؤيدين لهذا الرأى مراد كامل الذى أشار- فى تعقيبه على قول عبدالله كنون- إلى ترجيحه لأن تكون الواو والنون فى مثل هذا النمط من الأعلام للتصغير، والتدليل على ذلك لكونها تؤدى هذه الوظيفة فى لغات سامية أخرى غير العربية، ويستشهد على ذلك بالاستعمال اللهجى المعاصر بقوله: «وما زلنا فى مصر نقول للتدليل يا كلبون، بمعنى كلب صغير، وخلدون من خالد، وحمدون من حامد».(3) ومن المؤيدين لهذا الرأى أيضا أحمد تيمور، إذ يشير فى معجمه إلى هذه اللاحقة وإلى كونها تأتى لإفادة التصغير، بل وينقل عن ابن فرحون فى الديباج قوله إن صيغة حيُّون اسم مصغر من يحيى.(4) ومن المؤيدين لهذا الرأى أيضا عبدالمنعم سيد عبدالعال وإبراهيم السامرائى اللذان يشيران إلى أن لاحقة الواو والنون فى نحو هذا النمط من الأعلام ما هى إلا زيادة للتصغير توافق ماهو معروف فى العبرية والسريانية،(5) ويضيف إبراهيم السامرائى أن الاستعانة بالعامية العربية تعيننا على ذلك، حيث تستخدم هذه اللاحقة للتصغير فى غير أسماء الأعلام، كما فى نحو: دَرْبُونه تصغيرا لدرب، وبَيْتُونه تصغيرا لبيت.(6) ونضيف إلى مثالى إبراهيم السامرائى، ومن قبلهما مثالا بروكلمان، أمثلة لصيغ من غير الأعلام فى العامية العربية لحقت بها الواو والنون للتصغير، ويظن أنها ذات تأثير سريانى، نحو بَعْذَرُون

---

(1) راجع: Ibid.
(2) راجع: ص   من هذه الدراسة.
(3) راجع التعقيبات على: عبدالله كنون، هل اسم خلدون ونحوه مكبر على الطريقة الإسبانية، ص53.
(4) راجع: معجم تيمور الكبير فى الألفاظ العامية، جـ1، ص131.
(5) راجع: عبدالمنعم سيد عبدالعال، معجم الألفاظ العامية ذات الأصول العربية، ص13.
ابراهيم السامرائى، فقه اللغة المقارن، ص194، 195.
ابراهيم السامرائى، الأعلام العربية، ص20.
(6) راجع: ابراهيم السامرائى، الأعلام العربية، ص20.

«بزر البصل»، ويظن أنها سريانية، من كلمة ܒܙܪܘܢܐ bedārōnā تصغير ܒܙܪܐ bedārā البزر، ونحو جَمَلُون «جهاز خشبى محدب مستطيل تقوم عليه دالية أو وردة أو شجيرة نسرين»، ويظن أنها سريانية من صيغة ܓܡܠܘܢܐ gemalōnā تصغير ܓܡܠܐ gemalā.(1) ونحو دكُّونه (من السريانية ܕܟܘܢܐ dakōnā): "رف صغير فى العمود الذى يدعم السقف فى وسط الغرفة يوضع عليه السراج".(2) وفى لهجة حلب المعاصرة، نحو بَعْدونه، من بَعْد (ظرف للزمان والمكان ضد قبل)، لحقت بها الواو والنون السريانية: أداة تصغير، أى بعد زمن قليل.(3)

رأى صاحب هذه الدراسة

أما عن رأينا فى هذه المسألة فإننا نتفق مع أصحاب الرأى الأخير القائل إن لاحقة الواو والنون (ūn) فى مثل حَمْدون وما أشبهه جىء بها لإفادة التصغير للتدليل والتحبب، ونستدل على ذلك بما يلى:

١- استعمال الواو الممالة قبل النون (ōn) فى العبرية، والأرامية الغربية (اليعقوبية)، والسريانية فى معلولة والمندعية كلاحقة للتصغير فى الأسماء، وهى تقابل فى ذلك لاحقة الواو والنون فى اللغات السامية الأخرى، ومنها العربية الشمالية.(4) وقد لحظنا ذلك بوضوح فى الصيغ التى تناولناها فى العربية وغيرها من اللغات السامية فى حديثنا السابق عن لاحقة الألف والنون. كما فى نحو صيغة إنسان (أو إيسان كلغة طائية) التى تقابل صيغة אישון ʾišōn فى العبرية، ونحو سَلْمان فى العربية وשלמה šelōmō فى العبرية، ونحو سُلَيْمان فى العربية و ܫܠܝܡܘܢ Šelēmōn فى السريانية الغربية (تستعمل الألف والنون هنا ومقابلها الواو والنون للمبالغة فى التصغير)، وأحيانا أخرى نلحظ ورود الصيغة العبرية (بلاحقة الواو والنون) فى العربية، دون تغيرها إلى مقابلتها العربية بالألف والنون- كما فى نحو صيغة العلم العبرى אהרן ʾaharōn التى ترد بصيغة (هارون) أيضا فى العربية، ونحو صيغة العلم العبرى עגלון ʿeglōn التى ترد بصيغة (عجلون) أيضا فى العربية (وذلك بجانب صيغة عجلان). وفضلا عن ذلك فإننا كما وجدنا لاحقة الألف والنون- فيما سبق- تدل على التصغير، أو على المبالغة فى التصغير فى غير الأعلام، كما فى نحو: إنسان وأُنَيْسيان، ومُغَيْربان، وعُشَيَّان، وأُصَيْلان. وفى الأعلام، كما فى نحو سُلَيْمان، عبيدان، حميدان... نلحظ ذلك أيضا فى استعمال لاحقة الواو

(١) راجع: أنيس فريحة، معجم الألفاظ العامية، ص١٢، ٢٩.
(٢) السابق، ص٥٧.
(٣) راجع: موسوعة حلب المقارنة، مجلد٢، ص١٣٩.
(٤) راجع: ص من هذه الدراسة.

والنون فى بعض عاميتنا العربية. إذ نلحظ فى عاميات جنوب مصر (فى محافظة أسوان)، وشمال السودان، وبادية الشام، وحلب[1] مبالغة فى تصغير صيغة «صَغير»، إذا يقولون: صغَيُّرون، فقد صغروا أولاً على زنة فُعَيِّل (بفتح الياء المشددة بدلاً من كسرها، كما هو الحال فى الفصيح، وفى لهجتى نجد وشمال المغرب المعاصرتين).[2] ثم أضافوا لاحقة الواو والنون للمبالغة فى التصغير، وهم يعنون بذلك المتناهى فى الصغر. وبالطريقة نفسها يبالغ أهل أسوان (فى جنوب مصر) وشمال السودان فى تصغير (قَصِير) فيقولون: قصيُّرون، ونلحظ هنا نطق العامية بإمالة فاء المصغر نحو الكسر. وقد انتقل هذا النمطَ للمبالغة فى التصغير عندهم إلى أسماء الأعلام أيضا- كما سبق أن لحظنا ذلك فى استعمال لاحقة الألف والنون- كما فى نحو حسينون، وبعيرون مبالغة فى التصغير لتدليل حَسَن، وبعر، ونلحظ فى نطق مثل هاتين الصيغتين إمالة فاء المصغر نحو الكسر، بتأثير اللهجة، وهو ما لحظناه فى أكثر من لهجة عربية معاصرة، وله أصوله القديمة فى العربية وغيرها من اللغات السامية.[3] ويستتبع ذلك إمالة فتحة عين الاسم نحو الكسر، وذلك بتأثير المخالفة التقدمية، فنطق هاتين الصيغتين هكذا: ḥesēnūn بدلا من حُسَيْنُون، و beērūn بدلا من بُعَيْرُون. وبذلك نجد أنفسنا أمام نمطين للتصغير، الأول قياسى بصيغة (فُعَيْل)، والثانى سماعى بلاحقة الواو والنون للمبالغة فى التصغير. ومثل هذه الصيغ يذكرنا بما سبق أن ذكرناه فى نحو: أُنَيْسيان، مُغَيْريان، سُلَيْمان، حُمَيْدان فى العربية، ونحو šelaymōn > šelēmōn فى السريانية الغربية، ونحو gylw فى التدمرية.

٢- إن أقدم صيغة علم من هذا النمط توردها لنا المصادر العربية تشير إلى التأثير الأرامى الغربى فى نحو هذا النمط من الأعلام. فإن القاموس المحيط يذكر لنا- وهو بصدد عرض مادة (المَيْس)- أن مَيْسُون اسم الزَّبَّاء الملكة، إذ يقول ما نصه: «المَيْسُ والمَيَسَانُ والتَمَيُّسُ: التَّبَخْتُر... والمَيْسُونُ: الغُلامُ الحَسَنُ القدِّ والوجه. ومَيْسُونُ: اسمُ الزَّبَّاء الملكة، وبنت بَحْدَل أمّ يزيد بن معاوية...».[4] ولما نعرف أن الزَّبَّاء هى الاسم العربى للملكة زنوبيا ملكة تدمر، وهى الملكة التى ذاع صيتها فى القرن الثالث الميلادى، لما عرف عنها من سياستها الاستقلالية ومعاداتها لروما، حتى قضى الإمبراطور أورليان الرومانى نهائيا على مدينة تدمر فى عام ٢٧٢م، ولما

---

(١) يقولون فى حلب: زغيْرون بإبدال الصاد زينا، وفتح الياء المشددة، بدلا من كسرها.
راجع : موسوعة حلب المقارنة، جـ٤، ص٢٤٢.

(٢) راجع: ص   من هذه الدراسة.

(٣) راجع: ص   من هذه الدراسة.

(٤) راجع: القاموس المحيط، مادة (المَيْس).

نعرف أن أهل تدمر كالبتراء قبلها هم من الأنباط الذين يرجعون بأصولهم إلى العرب، وبلغتهم وثقافتهم إلى الأرامية الغربية.[1] فندرك على الفور التأثير الأرامي الغربي في نحو صيغة مَيْسون التي يبدو أنها كانت اسما لتدليل هذه الملكة. وبعد ذلك بقرنين من الزمان أو أكثر سُمِيت بهذا الاسم بنت ملك غسان، وقد ذكرها الحارث بن حلزة في معلقته:

إذا حل العلاة قبة ميسو نٌ فأدنى ديارها العوصاء.[2]

ولما نعرف أيضا أن دويلة الغساسنة قد ازدهرت في القرنين الخامس والسادس الميلاديين حول دمشق، وذلك في الوقت الذي ازدهرت فيه أيضا دولة اللخميين في الحيرة بالقرب من ضفاف الفرات، وهما وريثتا البتراء وتدمر اللتين كانتا عربيتين من حيث الجنس آراميتين من حيث اللغة والثقافة.[3] فندرك على الفور أيضا مدى التأثير اللغوى الأرامي الغربي في نحو هذا النمط من الأعلام المنتهي بلاحقة الواو والنون التي تستعمل للتصغير في الأرامية الغربية والعبرية.

٣- يميل الباحثون العرب القدامى إلى القول بعُجْمة مثل هذه الأسماء المنتهية بالواو والنون في المفرد، نلحظ ذلك في نص ابن جنى الذى أبدى فيه رأيه في نحو هذه الأعلام من هذا النمط، إذ يقول: «وفي المعروف من أسماء الناس وإن لم يكن في كلام العرب القدماء سَحْنون وعَبْدون ودير قَيْتون...»[4] هذا من ناحية، ويبدو أيضا هذا القول بعُجمة مثل هذه الأسماء عند الباحثين العرب القدامى بأشهر الوجوه الخمسة لإعراب نحو خَلْدون،[5] وهو المنع من الصرف للعلمية وشبه العُجْمَة، لأن كثيرا منهم مثل أبى على الفارسي، والصبان والحامدي، وعباده، والسيوطي وغيرهم يرون أن وجود الواو والنون في الأسماء المفردة من خواص الأسماء الأعجمية[6] هذا من ناحية ثانية.

---

(١) راجع: الحضارات السامية، ص٢٠٣، ٢٠٤.

(٢) نقلا عن: عبدالله كنون، ص: ٤٦، عاطف مدكور، الأعلام الجاهلية، ص١٤٣، هامش٢.

(٣) راجع: الحضارات السامية، ص٢٠٣، ٢٠٤.

(٤) نقلا عن: معجم البلدان لياقوت الحموى، جـ١، ص٥٣٦.

(٥) راجع ص من هذه الدراسة.

(٦) نقلا عن: عطية الصوالحي، ص١١٩، هامش١،
محمد على النجار في تعقيبه على عبدالله كنون، ص٥٣.

ومما سبق يتضح لنا أن لاحقة واو المد والنون [ūn] فى أسماء الأعلام العربية نحو -حَمْدون، وخَلدون.. هى دخيلة من لاحقة الأرامية الغربية/ ōn/، والأخيرة موجودة أيضا فى العبرية، ولكننا نميل إلى أنها دخيلة من الأرامية الغربية للعلاقات التاريخية القديمة التى كانت تربط الأرامية الغربية بالمنطقة العربية منذ حضارة دولتى البتراء وتدمر. وإذا صح ما نميل إليه يكون أصل نطق هذه اللاحقة بالضمة الممالة قبل النون، -كما هو الحال فى الأرامية الغربية- ويكون العرب فى غير بلاد الأندلس قد مالوا إلى نطقها بالضمة الصريحة لقلة استعمالهم للضم الممال، ولقصور الخط العربى فى التعبير عن الضم الممال- سواء كان قصيرا أو طويلا- بعلامة كتابية. أما نطق هذه اللاحقة بالضم الممال قبل النون عند عرب الأندلس فهو بتأثير اللغة الأسبانية.

بهـا للتـدليـل والتـحـبب.(١) كمـا يذهب سـوزين إلى أن اللاحقـة الأكـثـر وروداً فى هذه الصيغ، تلك التى تحتوى على الضم، ومن هنا يستنتج أن مثل هذه الصيغ جىء بهـا للتـدليـل فى أسـمـاء الأعـلام (Kosewörter)، وقـد لحظ سـوزين المراوحـة بين الضم والكسر قبل الشين فى أسماء الأعلام الجزائرية من هذا النوع، كما فى نحو حنّوش وحنيش من حنا، وعَلّوش وعلّيش من على، كما لحظ التبادل بين السين والشين فى الأعلام الجزائرية أيضا، كما فى نحو: عبدوس وعبديش، وعمروس وعمروش.(٣) ومـن الباحثين المستشرقين أيضا الذين انتبهوا إلى هذه اللاحقة كارل بروكلمان، الذى يرى أيضا أنها مأخوذة من لاحقة التصغير السريانية (ōs) وقد دخلت إلى العربية فى صيغ نحو عُمْرُوس (جدى)، وقُدْموس، واسم العلم عَبْدوس.(٤) وببحثنا فى صيغتى عُمْرُوس وقُدْمُوس، وجدنا فى صيغة عُمْروس ما يدل على التصغير، فقد ورد حديث عنها عند صاحب اللسان بقوله: «والعُمْرُوس: الجَدْى، شامية، والجمع العمارس، وربما قيل للغلام الحادر عُمْرُوس، عن أبى عمرو.. ويقال للغلام الشائل: عُمْرُوس. وفى حديث عبدالملك بن مَرْوان: أين أنت من عُمْرُوس راضع؟»(٥) أما فى صيغة قُدْموس فلا نجد دلالة التصغير، فهى تعنى القديم، أو العظيم، أو الشديد، فقد أوردها صاحب اللسان بقوله: «القُدموس والقُدْموسة: الصخرة العظيمة... وجيش قُدْمُوس: عظيم، والقُدموس: الملك الضخم، وقيل: هو السيد. والقُدموس: القديم، قال عُبيد بن الأبرص.

ولنا دار ورثناها عن الـ   أقدم القُدْمُوس، من عمّ وخال»(٦)

وما نحو قُدموس إلا من الألفاظ الغريبة المهجورة التى يُستحسَن تركها، حتى ليعجب صفى الدين الحلى، أحد شعراء القرن الثامن الهجرى، من استخدام مثل تلك الألفاظ الغريبة، وترك مقابلها المأنوس، فيقول فى قصيدة سينية:

وقبيحٌ أن يُذكَرَ النَّافرُ الوحـ   شىّ منها ويُتْرَكَ المأنُوسُ

---

(١) Ibid.

(٢) Ibid.

(٣) Ibid, S. 498.

(٤) راجع: Brockelmann, Grúndr., B.I, S. 395.

(٥) راجع: لسان العرب، مادة (عمرس).

(٦) راجع: لسان العرب، مادة (قدمس).

أَيْنَ قَوْلِي هذا كثيبٌ قَدِيمٌ   ومقالي عَقَنْقَلٌ قُدْمُوسُ

دَرَسَتْ تلكُمُ اللغاتُ وأَمْسَى   مَذْهَبُ النَّاس ما يقولُ الرئيسُ[1]

ومن الباحثين العرب المحدثين الذين أشاروا إلى هذه اللاحقة عبدالمنعم سيد عبدالعال، الذى يرى أن لاحقة الواو والشين فى بعض الأعلام العربية، نحو دعدوش وحمروش جىء بها لإفادة التصغير. ويرجع أن عنصر التصغير الحقيقى فى هذه اللاحقة هو الواو، كما فى نحو قدُّور، وشعرور تصغيرا لعبد القادر، وشاعر. ولكنه لم يشر إلى أصل هذه اللاحقة.[2] والأسدى خير الدين، صاحب موسوعة حلب المقارنة، يوافق عبدالمنعم سيد عبدالعال فى كونها للتصغير، ويضيف أن أصلها الواو والسين فى السريانية. وقد جرى اللسان العربى على إبدال السين شينا.[3]

وإن المرء ليتساءل هل للغة اليونانية تأثير فى هذه اللاحقة؟، إذ من المعروف أن اللغة اليونانية من اللغات المعربة، وأنها تتخذ السين لاحقة للأسماء فى حالة الرفع، والنون لاحقة للأسماء فى حالة النصب، فمثلا اسم العلم اليونانى كِرسوس (ملك ليديا فى آسيا الصغرى) سينه الثانية علامة للرفع، أما فى النصب فتصير صورته كِرسون.[4] وفى الترجمة اليونانية للعهدين القديم والجديد انعكس هذا النحو اليونانى فى صوغ الأعلام على كثير من أعلام التوراة والإنجيل وقد تأثرت بذلك الترجمات العربية لمسيحيى الشرق، وذلك لشيوع اليونانية فى الشرق كلغة رسمية وكنسية طوال عصور المسيحية الأولى. ولشيوع الرسم اليونانى أيضا قبل الإسلام تبدو فى بعض الأعلام العبرية المعربة صورتها اليونانية التى كانت شائعة على لسان العرب وقتئذ، من ذلك اسم (العلم: يُونا[5])، (الذى هو يونس فى القرآن)، فإن صورته اليونانية «يُونَاس» (السين هنا علامة للرفع) وهو نفسه (يونان) (النون هنا علامة للنصب) فى الترجمات العربية للعهد الجديد.[6] ولكن على الرغم من ذلك فإننا نستبعد التأثير

---

(١) راجع: ديوان صفى الدين الحلى، ٦٢٤، ٦٢٥.

(٢) راجع: معجم الألفاظ العامية ذات الأصول العربية، ص١٣.

(٣) راجع على سبيل المثال مواد: حنبروش، حنوش، الدرخوش، فى موسوعة حلب المقارنة، جـ٣، ص٢٦٧، جـ٤، ص٤١.

(٤) راجع: رؤوف أبو سعده، جـ٢، ص٧٣.

(٥) اسم أحد الأنبياء الوارد ذكره فى العهد القديم.
راجع: الملوك الثانى ١٤/٢٥.

(٦) راجع: رؤوف أبو سعده، جـ١، ص١١٦-١١٩.

اليونانى فى هذه اللاحقة المنتهية بالسين أو الشين المسبوقتين بالضم أو الكسر، ونميل إلى رأى القائلين إنها ذات صلة وثيقة بلاحقة التصغير السريانية (الواو والسين) التى تلحق بالأسماء، فى السريانية لإفادة التصغير بجانب لاحقة الواو والنون- وإن كان أصل هذه اللاحقة (الواو والسين) غير واضح حتى الآن فى السريانية-(1) لأننا نجد آثارا باقية لها فى العاميات العربية المعاصرة تفيد التصغير كما فى لهجة حلب، فضلا عن التبادل بين السين والشين فى تلك اللاحقة فى الأعلام العربية- ومن المعروف عدم وجود الشين فى اليونانية - والتبادل بين الضم والكسر قبل السين أو الشين، بينما فى اليونانية لا يرد إلا الضم قبل السين. لكل ذلك نستبعد التأثير اليونانى. ومن أمثلة الصيغ الملحقة بها هذه اللاحقة لإفادة التصغير فى السريانية نحو: ܛܠܝܘܣܐ talyōsā، بجانب ܛܠܝܘܢܐ talyōnā «وُلَيْد» مصغر ܛܠܝܐ talyā،(2) ونحو ܐܡܪܘܣܐ emrōsā' «حَمَلٌ» مصغر ܐܡܪܐ emrā' «خَروف».(3) وأحيانا يبدل صائت الضم الممال الطويل /ō/ كسرة طويلة [ī] بفعل المخالفة، كما فى نحو qūlīstā «إبريق صغير» بدلا من qūllōstā.(4)

ونلحظ ورود هذه اللاحقة فى بعض الصيغ المستعملة على لسان بعض اللهجات العربية المعاصرة، مثل لهجة حلب، وهى إما أن تكون فى صيغة سريانية دخيلة فى العربية، أو تكون لاحقة لصيغة عربية جىء بها لإفادة التصغير، أو تكون لاحقة لأسماء أعلام عربية أو غير عربية لإفادة التصغير أيضا. فمن أمثلة الصّيَغ السريانية الدخيلة فى لهجة حلب، نحو: «القبُّوسة: من السريانية: قبيسُو: القبة الصغيرة، ويستخدمها أهل حلب بمعان نحو: قبوسة الطيور، تكون على السطح بيتا لها، أو الغرفة الصغيرة الحقيرة».(5) ونحو: الدَرْخُوش، يطلقها أهل حلب على الثقب الصغير، وجمعوها على الدراخيش، ويرى صاحب موسوعة حلب المقارنة أنها ربما تكون من السريانية: درخوسا: الطريق الصغير.(6)

---

(1) راجع: Brockelmann, Gründr, B.I, S. 395.

(2) راجع: Costaz, P. 127، أحمد أرحيم هبو، ص129.

(3) السابق نفسه.

(4) من قوانين المخالفة فى العبرية والأرامية تغير الصائت الطويل /ū/ أو /ō/، بتأثير وقوع أى منهما قبل أى من الصائتين: ū أو ō، إلى الصائت الطويل [ī]، ونادرا ما يتغير هذان الصائتان الطويلان إلى الصائت الطويل الممال [ē]. انظر Brockelmann, Gründr, B.I, S. 355, 94.

(5) راجع: موسوعة حلب المقارنة، جـ6، ص95.

(6) السابق، جـ4، ص41.

ومن أمثلة ورود هذه اللاحقة فى صيغة عربية للتحقير، وذلك أيضا فى لهجة حلب، كما فى نحو «البطحيش، من صيغة: بطح (العربية)، نحو: بطحه: أى بسطه، وألقاه على وجهه، والياء والشين (المصحفة عن السين): أداة تحقير أو تصغير فى السريانية، وقد سموا السمين الكريه: البطحيش، وقد نقلت هذه الصيغة أيضا إلى الأعلام، وسمى بها الذكور».(١)

أما ورود هذه اللاحقة (الواو والشين المصحفة عن الواو والسين السريانية) فى أسماء أعلام عربية، أو غير عربية فى لهجة حلب أيضا لإفادة التصغير فنلحظه فى أعلام الأماكن أو الأشخاص. فمن أسماء أعلام الأماكن، كما فى اسم إحدى قرى حلب: حنبروش، وهى فى منطقة إعزاز، ومن أقوال أهل حلب: «فلان حنبروشى» يريدون: حقير، من قرية حقيرة، ويرى خير الدين الأسدى أن معناها: مكان الولد الصغير، حَنْ لغة فى «حَلْ» بمعنى المكان فى الأرامية، وبَر: الابن، والواو والشين تحريف الواو والسين: أداة التصغير».(٢) ومن أسماء أعلام الأشخاص غير العربية فى لهجة حلب أيضا، نحو حَنُّوش، وهى صيغة فى التصغير لتدليل حنّا، من أسماء ذكور النصارى، والواو والسين فى السريانية أداة التصغير،(٣) ونحو مَرُّوش بجانب مَرُّوم تصغيرا لتدليل مريم.(٤) ومن أسماء الأعلام العربية التى لحقتها هذه اللاحقة للتصغير فى عامية حلب أيضا، نحو: «رَقُّوش، وهى مصغر لتدليل رُقَية، من أسماء الإناث، وقد بنوه على فَعُّول للتلطيف، ثم لما وجدوا مكان لام فَعُّول خالياً استمدوا اللاحقة السريانية (الواو والشين المصحفة عن الواو والسين) للتصغير»،(٥) ويرى صاحب موسوعة حلب المقارنة أن أهل حلب جروا كثيرا على إبدال السين شينا فى لهجتهم.(٦) ونلحظ فى نحو صيغ حَنُّوش تصغيراً لحنا، ومَرُّوش تصغيرا لمريم، ورَقُّوش تصغيرا

---

(١) السابق، جـ٢، ص١٢٩.
(٢) السابق، جـ٣، ص٢٦٧.
(٣) السابق، جـ٧، ص٢١٧.
(٤) السابق، جـ٤، ص١٨٦، جـ٧، ص٨٨.
(٥) السابق: جـ٤، ص١٨٦.
(٦) السابق نفسه.

لرقية بقصد المبالغة فى التصغير للتدليل، وذلك باستعمال نمطين للتصغير[1]، أولهما على زنة فَعُّول، والثانى بلحوق لاحقة الواو والشين (المصحفة عن الواو والسين). ولمّا كان نمط وزن فَعُّول يتم التصغير فيه بواسطة عنصرين صوتيين، الأول: تشديد عين الكلمة، والثانى: الضم المشبع الطويل، فجىء بهما فى مثل تلك الصيغ، أما لام الكلمة فاستعيض عنها بأحد عنصرى نمط التصغير الثانى (وهما لاحقة الواو والشين المصحفة عن الواو والسين)، وكان هذا العنصر المفضل هو الشين، الأمر الذى يشير إلى أنه هو العنصر الأساسى فى هذه اللاحقة للتصغير. ومن هنا فنحن نخالف عبدالمنعم سيد عبدالعال فى رأيه السابق القائل إن الضم الطويل هو الأداة الحقيقية للتصغير فى نحو دعدوش، وحمروش.[2] لأنه لو كان الأمر كذلك، لما دعت الحاجة إلى وجود الشين، لوجود الضم الخاص بوزن فَعُّول، فى نحو مَرُّوش، وحَنُّوش، ورَقُّوش. وإن كنا نتفق معه فى أن الواو هى العنصر الأساسى فى نمط التصغير فى وزن فَعُّول، كما فى نحو قَدُّور تصغيرا لعبدالقادر، وفى وزن فُعلول، كما فى نحو شعرور تصغيرا لشاعر.

مما سبق يتضح لنا استخدام هذه اللاحقة السريانية (الواو والسين) لإفادة التصغير، ونراها فى العربية فى صور: الواو والسين، أو الياء والسين، أو الواو والشين، أو الياء والشين. ولكن ما نراه لايزال ملبساً ومثيراً للاستفسار عنه، ومن ثم فهو فى حاجة إلى مزيد من التوضيح، هو التبادل بين السين والشين من ناحية، وبين الضم الطويل المشبع والكسر الطويل المشبع فى هذه اللاحقة من ناحية ثانية. ومحاولة منا لأمن اللبس فى ذلك، فإننا نرى أن السبب فى ورود الشين بدلا من السين فى بعض الصيغ مرجعه إلى مراوحة العامية العربية فى نقل الأصوات العربية المقابلة لنظيرتها السريانية فى المنقول عنها إلى العربية- كما فى نحو عامية حلب- فأحيانا تلتزم العامية بالقانون الصوتى المطرد فى الساميات القاضى بمقابلة السين فى اللغات السامية الشمالية الغربية، نحو العبرية، والفينيقية، والأرامية بالشين العربية، كما فى نحو שָׂבַע ‏śāḇa' العبرية،و ܣܒܥ ‏śeḇa' السريانية تقابل «شَبِعَ» العربية. ونحو שְׂמֹאל ‏śemōl فى العبرية، و ܣܡܠܐ ‏semālā فى السريانية تقابل شمأل، أو شمال فى العربية. وإن الشين في العبرية، أو الأرامية، أو السريانية تقابل

---

(١) سبق أن لحظنا هذه الظاهرة مع الأعلام المنتهية بلاحقة الألف والنون نحو سُليمان، وعبيدان، وحمبدان، ومع الأعلام المنتهية بلاحقة الواو والنون نحو حسينون فى العامية العربية، ونحو šelēmōn فى السريانية الغربية، ونحو gylw' فى التدمرية.

(٢) راجع، ص من هذه الدراسة.

فى العربية إما السين أو الشاء. فالشين التى تقابل السين العربية نحو: ראש rōš فى العبرية، و rēš فى الآرامية، و ܪܝܫܐ rīšā فى السريانية، تقابل رأس فى العربية، ونحو שאל šāal فى العبرية، و šēl فى الآرامية، تقابل سأل فى العربية.(1) ونلحظ هذه الموافقة مع القانون الصوتى المطرد فى الساميات فى لهجة حلب، كما فى نحو صيغة: بانقوسا، أو بانقوسه، أو بنقوسا، أو بنقوسه، وهو اسم سوق خارج السور فى محلة خان السبيل فى حلب، أو هو اسم الجبل المتاخم لسور حلب الشمالى. وهذه الصيغ منقولة عن السريانية: bēt nāqōšā، أى بيت الناقوس.(2) ونحو تل دبس (من قرى حلب) فى المعرة، وهى من الآرامية، تل دبشا.(3) والدبْسُ فى العربية: عسل التمر، وعسل النخل(4) يقابله فى السريانية بنفس المعنى: ܕܒܫܐ debšā، و ܕܒܫ debaš.(5) نلحظ فى المثالين السابقين التزام اللسان العامى العربى فى حلب بمقابلة الشين السريانية بالسين العربية. وأحيانا كثيرة أخرى يخالف اللسان العامى فى لهجة حلب هذا القانون الصوتى، فيحافظ على نطق الشين السريانية، بدلا من مقابلتها بالسين العربية، ونلحظ ذلك فى كثير من أسماء أعلام الأماكن فى حلب المنقولة عن السريانية، نحو: بَلْشِيون (من قرى حلب) فى إدلب، من الآرامية: بيت لشنا: مكان اللسان.(6) فمن المعروف أن كلمة «لسان» العربية تقابل صيغة ܠܫܢܐ lešānā (بالشين) فى السريانية. ونحو: تل شُور (من قرى حلب) فى جبل سمعان، من الآرامية تل شورا: تل السور.(7) فصيغة سور العربية (بالسين المهملة)، تقابلها صيغة ܫܘܪܐ šōrā السريانية (بالشين المعجمة).(8) إلا أن اللسان العامى فى حلب لم يحافظ على هذه المقابلة الصوتية المطردة بين اللغتين وفقا للقانون الصوتى الذى مثلنا له فيما سبق. ونحو: راشه (من قرى حلب) فى المعرة، من الآرامية: ريشا: الرءوس.(9) ونحو: باريشا (من قرى حلب) فى حارم، وأخرى فى إدلب، من الآرامية:

---

(1) راجع: Gesenius, S. 777, 787, 795.
(2) راجع: موسوعة حلب المقارنة، جـ2، ص46-50.
(3) السابق، ص392.
(4) راجع: القاموس المحيط، مادة (الدبس).
(5) راجع: Costaz, P. 58.
(6) راجع: موسوعة حلب المقارنة، جـ2، ص164- 165.
(7) السابق، جـ2، ص393.
(8) راجع: Costaz, P. 364.
(9) راجع: موسوعة حلب المقارنة، جـ4، ص133.

بيت ريشا ، بيت الرأس.[1] فمن المثالين الأخيرين من المنتظر أن صيغة رأس العربية تقابل صيغة (ريشا) السريانية، إلا أن اللسان العامى أيضا فى لهجة حلب لم يراع القانون الصوتى فى الساميات بمقابلة السين العربية بالشين السريانية. ومن ثم فإننا نرى أن ورود الشين بجانب السين فى تلك اللاحقة التى تنتهى بها بعض الأعلام العربية، ربما يكون ذلك بفعل هذا الاستعمال العامى العربى الذى مثلنا له بلهجة حلب المعاصرة. أما عن تبادل الكسر المشبع الطويل مع الضم الصريح الطويل قبل السين أو الشين فى هذه اللاحقة، نحو حمدوس، حمديس، حمدوش، بطحيش، فنرى أن الأصل فيه هو الضم الممال، وهو الوارد فى اللاحقة السريانية، أما الكسر فربما يكون قياساً خاطئا على نحو الكسربفعل المخالفة فى السريانية، والذى مثلنا له بصيغة

qūllōstā > qullīstā.

من تحليلنا السابق للواحق الواو وَالسين أو الياء والسين أو الواو وَالشين أو الياء والشين التى تلحق بنماذج من أسماء الأعلام العربية اتضحت لنا العلاقة الوثيقة بينها وبين لاحقة الواو والسين السريانية التى تفيد التصغير، وأثبتنا فى السطور السابقة أنها تمثل الأصل لتلك اللواحق، ومن ثم فقد اتضح لنا أن تلك اللواحق جئ بها لإفادة التصغير للتدليل والتحبب فى أسماء الأعلام العربية. واتضح لنا رجوع هذا التغيير فى صورة هذه اللواحق عن الأصل السريانى إلى تأثيرات لهجية، وأثبتنا فى السطور السابقة أيضا وجود ظاهرة المبالغة فى التصغير لتدليل نماذج من أسماء الأعلام العربية باستعمال نمطين لإفادة التصغير، الأول على زنة فَعُول، والثانى باستعمال لاحقه الواو والشين (المصحفة عن الواو والسين) كما فى نحو علُّوش مبالغة فى التصغير لتدليل على، وبدا لنا أن العنصر الأساسى فى التصغير للتدليل فى نحو علوش هو الشين (المصحفة عن السين).

(١) السابق، جـ٢، ص٢٩.

الخاتمة

وفيما يلى نوجز أهم النتائج التى توصلت إليها هذه الدراسة:

- أثبتت الدراسة أن التصغير فى اللغة العربية وأخواتها السامية يحمل معنى أساسيا واحداً هو التحقير وتتفرع عن هذا المعنى معان أخرى ذات صلة وثيقة به، تتضح دلالتها الضيقة بحسب كنهها وماهيتها، مثل التدليل والتمليح، وليس من بين هذه المعانى الفرعية التعظيم.

- أثبتت الدراسة المقارنة أن صيغة فُعَيْل العربية ذات أصل سامى مشترك، وقد انتقلت فى الاستعمال إلى أسماء الأعلام فى العربية وفى غيرها من اللغات السامية الأخرى.

- أوضحت الدراسة المقارنة فى صيغة (فُعَيْل) فى العربية وغيرها من اللغات السامية إحدى ظواهر التغير الصوتى المشتركة فى اللغات السامية، التى تمثل مرحلة تغير فى الأصوات السامية، وهى تغير الصوت المزدوج /ay/ إلى [ē]، ثم إلى [ī]، وتغير الصوت المزدوج /aw/ إلى [ō]، ونادرا إلى [ū]. وإن التغير الصوتى /ay/ إلى [ē]، و /aw/ إلى [ō]، نلحظ أمثلته الكثيرة فى اللهجات العربية المعاصرة.

- أثبتت الدراسة المقارنة بين العربية وغيرها من اللغات السامية جواز إمالة فاء المصغر نحو الكسر بجانب ضمه، ومن ثم فإن ما قيّده سيبويه وغيره من النحويين العرب القدامى ولم يستحسنوه، له أصوله السامية القديمة، وقد بقيت آثاره فى اللهجات العربية المعاصرة.

- أثبتت الدراسة أن صيغتى (فُعَيْعِل) و (فُعَيْعِيل) فى التصغير من الصيغ التى اختصت بها العربية دون غيرها من اللغات السامية الأخرى. وقد انتقلتا فى الاستعمال إلى الأعلام العربية القديمة والمعاصرة.

- أوضحت الدراسة بما أوردته من أوزان التصغير السماعية أن واقع الاستعمال اللغوى فى العربية وغيرها من اللغات السامية يمدنا بأنماط أخرى كثيرة للتصغير غير صيغ التصغير القياسية التى اصطلح عليها النحاة والصرفيون العرب القدامى. وهذا يشير إلى أن ما حوته كتب النحو والصرف العربية من صيغ التصغير لا يشمل كل ما تكلم به العرب، بل يمثل الأغلب فى الاستعمال.

- أثبتت الدراسة أن وزن (فَعِيل) المعدول عن وزن (مَفْعُول) من أوزان التصغير السماعية، له أصوله السامية التى نلحظها فى العبرية، وقد انتقل فى الاستعمال للتصغير فى أسماء الأعلام العربية القديمة والمعاصرة وفى الأعلام العبرية القديمة.

- أثبتت الدراسة أن وزن (فُعَيِّل) من أوزان التصغير السماعية، وهو ما اختصت به العربية دون غيرها من اللغات السامية الأخرى، وقد انتقل فى الاستعمال للتصغير إلى الأعلام العربية القديمة والمعاصرة. وقد حافظت لهجتا نجد وشمال المغرب المعاصرتان على نطقه الفصيح بكسر يائه المشددة، بينما ينطق بفتحها فى لهجات أسوان (جنوب مصر) وشمال السودان وحلب المعاصرة.

- أوضحت الدراسة المقارنة أن وزن (فُعَال) من الأوزان السماعية السامية المشتركة، وهو يستعمل للتصغير فى كثير من اللغات السامية فضلا عن استعماله للتعبير عن الأسماء، أو الصفات، وقد انتقل إلى الاستعمال فى التصغير للتدليل والتمليح مع أسماء الأعلام العربية القديمة والمعاصرة، كما أن له شواهده فى أعلام لغات سامية أخرى، نحو الأكدية والعبرية.

- أوضحت الدراسة المقارنة أن وزن (فَعُول) من الأوزان السماعية السامية المشتركة وأنه يستعمل فى التصغير، فضلا عن استعماله بكثرة فى الصفات. ويشيع استعمال هذا الوزن فى التصغير للتدليل والتحبب مع الأعلام العربية المعاصرة، كما أن له شواهده فى الاستعمال مع الأعلام العربية والعبرية القديمة.

- أثبتت الدراسة استعمال وزنى (فُعْلول) و (فَعْلول) فى العربية الفصحى والعامية وبعض اللغات السامية للتعبير عن الأوصاف المزدراة والحقيرة، ثم انتقلا إلى الاستعمال فى التصغير للتحقير. ولما انتقل أحدهما، وهو وزن (فَعْلول) إلى الأعلام فى العامية العربية، استُعْمِل فى التصغير للتدليل والتحبب، الأمر الذى يؤ؛ ما أثبتته هذه الدراسة من أن للتصغير معنى أساسياً واحداً هو التحقير فى العربي وغيرها من أخواتها السامية، أما معنى التدليل فهو فرع عليه.

- أوضحت الدراسة تبادل وزن (فَعُول) فى التصغير لتدليل كثير من الأعلام مع أوزان (فَعْول) و (فَعْيل) و (فَعَال)، وذلك فى بعض اللهجات العربية المعاصرة كما وضح تبادل وزن (فَعْلول) فى التصغير لتدليل بعض الأعلام مع وزن (فَعلال) أو (فَعْليل)، وذلك فى الجزائر.

- تذهب هذه الدراسة إلى أن التاء المربوطة الملحقة بالأعلام العربية التى على زنة (فَعُول) نحو حَسُونَه، وعَبُودَه تصغيرا لتدليل حَسَن وعَبْد، ونحو فَطُومَة تصغيرا لتدليل فاطمة، أو التى على زنة (فَعْلول) نحو بَرْهومه ومَرْيُومة تصغيرا لتدليل إبراهيم ومريم، هذه التاء ليست للتأنيث، بل هى للمبالغة فى التدليل والتلطيف، والدليل على ذلك استعمال الصورتين، أعنى بالتاء المربوطة أو بدونها، مع أعلام الذكور والإناث دون تمييز بينهما، كما فى نحو عَبُود وعَبُوده، وفَطُوم وفَطُومه (على زنة فَعُول وفَعُولة)، ونحو بَرْهُوم وبَرْهُومه، ومَرْيُوم ومَرْيُومه (على زنة فَعْلول وفَعْلوله).

كما تذهب هذه الدراسة أيضا إلى أن الياء الملحقة بالأعلام العربية التى على زنة (فَعُّول) أو فَعْلول) ، نحو عَبُّودِي، أو بَرْهُومي، هى ليست للنسب، بل للمبالغة فى التدليل والتلطيف أيضاً، وتبدو هذه الياء أيضا ملحقة ببعض الأعلام العبرية القديمة لتؤدى الوظيفة نفسها، كما فى نحو: zikkrī، mallūḥī.

– تذهب هذه الدراسة إلى أن التباين فى صورة البنية اللغوية فى التصغير لتدليل وتلطيف الأعلام العربية يعكس تبايناً مقابلاً للعلاقة الاجتماعية، ومن ثم فإن صور التصغير للتدليل المختلفة التى نلحظها فى وزن (فَعُّول) تعكس نوع العلاقة الاجتماعية، وتتضح هذه العلاقة الاجتماعية تصاعديا فى التصغير للتدليل على زنة (فَعُّول) لنحو اسم العلم رجب على النحو التالى:

رَجَب ⟵ رَجُّوب ⟵ رَجُّوبَه ⟵ رَجُّوبِي ⟵ رَجُّوبْتِي.

– أثبتت الدراسة المقارنة استعمال لاحقة الألف والنون فى كثير من اللغات السامية، ومنها العربية الشمالية، أو الواو والنون فى بعضها الآخر مثل العبرية والسريانية الغربية (اليعقوبية)، فى التصغير، وذلك بجانب الوظيفة الأساسية لهما فى التعبير عن الأسماء والصفات.

– اتضح من الدراسة المقارنة بين العربية الشمالية والعبرية القديمة أن صيغة (إنسان) صيغة مصغرة بلاحقة الألف والنون، مكبرها (إِنْس) وهى تقابل بذلك صيغة אישון ʾīšōn، مصغر איש ʾīš فى العبرية.

– تثبت هذه الدراسة أن صيغ: أُنَيْسِيان، ومُغَيْرِبان، وعُشَيَّان، وأُصَيْلان، ليست تصغيرا لإنسان (أَوْ إِنْسِيان)، ومَغْرِب (أو مَغْرِبان)، وعَشِيّ (أو عَشِيَّان)، وأصْلان (أو أُصُل)، بل نحو هذه الصيغ تؤدى وظيفة المبالغة فى التصغير بنمطين للتصغير، أحدهما قياسى بصيغة فُعَيْل، والآخر سماعى بلاحقة الألف والنون. فأُنَيْسِيان مبالغة فى تصغير إِنْسِي (أُنَيْسِي + ان) ومُغَيْرِبان مبالغة فى تصغير مَغْرِب (مُغَيْرِب + ان)، وعُشَيَّان مبالغة فى تصغير عَشِيّ (عُشَيّ + ان)، وأُصَيْلان مبالغة فى تصغير أُصُل (أُصَيْل + ان). ومن ثم فإن هذه الدراسة بمنهجها المقارن تثبت أنّ ما عدّه النحاة العرب القدامى من شواذ التصغير، نحو أُنَيْسِيان، له تفسيره وتعليله الذى يعتمد على كون لاحقة الألف والنون نمطا من أنماط التصغير فى العربية، وهذا مالم يصرح به النحاة العرب.

- اتضح من الدراسة المقارنة استعمال لاحقة الألف والنون للمبالغة فى التصغير للتدليل والتحبب فى أسماء الأعلام العربية القديمة والمعاصرة، نحو عبيدان، حميدان، وتقابلها لاحقة الواو والنون فى لغات سامية اخرى نحو اسم العلم ʿgylw (بسقوط النون طلبا للخفة فى التدمرية) وهو يقابل اسم العلم عجلان وعجلون فى العربية. وتستعمل الواو والنون فى الأعلام العبرية أيضا لإفادة التصغير للتدليل (دون مبالغة)، كما فى نحو: שִׁמְשׁוֹן šimšōn، אַהֲרֹן ʾaharōn.

- تثبت هذه الدراسة أن صيغة (سُلَيْمان)، اسم نبى الله ابن داود- عليهما السلام- الواردة فى القرآن الكريم ليست تصغيرا لسَلْمان، بل هى مبالغة فى تصغير التلطيف لصيغة (السِّلْم). وهى تقابل بذلك صيغة هذا العلم فى السريانية الغربية: šelaymōn > šelēmōn، وكلتا الصيغتين العربية والسريانية تحتوى على نمطين للتصغير، أحدهما قياسى بصيغة (فُعَيْل)، والآخر سماعى بلاحقة الألف والنون، أو مقابلتها الواو والنون. أما الصيغة العبرية الواردة فى العهد القديم šelomōn (باعتبار أن النون أصلية، وقد سقطت طلبا للخفة) فهى لتصغير التدليل وليست للمبالغة فى التصغير، لاحتوائها على نمط واحد للتصغير وهو الواو والنون. لذلك فإن هذه الدراسة ترجح أن العربية أخذت صيغة هذا العلم من السريانية الغربية وليست من العبرية.

- اتضح من هذه الدراسة خطأ الاعتقاد الشائع بأن صيغ الأعلام العربية، نحو خلْدون، وحَمْدون، تستعمل فى المغرب العربى دون سواه، فمثل هذه الصيغ ترد فى الاستعمال فى المشرق العربى مثل المغرب العربى على حد سواء، بل إن آثارها فى المشرق العربى أقدم زمنيا من آثارها فى المغرب العربى.

- أثبتت الدراسة بُطلان رأى دوزى وأنصاره القائل إنَّ لاحقة الواو والنون فى الأعلام العربية فى الأندلس. كما فى نحو حَمْدون، قد جىء بها لإفادة التعظيم، وذلك بتأثير اللاحقة المناظرة فى الإسبانية. وأوضحت هذه الدراسة أن التأثير الإسبانى فى هذه اللاحقة عند عرب الأندلس لا يبدو إلا فى نطق الواو ممالة قبل النون، خلافًا لنطقها صريحة عند غيرهم من العرب. وهذا النطق بتأثير سمات اللغات الرومانية.

- تستبعد هذه الدراسة رأى كامفماير القائل إنَّ هذه اللاحقة (الواو والنون)، فى نحو حَمْدون وما أشبهه، ذات تأثير حميرى، إذ هى- فى رأيه- تمثل أداة التعريف فى العربية الجنوبية القديمة.

- تستبعد هذه الدراسة أيضا رأى الكثيرين من الباحثين العرب، مثل عبدالله كنون وغيره، القائل إنَّ هذا النمط من الأعلام العربية المنتهية بلاحقة الواو والنون، نحو خلدون، ليس إلا تسمية بالجمع لقصد التعظيم. - ورداً على الرأى الأخير تذهب

هذه الدراسة إلى أن لاحقة الواو والنون تزاد فى العربيـة- وإن كان ذلك قليـلا- بقصد المبالغة فى الصفة كما فى نحو: شَيْخون، وحَيْزَبون، لا بقصد التعظيم مع أسماء الأعلام، نحو خلدون وما أشبهه. وهى بذلك تنحو كما تنحو العبرية التى تستعمل لاحقة الواو والنون أيضا للمبالغة فى الصفة، كما فى نحو ᶜelyōn؟

وبذلك فإن العربية قد استعانت- فى كلمات قليلة- بالواو والنون للدلالة على المبالغة فى الصفة بجانب الألف والنون التى تدل على ذلك كثيراً، تماما مثل العبرية التى استعانت بالألف والنون للدلالة على المبالغة فى الصفة، بجانب الواو والنون التى تدل على ذلك كثيراً.

- تميل هذه الدراسة إلى الرأى القائل إن لاحقة الواو والنون فى نحو حَمْدون وما أشبهه قد جىء بها بقصد التصغير للتدليل والتحبب، وتدعم هذا الرأى بأدلة تعتمد فيها على معطيات المنهج المقارن بين العربية والعبرية والأرامية الغربية.

- تثبت هذه الدراسة أن الأصل فى نطق الواو السابقة للنون فى لاحقة الواو والنون هو الضم الممال، كما هو الحال فى العبرية والأرامية الغربية. أما النطق العربى لها بالضم الصريح قبل النون- فى غير بلاد الأندلس- فهو لقلة استعمال العرب للضم الممال، ولقصور الخط العربى فى التعبير عن الضم الممال- سواء كان قصيرا أو طويلا- بعلامة كتابية.

- تذهب هذه الدراسة إلى أن لاحقة الواو والنون فى الأعلام العربية، نحو حَمْدون وما أشبهه، هى دخيلة فى العربية من الأرامية الغربية، وذلك للعلاقات التاريخية القديمة التى كانت تربط الأرامية الغربية بالمنطقة العربية منذ حضارة دولتى البتراء وتدمر.

- أثبتت هذه الدراسة وجود ظاهرة المبالغة فى التصغير بلاحقة الواو والنون، كما لحظناها من قبل بلاحقة الألف والنون، وهى تبدو قليلة فى العامية كما فى نحو صُغَيْرون، قُصَيرون، مبالغة فى تصغير صَغِير وقَصِير، وذلك باستعمال نمطين من التصغير، الأول على زنة (فُعَيْل)، والثانى بلاحقة الواو والنون. وفى الأعلام نحو: حُسَيْنون، مبالغة فى تصغير حَسَن باستعمال نمطين من التصغير، الأول على زنة (فُعَيْل) والثانى بلاحقة الواو والنون. ونحو صيغة حسينون توافق تماما صيغة šelaymōn > šelēmōn فى السريانية الغربية، وصيغة gylw؟(باعتبار ان النون سقطت طلبا للخفة) فى التدمرية.

- أوضحت هذه الدراسة العلاقة الوثيقة بين لاحقة الواو والسين فى السريانية التى تلحق بالأسماء لإفادة التصغير وبين صيغ الأعلام العربية المنتهية بلاحقة الواو

العربية فتعليله كما عللنا به نظيره فى لاحقة الواو والنون. أما الكسر المشبع فربما يكون قياسا خاطئا على حالات له فى السريانية بفضل ظاهرة المخالفة الصوتية، والذى مثلنا له فى السريانية بكلمة: qūllōstā > qullīstā.

- أثبتت هذه الدراسة أهمية النظر فى الاستعمال اللهجى العربى المعاصر، ففيه من الاستعمالات اللغوية- سواء كان ذلك على مستوى المفردات أو الجملة- ما يعين الباحث على تفسير وتعليل ظواهر لغوية عربية ذات أصول سامية. أهملتها مصادر التراث اللغوى العربى لعدم اهتمام أصحابها الاهتمام الكافى بدراسة اللغات السامية الأخرى، أخوات العربية. ومن ثم فإن هذه الدراسة توضح أنه ليس كل ما فى العامية العربية من قبيل العدول عن الفصحى.

- توضح هذه الدراسة- بصفة عامة- أهمية المنهج المقارن فى الدرس اللغوى العربى.

الهوامـــــش

١- بتصرف من كتاب : أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة للدكتور نايف خرما، عالم المعرفة ، نوفمبر ١٩٧٩، ص ١٣٧.

٢-المرجع السابق ، ص ١٤٢-١٥٣.

٣-من كتاب د. محمود حجازى، علم اللغة العربية ، دار الثقافة ، القاهرة : ص١٠-١٢.

٤-بتصرف من كتاب : فقه اللغة العربية وخصائصها لاميل يعقوب ، دار العلم للملايين، ١٩٨٢، ص ٢٢-٢٧.

٥-راجع : محمود السعران ، علم اللغة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ص١٣.

٦- بتصرف من كتاب: أضواء علـــــى الدراسات اللغوية المعاصرة ، ص ٢١٦-٢١٨.

٧-بتصرف من كتاب فقه اللغة العربية وخصائصها ، ص ١٩-٣٢.

٨- راجع : علم اللغة بين التراث والمعاصرة ، ص ٧-٩.

٩-بتصرف من كتاب : أضواء على الدراســـــات اللغوية المعاصرة ، ص ٣٣- ٣٥.

١٠-راجع : جون ليونز ، نظرية تشومسكى اللغوية ، ص ٣٩ ، محمود فهمى حجازى ، مدخل الى علم اللغة ، ص ١٨.

١١-راجع : جون ليونز ، نظرية تشومسكى اللغوية، ص ٤٠ ، ٤١، عبدالفتاح البركاوى، محاضرات فى فقه اللغة ، مؤسسة الرسالة ، القاهرة، ١٩٨٣، ص ١١- ١٥.

١٢-بتصرف من كتاب : مدخل الى علم اللغة العربية وخصائصها لاميل يعقوب ، ص ٨٥-١٠٧.

١٣- بتصرف من كتاب : فقه اللغـــــة العربية وخصائصها لاميل يعقوب، ص ٨٥-١٠٧.

١٤- من كتاب : مدخل الى علم اللغة للدكتور محمـــــود حجــــازى ، ص ٢٤-٢٩.

١٥- من كتاب : علم اللغة بين التراث والمعاصرة للدكتور عـاطف مدكور، دار الثقافة ، القاهرة ١٩٨٧، ص ٤٩-٥٩.

١٦- من الكتاب السابق ، ص ٩٥-٩٧.

١٧-من كتاب : علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة ، ص ٦٥-٨٥.

١٨- من مجلة علوم اللغة، العدد الأول، ١٩٩٨م، ص٩-١٣.

المحتويـــــــات

الصفحة

(قائمة مختارة بالكتب العربية الحديثة فى اندراسات اللغوية)

١- ابراهيم أنيس :

- الأصوات اللغوية ، القاهرة ١٩٥٠، ١٩٦١.
- دلالة الألفاظ ، القاهرة ١٩٥٨.
- اللهجات العربية ، القاهرة ، ط ثانية ١٩٥٢

٢- ابراهيم السامرائى:

- التطور اللغوى التاريخى ، القاهرة ١٩٦٦
- رسائل فى اللغة ، بغداد ١٩٦٤.

٣- أحمد مختار عمر :

- البحث اللغوى عند العرب، القاهرة ١٩٧١.

٤- أميل بديع يعقوب :

فقه اللغة العربية وخصائصها ، دار العلم للملايين ، بيروت .

٥- أمين الخولى :

- محاضرات عن مشكلاتنا اللغوية ، القاهرة ١٩٨٥.

٦- أنستاس مارى الكرملى:

- أغلاط اللغويين الأقدمين ، بغداد ١٩٣٧.
- نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها ، القاهرة ١٩٣٨.

٧- أنيس فريحه :

- محاضرات فى اللهجات وأسلوب دراستها ، القاهرة١٩٥٥

٨- أولمـــــــان:

دور الكلمة فى اللغة ترجمة : كمال محمد بشر ، القاهرة : الطبعة الثانية ١٩٦٩.

٩- برجشتراسر:

- التطور النحوى للغة العربية ، القاهرة ١٩٢٩.

١٠- تمام حسان :

- اللغة العربية معناها ومبناها - القاهرة ١٩٧٣.

- اللغة بين المعيارية والوصفية . القاهرة ١٩٥٨.

- مناهج البحث فى اللغة. القاهرة ١٩٥٥.

١١- جون ليونز :

نظرية تشومسكمى اللغوية، ترجمة د. حلمى خليل، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٨٥.

١٢- رمضان عبدالتواب :

فصول فى فقه العربية ، الطبعة الثانية ، الخانجى ، القاهرة ، د.ت.

١٣- السيد يعقوب بكر :

- دراسات فى فقه اللغة العربية ، بيروت ١٩٦٩.

١٤- صلاح الدين صالح حسنين :

علم اللغة النظرى ، كلية اللغات والترجمة ، جامعة الازهر ١٩٨٤.

١٥- عاطف مدكور :

علم اللغة بين التراث والمعاصرة ، دار الثقافة ، القاهرة ١٩٨٧.

١٦- عباس حسن :

اللغة والنحو بين القديم والحديث، القاهرة ، د .ت

١٧- عبدالحليم النجار :
فى اللهجات العربية ، مجلة كلية الآداب ، مايو ١٩٥٣.
١٨- عبدالرحمن أيوب :
دراسات نقدية فى النحو العربى ، القاهرة ، ١٩٥٧
١٩- عبدالفتاح البركاوى:
محاضرات فى فقه اللغة ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٢.
٢٠- على عبدالواحد وافى:
- علم اللغة ، القاهرة ١٩٤١.
- فقه اللغة ، القاهرة ١٩٤١.
- اللغة والمجتمع، القاهرة ١٩٤٦.
- نشاة اللغة عند الانسان والعقل ، القاهرة ١٩٤٧.
٢١- كما محمد بشر:
- دراسات فى علم اللغة ، القسم الثانى ١٩٦٩.
- علم اللغة العام ، القسم الثانى : الأصوات ، القاهرة ١٩٧٠.
٢٢- محمود السعران :
- علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربى ، الاسكندرية ١٩٦٤.
٢٣- محمود فهمى حجازى:
- علم اللغة العربية ، الكويت ١٩٧٣.
- مدخل الى علم اللغة، طبعة ثانية، دار الثقافة، القاهرة ١٩٨٥.
- علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة ، دار غريب ،

القاهرة ، د.ت .

٢٥- **نايف خرما :**

أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة ١٩٧٨.

٢٦- **ولفنسون (اسرائيل):**

تاريخ اللغات السامية ، القاهرة ، ١٩٢٩.

٢٧- **يسبرسن (أوتو):**

اللغة بين الفرد والمجتمع ، ترجمة عبدالرحمن أيوب ، القاهرة ، ١٩٥٤.

******